١١

ديوان من دواوين

مقتبس مِن : يَقَظة الصباح . وَهَج الظهيرة .
أشباح الأصيل . أشجان الليل .
وحي الأربعين . هديَّة الكروان .
عابر سبيل . أعاصير مغرب .
بعد الأعاصير . . . . ما بعد البَعد .

نظم
عبّاس محمود العقاد

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: ديوان من دواوين
اسم المؤلف: عباس محمود العقاد .

الطبعة الأولى فبراير ١٩٩٦

رقم الإيداع: ٨٠٣٣٠٨/١٩٩٦ .
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0406 -7
تصميم الغلاف: م / محمد العنتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٨ – ٣٣٠٢٨٧ – ٣٣٠٢٨٩ .
فاكس: ٣٣٠٢٩٦/١١٠ .
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي – الفجالة – القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ – ٥٩٠٨٨٩٥ .
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥/٢٠ .
ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى – المهندسين – القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ – ٣٤٧٢٨٦٤ .
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦/٠٢ .
ص.ب: ٢٠ امبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى القراء

اسم هذه المجموعة يدلّ على موضوعها ، لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم ، وهى : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وأشجان الليل ، ووحى الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، وأعاصير مغرب ، وبعد الأعاصير ، ومايلى من شعرٍ نُظم بعد صدور هذا الديوان الأخير .

وقد نفدت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفدت فى حينها ، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعا إلا القليل ، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعا ويطلبون إرسالها إليهم ، وبخاصة قراء البلاد العربية التى لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها فى بعض العهود ، فترددنا بين طبعها فى مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة ، وكلاهما لا يغنى فى تيسير المطلوب منها ، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن ، فآثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التى تنوب عن شعر الدواوين جميعا إلى حين ، وتتم أبواب الشعر فى جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء .

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاد هذه الدواوين لأننا نستفيد منه ميزانا من موازين الأدب فى عمومه ، وميزانا من موازين الشعر على الخصوص ، وميزانا من موازين الشعر فى عصرنا هذا على الأخص ، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان ، وإلى بيان .

فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقاد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال .

وأصدق ما يكون ذلك الميزان فى دلالته على القول الأخير فى نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوى الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التى تسوّغ ما ليس بالسائغ فى موازين النقد والتمييز .

وبين يدى هذا المرجع الأمين ، بل هذا الموئل القرير الذى لا نرتضى لكلام نقوله موئلا سواه ، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعًا من قبل ، شاكرين ذاكرين .

عباس محمود العقاد

خواطر وتأملات

النـــــور (*)

(. . . إلى أين ينتهى بنا تحليل النور على أيدى علماء الطبيعة فضلا عن الفلاسفة والمتصوفة ؟ ينتهى بنا إلى أنه « معنى » يشبه المعانى المجردة ، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب) .

النور سر الحياة ... النور سر النجاة
النور وحى النُّهى ... النور وحى الصلاة
النور شوق الفتى ... النور شوق الفتاة
لمحُ العيون الخُواة ... المحْـــــةُ بالروح لا
ما تبصر العين من ... مـــعناه إلا أداة
هذا سبيل الهدى ... لا ما افتراه الهُداة !

* * *

إلى غاندى (*)

حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدنيا العريضة عاريا ... وتقضى بها جوعًا ، وماعزَّ مأكل !
تركتَ لهم حتى الطعام فقل لنا ... على أى شىء بعد موتك تُقبِل
إذا البؤس والحرمان كان شفاعةً ... لعالمك الأعلى ، فما هو أفضل
إذا كان ماندعوه بؤسى غنيمةً ... لمن يطلب النعمى فبئس المعوّل

(*) النور : وحى الأربعين . (*) إلى غاندى : وحى الأربعين .

To: www.al-mostafa.com

الوجه الفيلسوف(*)

أرى لك أنتَ فلســـفـــةً صُــراحًــا بلمح العين أقــرأها جــمــيــعــا
أذم العـــيش فـى ألفَىْ كِــتـــاب وتَعــرض لى فــأمــدحــه ســريعًــا
إذا مــا الفــيلســوف أطال سـخطىً على لؤم الحـــيــاة فكن شـفــيــعــا
غـنـيـتَ عـن الأدلة والأحـــــاجى ومن حــاجــاك(١) لم يكُ مــسـتطيـعــا

* * *

القدر يشكو(*)

صـغـيـرٌ يطلب الكبَرا وشــيخ ودّ لو صــغــرا
وخـال يشـتـهى عـمـلا وذو عــمل به ضــجــرا
ورَب المـال فــى تـعــب وفى تعب مَن افــتــقــرا
ويشــقـى المرء منهـزمـا ولا يرتاح منتـــصـــرا
ولا يرضى بلا عَــقِــب فإن يُعقبْ ، فلا وزرا(٢)
ويبـغى المجـد فى لهَف فــإن يظفــر به فــتــرا
ويخـمـد إن سـلا ، فإذا تولّـه قلبـــه زفــــرا
فــهل حــاروا مع الأقــدا ر أو هم حيروا القدرا ؟
شكاةٌ مــالهــا حَكَمَ سوى الخصمين إن حضرا

(*) الوجه الفيلسوف : وحى الأربعين .
(١) حاجاه : غالبه بالحجى : أى العقل ، أو ألقى عليه الأحاجى والألغاز .
(*) القدر يشكو : وحى الأربعين .
(٢) الوزر : الملجأ والمعتصم .

الحمد المعكوس (*)

يارب حـــمــــد لم ينله الذى   قــد ناله إلا لهــجــوى أنا
ورب هجــوٍ طافً بى لم يكن   يطوف بى لو لم أكن مـحـسنا

* * *

عدل الموازين (*)

إنّا نريد إذا مـــا الظلم حـــاق بنا   عـــدل الأناسىّ لا عـــدل الموازين
عـدل الموازين ظلمٌ حين تنصبـهـا   على المســاواة بين الحـــرّ والدون
مـافـرّقت كـفـة الميـزان أو عـدلت   بين الحلىّ وأحـــجـــار الطواحين

* * *

الخبز والفقير (*)

أحـــسب الخــبــز لو درى لتـــأبّى   فى يد الجـائع الفــقــيــر إليــه
إنما تُسلس الطّلاب جـــمـــيـــعـــا   لامـــرىءٍ هانت الطلاب عليـــه

* * *

شطور (*)

دليلٌ على أن الكمـــال مـــحـــرّمٌ   إناثٌ خُلقنا بينهـــا وذكـــور
فـمـا المرء فى جـسم وروح بكامل   ولـكـنَّ كـل العـــالمين شطور

(*) الحمد المعكوس : وحى الأربعين . ٤٢
(*) عدل الموازين : وحى الأربعين . ٤٣
(*) الخبز والفقير : وحى الأربعين . ٤٣
(*) شطور : وحى الأربعين . ٤٥

الآمـــال (*)

كـانت الآمـال تحملنى ... فـأرانى اليـوم أحـملهـا
إن أحــلامـــا تعللنى ... غـيـــر أحـــلام أعللهـــا

* * *

يوم ميلادى (*)

يوم مـــيـــلادى تـقـــدَّمْ ... وتـأخَّـــــرْ ... وتـكـلَّـم
لاتقل لـى قـــبـل عـــام ... كـــيـف كـنـا ؟ أنـا أعـلمْ
لا تقل لـى بعـــد عـــمـــرى ... كـيف نُمـــسى ؟ لستَ تعلم
غـــايــة الأمـــر أظـانـين ، وبـعـض الـظـن يـأثـم
ســـوف نمسى مـــثل مـــا كـنّا ، ولـم نـولـد ونُـفـطَـم

إن يكن ذلك شـــيـــئًـــا ... لـستُ بعـــد الموت أعـــدَم
أو يـــكـــن لـــيـــس بـــشـــىءٍ ... أتـــرى « لاشـــىء » يـــنـــدم ؟
أَيـة الحـــــالـين قـل لـى ... بعـــد طـول العـــمـــر أسلم ؟ !
تـــظـــلـــم المـــوت إذا قـــلـــ ... ـــت ظـــلـــومٌ لـــيـــس يـــرحـــم
نـــحـــن لا بـــالمـــوت أُعـــطـــيـــ ... ـــنـــا ولا بـــالمـوت نـــحـــــرم
من يَعُـــدْ يومًـــا كـــمـــا كـــا ... ن فـــــقـــــدتمٌ وتمٌّ
صـــفـــقـــة الأعـــمـــار فـــيـــهـــا ... قلّةُ الخـــســـران مـــغـــنـم

(*) الآمال : وحى الأربعين .
(*) يوم ميلادى : بعد الأعاصير .

رجاء كاليأس (*)

أنا لم أيأس من الخـيـــر ولا ... أحسب الشر على الناس لزاما
أنا أغنيت يدى عن خـيـرهم ... وأمنت الشر من حيث ترامى
فليكن من شـاء منهم مَلَكا ... أو يكن جِنًّا على الكيد أقاما
كلهم بعـدُ سـواءٌ عند من ... لا يَدين الناس شكرا وانتقاما

* * *

الحب إعطاء (*)

لا تطلب الحب بين الناس تأخـذه ... بل فاطلب الحب تُعطِى منه ماتجد
أشـقى البـريَّة من لم يَعنه أحـدٌ ... وليس من كـان لا يُعنَى به أحـد

* * *

موضع العجب (*)

لا تعـجبنَّ لعـيب ... واعـجب لفـضل ونبل
نقص الطبـائع أصلٌ ... والفـضل ليس بأصل

* * *

أغلب الظن (*)

أنا شيءٌ فكيف أصبح « لاشيْء » إذا تم للحـيـاة مـداها ؟
أغلب الظن أننى سـوف أرقى ... غـايةً بعـدها تفـوق ذراها !

(*) رجاء كاليأس : بعد الأعاصير .
(*) الحب إعطاء : بعد الأعاصير .
(*) موضع العجب : بعد الأعاصير .
(*) أغلب الظن : بعد الأعاصير

موت الحى (*)

أعجب من حياة الميت

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟ ... فيم متنا ، وغاية الموت بُقيا ؟
أعجب الحالتين عندىَ حىٌّ ... سوف يفنى ، لا ميتٌ سوف يحيا

* * *

زمان الذرّة (*)

دعوا الذرّة تطغى فى ... زمان يعبد الذرّةْ
صغيرٌ كل مافى الأر ... ض من جاه ومن شُهرةْ
ومن خير ومن شر ... ومن رأى ومن فِكرة
فلو قيسوا بلا جسم ... لما ضاقت بِهم إبرةْ

* * *

هذا وهذا وهذا (*)

قلت لعمرو : خاننى خالد ! ... وخاننى عمرو ، فماذا أقول .. ؟
أبلغتها زيدًا فما زادنى ... عن صاحبيه ، فاختوانى الذهول
ناجيتهم سراً ، وبى خيفةٌ ... من أناجيه ، ففيه فضول !
ثق من خيانات بنى آدم ... إذن وقل أنتم ثقات عدول
لاتشكُ هذا ، عند هذا ، ففى ... هذا ، وهذا ، عنصر لا يحول
كلٌّ بنى الدنيا - ومن بينهم ... أنت - فروع جمّعتها الأصول

* * *

ميثاق الأمم (*)

أجيبوا صيحة الدنيا وهبُّوا ... ولبُّووا داعى الميثاق ، لبوا
توافقت الشعوب على رجاء ... فلا ينكلْ عن الميدان شعبُ

(*) موت الحى أعجب من حياة الميت : بعد الأعاصير .
(*) زمان الذرة : بعد الأعاصير .
(*) هذا وهذا وهذا : بعد الأعاصير .
(*) ميثاق الأمم : بعد الأعاصير .

ولاتصغوا إلى من قال «دعوى … يروّج أمرها باغ وخبُّ»
هبوهم خادعين ، فهل رأيتم … مخادعةً بشيء لا يُحَب ؟
إذا الأقوام جدَّ بها هواها … إلى حق فما فى الحق صعب
ولو لم تصبُ دنياكم لسلم … لما خُدعتْ به من حيث تصبو

* * *

تهنئة بمولد (*)

مهنئى أنت يا صديقي … بمولدى – طبتَ من صديق
أنسيتنى أنه غروب … ساعةَ هنَّأتَ بالشروق
تسع وخمسون فى طريق … لم أدر ما وجهة الطريق
أُسائلُ الركب أين يمضى ؟ … وكلهم ها هنا رفيقى
لا أنا أدرى ولا رفاقى ؟ … يدرون بالموعد الوثيق
ركبٌ عجيبٌ بلا دليلٍ … من محدَث فيه أو عتيق
إذا مضى منهم فريقٌ … ألْقى المطايا إلى فريق
وكلهم يبتغى مسيرا … فى مَشرع سار أو مضيق
يطيق طول السّفار عدوًا … وليس للمهل بالمطيق
إخالنا كلنا وقوفا … هنا على موقف عميق
فى أَبدٍ لا زمان فيه … مقترن السبق باللحوق
أقربَ من يومنا وأوفى … من طارق الَليل فى الطروق
يكاد لولا الحجاب يبدو … كالظل من ستره الرقيق
أتُعْصَب العينُ حول سر … والسر فى موضع سحيق ؟

* * *

حشرات (*)

ما وجدنا من البرية إلا … خُلقًا زائفًا وجهلا مبينا
حشراتٌ لا تعرف الخير والشـ … رَّ وفيها الهلاك للعارفينا

* * *

(*) تهنئة بمولد : بعد الأعاصير .
(*) حشرات : الجزء الأول .

ألم اللذة ولذة الألم (*)

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها ... تنام إذا طال الصياح على النَّهَمْ
وقهر الفتى آلامَهُ فيه لذةٌ ... وفى طاعة اللذات شىءٌ من الألم

* * *

الحياة حياة (*)

قالوا الحياة قشور ... قلنا : فأين الصميم
قالوا «شقاءٌ» فقلنا ... نعم ! فأين النعيم ؟
إن الحياة حياة ... ففارقوا أو أقيموا

* * *

المجد والفاقة (*)

ضلَّ الصوابُ وغُمَّ الأمر واشتبهت ... على المراقب يمناه بيسراه
شيبٌ عُراةٌ وأطفالٌ مجوَّعةٌ ... ونسوةٌ نسيت ما ليس تنساه
ليس البلاء بلاء القوت نندبه ... بل البلاء بلاء الخُلق ننعاه
ما أبخس الروحَ فى مصر وأرخصها ... وأنفس الخبز فى مصر وزغلاه
لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها ... إذا الفقير طلابُ القوت أعياه
أيرزح القوت فى أرض بطالبه ... ويبلغ المجدَ فيها من توخاه ؟
هبكم قسوتم على من ذَنبُه كسلٌ ... عن غمرة العيش يثنيه وينهاه
ما بالُ مَن ذنبه ياقوم أنكم ... فى العجز لا فى اقتسام الرزق أشباه
دفنتم المال آكاما فهل نبتت ... فى باطن الأرض أو زادت خباياه
إن العزيز ليأبى الذل يلمحه ... كالإثم يأبى العفيفُ الذيل رؤياه
والهفَ نفسى على قوم إذا نظروا ... ذل الفقير سعوا فى كشف بلواه
وألف لهفٍ على قوم إذا شغفوا ... بالمال يدرون فى الدنيا مزاياه

* * *

(*) ألم اللذة ولذة الألم : الجزء الأول .
(*) الحياة حياة : الجزء الأول .
(*) المجد والفاقة : الجزء الأول .

الوجوه الكاذبة (*)

سـحـقـاً لهـاتيك الوجـوه فـإنهـا كـذّابةٌ لا تحـسـن التـمـويهـا
حسنتْ ولو نقلت صفات نفوسها لرأيت أقـبـح مـا رأيت وجـوها

* * *

إلى السعادة (*)

مـهْ ياسـعـادة عنى فـمـا أنا مـن رجـالكْ
لا تطـمـعى اليـوم منى بالسـعى خلف خـيـالك
فـقـد سـألتك حـتى مـلـلـت طـول سـؤالك
وقـد جـهلتك لـمّـا سـحـرتنى بجـمـالك
إن الحـبـيـب بغـيـضٌ إذا اسـتـعـزَّ بخـالك (١)
فـلا تمُرّى بـبـالى ولا أمـرُّ ببـالك
أشـقـى الأنام أسـيـرٌ مـعـلقٌ بحـبـالك

* * *

اللؤم سلاح (*)

يسـر صـديقى أن يرانى مُـبـرَّءاً من اللؤم مـوسـومـا بكل سـمـاح
كـمـا سـرَّ خـصـمـا أن يراك أمـامـه تنـازله حـربًا بغـيـر سـلاح
هو اللـؤم سـيـفٌ للّـئـيم وجُنةٌ من النـاس ، والدنيـا مـجـال كـفـاح
فـواهًا لنفـسى فى المجـال مـجـرَّدًا أضـعـت مِـجنى (٢) بينهم ورمـاحى

* * *

العقل والجنون (*)

لـيس بـين الجـنون والعـقـل إلا خطوتا سـائر فـحـاذرْ وأمـسكْ
أول الخطوتين نسـيـانك النا سَ ، وأمـا الأخـرى فنسـيـان نفـسك

* * *

(*) الوجوه الكاذبة : الجزء الأول . (*) إلى السعادة : الجزء الأول .
(١) الخال : الكبرياء والخيلاء ، أى أن أحب الأحباء تمجه النفوس إذا أفرط فى الخيلاء .
(*) اللؤم سلاح : الجزء الأول . (٢) المجن : الترس . (*) العقل والجنون : الجزء الأول .

الرجاء (*)

مـــــا للـرجـــــاء كـــــأنه نَغمٌ ... يدنو فـأسـمـعـه فـيـبـتـعـد
يا ضـاحكا للناس يخـدعـهم ... هلاً وفـيـت لهم بما تعـد
لو نال منك الناس أجـمـعـهم ... فـــــوق المرام لأمكن المدد
لكنْ بخلت فـمـا يزال لهم ... شـوقٌ إلى شـوق وإن جـهـدوا
وردوا إليك فكان أظمـأهم ... قلبٌ ـا على شطيك مَن وردوا

* * *

حظ الشعراء (*)

ملوكٌ ، فـأمـا حـالهم فـعـبـيـد ... وطيـرٌ ، ولكنّ الجـدود قـعـودُ
أقاموا على متن السحاب فأرضهم ... بعـيـد ، وأقطار السـمـاء بعـيـد !
مـجـانينُ تاهوا في الخيال فودعوا ... رواحـة[1] هذا العـيش وهو رغـيـد
ومـا سـاء حظ الحـالمين لو أنهم ... تدوم لهم أحـلامـهـم وتجـود
فـوارحـمـتـا للظالمين نفوسَهم ... ومـا أنصـفـتـهم صـحـبـة وجـدود
ويذرون من مس العـذاب دموعـهم ... فـيُنظم منهـا جـوهر وعـقـود
بنى الأرض كم من شاعر فى دياركم ... غـبين ، وغبن الشـاعـرين شـديد
بنى الأرض أولى بالحـيـاة جـمـيلةً ... مـحـبٌ عليـهـا من حـلاه نضـود
مـحـبٌ تناجـيـه بأسـرار قلبـهـا ... ومـهـمـا تردْ فى العـيش فـهـو يريد
على أنه قـد يبلغ السـؤالَ خـاطب ... خليٌّ ويُزوى عن هواه عـمـيـد
بنى الأرض لاتنضوا له السـيف إنه ... يُذاد عن الدنيـا وليس يذود
أريدَ بـه للناس خـيـرٌ فلم يزل ... به عَـمـةٌ عن نفـسـه وشـرود
تجمّـعت الأضداد فيـه فحكمة ... وحـمق ، وقلب ذائبٌ وجـمـود

(*) الرجاء : الجزء الأول .

(*) حظ الشعراء : الجزء الأول .

(١) رواحة : رفاهة .

حُمَاداه[1] صبرٌ في الحياة وإنما   هي النار تخبو ساعة وتعود
مقيم على عرش الطبيعة حاضر   ولكنه بين الأنام فقيد
إذا جال بالعينين فالكون بيته   فإن مدّ بالكفين فهو طريد
وأقصى مناه في الحياة نهاره   وأدنى مناه في الممات خلود
يرى الغيب عن بعد - فمقبل عهده   قديم ، وماضيه القديم جديد
إذا عاش في بأسائه فهو ميت   وإن مات عاش الدهر وهو شهيد
شقاوته في الشعر وهو هناؤه   وليس له عن حالتيه محيد
جنونٌ أحق الناس طرًّا بهجره   أولو الفهم - لو أن الفهوم تفيد

* * *

عـزاء (*)

لا اليأس أول يأسٍ   ولا الرجاء بسرمدْ
فإن تقضّى رجاءٌ   فإنه يتجدّد
أو حلّ يأسٌ فأهلاً   إن الطريق ممهد
شقّ الطريقُ قديمًا   فالعود أهدى وأحمد

* * *

إنصاف الظالم (*)

أنصفتَ مظلومًا فأنصف ظالمًا   في ذلة المظلوم عذر الظالم
من يرضَ عدوانًا عليه يَضيره   شرٌّ من العادي عليه الغاشم

* * *

(١) حماداه : قصاراه أو خير ما يستطيعه .

(*) عزاء : وحي الأربعين .   (*) إنصاف الظالم : وحي الأربعين .

أحـــلام الموتى (*)

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر
العبقرى عبد الرحمن شكرى) : –

ستـغـرب شـمس هذا العـمـر يومًا ويغـــمض ناظرى ليـل الحـــمــــام
فــهل يسـرى إلى قـبـرى خـيــال من الـدنـيـــا بـأنـبـــاء الأنـام
ويُمـسى طيف من أهوى سـمـيرى ويؤنس وحـــشـــتى ترجـــيع هام
وأحــلـــم بـــالـــزواهــر دائـرات وبـالـزهـر المـنوّر والـغـــمــــام
ألا لـيـت الـنـيــــام هـنـاك تحظى بأحـــلام كـــأحـــلام الـنيــام
وليـت الـورد يورق فـــوق رمـــسى فـــتـــعـــبق فى نوافـــحـــه عظامى
وأبـسـم فـى أزاهـره لِـدُنـيـــــا عـــبـست لوجـهـــهـا فــوق الرغـام

فأجابنى بأبيات يقول منها :

وكــــان الـنـصف أن نرضى بموت فـــلا طيف يـســاعـــد باللمـــام
أليس الكون أكـــبـــر منك شـــأنًا وأولـى بـالمـقـــــــادر والـنـظـام

فراجعته بالأبيات الآتية :

أبـيـتَ علىَّ أحــــلام الرجـــــام تـنـيــــر حــــواشىَ الموت الـزؤام
رضــينا بالحــمــام أصمّ يحــشـو منافــذَ حِـسـِّـه ســافى الرغـــام
رضــينا بالحــمـــام كـــمـــا رضـينا بعـــيـش نوره ظل الحـــمــــام
خلعت اسـمى على الدنيـا ورسـمى فــمـــاأبكى رحـيلى أو مـــقــامى
حـــيـــاتى فى حـــيـــاة الكون طرًّا كــقطر الغـيـث فى اللجج الطوامى
ومـــا شـــمس الحـيــاة بمسـتــحـيل سناها إن قـــضـــيـتُ إلى ظلام
يظل الحـسن فى المعـشـوق حـسنًا وإن حــســرت لحــاظ المســتــهـام

***

(*) أحلام الموتى : الجزء الأول .

ضيق الأمل (*)

شــرٌّ مــايلقى الفــتى أجلٌ ضـــيقٌ عن واسع الأمل
ولشـــرٌّ منهـــمـــا أمل ضيق فى فــسحــة الأجل

* * *

الشىء من غير معدنه (*)

لـيس أضنـى لـفــــؤادى من عـــجــوز تتــصـــابى
ودمـــيم يتـــحـــالى وعليم يتـــغـــابى
وجـــهـــول يملأ الأر ض ســـؤالا وجـــوابا

* * *

خفـ العيش (*)

خفْ الـعـــيش فـــإن المو ت لا يفـــجـع مـــولـودا
وإن المـــوت إذ يـــأتـــيـــ ـك لا يلفـــيك مـــوجـــودا !

* * *

السعادة (*)

إن الشـقىّ الذى لا صِنْوَ يشـبـهـه وللأصـــاغـــر أشـــبـــاهٌ وأمـــثـــال
من شـــابه الناسَ ســرَّته مــودتهم ومن عـــلا عنهمُ ســـاءت به الحـــال
فـاهنأ بجـدك إذ تشـقى بعـزلتـه وليــحظ بالصــفـو أوغــادٌ وجــهــال
إن السـعـادة تحت الأرض مـعـدنهـا لا يطلب السـعـد من آوته أجـيـال

(*) ضيق الأمل : الجزء الأول .
(*) الشىء من غير معدنه : الجزء الأول .
(*) خف العيش : الجزء الأول .
(*) السعادة : الجزء الأول .

زمانـــــا (*)

فـشت الجـهـالة واسـتـفـاض المنكر ... فـالحق يهـمس ، والضـلالة تجـهـر
والصـدق يسرى فى الظلام ملثّمًا ... ويسـيـر فى الصبح الرياء فـيسـفـر
إنا لفى زمن كـأنَّ كـبـاره ... بسـوى الكبـائر شـأنهـا لا يكبـر
من كل ذى وجـه لو آن صَـفـاته ... تَندى لكان من الفـضـيحـة يقطر
بئس الزمـان لقـدٍ حـسبت هواءه ... دنسًـا وأن بحـاره لا تطهـر
وكـأن كل الطيـبـات يردها ... فـيـه إلى شـر الأمـور مـدبّر
وثب اللئـام إلى ذراه فـقـهـقـهـوا ... إن القـرود لبـالتـسلق أخـبـر
مـانيلَ فـيـه مطلب إلا له ... ثمن من العـرض الوفـيـر مـقـدر
وبقـدر مـابذل امـرؤ من قـدره ... يُجزى ، فـأكـبـر من تراه الأصـغـر

***

صلاح المشيب (*)

أبعـدَ الشـيبِ ترغب فى الصلاح ... وتزهد فى المدامـة والملاح
فـرغتَ من الحيـاة فـأنت ترجـو ... حـيـاةً فى الفـراديس الفـساح
رجـعت عن الحـرام وأنت عندى ... عـجـزت عن المحـرّم والمبـاح
فـمـا تقـوى الشـيـوخ سوى اضطرار ... كـتـقـوى اللص بات بلا سـلاح

***

(*) زمانتا : الجزء الأول . ١١١ (١٠٦ فقرة ٢٦) .
(١) الصفاة هى الصخرة . كأن هذه الوجوه من الصخر الذى لا يندى .
(*) صلاح المشيب : الجزء الأول .

عمر يوم(*)

من الناس فدم يومه مثل أمسه ... فأيامه ما عاش يومٌ مكرّر
تسربل حينًا بالحياة فشانها ... كما يلبس الخزَّ الأجيرُ المسخر

* * *

الملام (*)

أنا لا ألوم ولا أُلام ... حسبى من الناس السلام
ليس العتاب بمصلح ... خللا توارثه الأنام
أنا إن غنيت من الأنا ... م فقد غنيت عن الملام
وإذا افتقرت إليهمُ ... فاللوم من لغو الكلام

* * *

الفضل المغموط(*)

إذا كنت ذا فضل فلا تكُ غابطًا ... جهولاً بلا فضل لديه يُعظَّم
لعلك لا ترضى ، وقدرك خاملٌ ... بأنك تغدو مثله وهو مكرَم
وأجملُ ألا يعرف الناس فاضلا ... ويعرفهم ، من أن يموق ويعلموا

* * *

قانون العظماء(*)

لاتلحَ ذا بأس وذا همة ... على ذنوب العصبة الغلّب
فليس مقياسك مقياسهمً ... ولاهمُ مثلك فى المأرب

(*) عمر يوم : الجزء الأول . (*) الملام : الجزء الأول . ١٢٠ (١١٧ - فقرة ١٠٦) .
(*) الفضل المغموط : الجزء الأول . (*) قانون العظماء : الجزء الأول .

والليث لا توثِق أعضاده … حبالة تنصب للثعلب
انظر إلى ما خلّفوا بعدهم … من المعالى ثم لُمْ واعتب
لم يَخط إن داس رؤس الورى … من علِقت كفاه بالكوكب
من ركب الهائل من أمره … فعذره فى ذلك المركب

* * *

مدح الناس (*)

ما عهدنا الأنام أجودَ بالمد … ح لأعلاهُم لديهم مكانا
إنما يُظهرُ الأنام ضئيلا … لِيس يخفيهمُ إذا هو بانا

* * *

حب النفس (*)

ما فى الأنام سوى محب وامق … سكن الغرام بكل قلب خافق
فى كل قلب صورةٌ معبودة … وكمينُ وجد بالجوانح عالق
لا القبح ينقصه وليس بزائد … حسن الشمائل فى هواه الصادق
عشق تملّك كل نفس حية … فى الكون والمعشوق عين العاشق

* * *

كنت فصرت (*)

كأس الحياة أعلّينى على ظمأ … وبللى بالحُميّا طين صلصالى
وأسكرينىَ حتى لا يكون ردى … إلا كما غاب حس بعد جريال(١)
وفتشى فى زوايا القلب فاقتدحى … ظنًا بظن وبلبالا ببلبال
إنى حسبت حياتى غير واحدة … من التغير من حال إلى حال
. . . . … . . . .

* * *

(*) مدح الناس : الجزء الأول . (*) حب النفس : الجزء الأول .

(١) جريال : خمر ، والمقصود أن خبر الموت ما كان من فرط الشبع بالحياة كالغيبوبة بعد الارتواء من الخمر .

(*) كنت فصرت : الجزء الأول ١٢٢ (١١٨ (فقرة ١١٠)) .

إن الحياة حياة كيفما اختلفت ... ألوانها من مسراتٍ وأوجال
كم ذا أهبت بروحى أن تفارقنى ... ورحت أجفل منها أى إجفال
فالآن أنشد آلامى وأحمدها ... كيما أُحس بروحى بين أوصالى

* * *

الغنى والسعادة (*)

لا تحسدنَّ غنيًّا فى تنعُّمه ... قد يكثر المال مقرونًا به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها ... والماء عند ازدياد النيل يعتكر

* * *

ياكتبى (*)

ياكتبى أشكو ولا أغضب ... ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتِنى حسرة ... هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبى ألبستَ جلدى الضنى ... لم يغن عنى جلدك المذهَب
كم ليلة سوداء قضيتها ... سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى ... جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إمَّا غارق فى الكرى ... أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه ... فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله ... بيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتنى ... وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى ... وخبرة صاحبها متعب
إذا أرانى النور قبحًا فيا ... حُسن الذى يضمره الغيهب
ياكتبى أين ترى المُنتأى ... عن أسر أرواحك والمهرب
أنقت منى ما يضن الورى ... به على الله ولم يذنبوا!

(*) الغنى والسعادة : الجزء الأول .
(*) ياكتبى : الجزء الأول .

من ضــوء عــينىّ ومن صــحــتى
سـدًى ومن وقـتى ومــا أكـسب
ومن شـبــاب فـيكِ ضـيـعـتـه
فـمــا أنا إلا الفـتى الأشـيب
لو كنت كــالجـبــار فى نقـمـتى
لكان فى النار لهــا مــعطب
فى ذمـــة الطرس وفى حــفظه
عــمــر تقـضّى شطره الأطيب
لا رحم الرحــمن فـيــمن مضى
من علّم العــالم أن يكتــبــوا

* * *

الشيب الباكر (*)

مـا أقبل الليل حتى طرتَ بالقـمَم
ياصبحُ جرت على الظلماء فى القِسَم
وما انقضى شفق الأيام عن عمُرى
فكيف لحت بفـجـر منك متّـهـم ؟
لو كنت تحـسب أيامى لما خطرت
يداك ياشـيبُ فى مـسـودّة اللِّمم(١)
دون الثلاثين تعرونى ؟ وما انصرمت
إلا كـمـا تنقضى الأعوام فى الحلُم ؟
مـرت بقـادمـتىْ نسـر مـوليّـةً
وكنتُ أعـهـد فـيـهـا ثقلة الرخم
ومـا اعـتـدادك بالأيام تحـسـبـهـا
وإنما أنـت خـــدن الـويل والألـم
إذا ألمَّا بإنسـان.صـحـبـتـهـمـا
فـانزل فـقـد نزلا فى أعظمى ودمى
مـــا أنت طارق دار لا رفــيق بهـا
ولستَ مُـهـرِم قلب ليس بالهـرم
قد شبتُ والشعر مسودٌّ فما عجبى
من واضح الشيب بعد الشيب فى القتَم
مـا كان مسودّ شعرى وهو مشتمل
عليك إلا كـجلبـاب من الكتـم(٢)
قل لابن تسـعين لا تحـزن فـذا رجل
دون الثـلاثين قـد سـاواك فى الهـرم
إذا ادّكرتَ شبابًا فى النعيم مضى
لم يذكـر من شـبـاب كـان أو نعِم
وما انتفاعى وقد شاب الفؤاد سدى ،
إن لم تشب أبدًا كـفى ولا قـدمى
وليس ما يخدع الفتيـان يخدعنى
كـلاّ ولا شيم الفتيـان من شيـمى
ياشيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها
فـانزل بلا ضـائق بالشـيب أو برِم(٣)
من لا يبـالى أفـجـر أنت تنذره
بالصبح أم أنت ضوء النجم فى الظلم
يامـرحـبًـا بصـبـاح ليس يسلبنى
صـفـوًا ، وبُعْـدًا لليلٍ فـيـه لم أنم

(*) الشيب الباكر : الجزء الثانى .
(١) اللمم : جمع لمة وهى الشعر .
(٢) الكتم : صبغ للشعر والمعنى أن الشعر الأسود الذى ينطوى على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ .
(٣) برم : متضجر .

إيه يادهر (*)

إيه يادهر هات مــاشــئـتَ وانظر عــزمــات الرجــال كــيـف تكون
مــا تعــســـفتَ فى بلائك إلا هان بالصـبــر منه مــالا يهــون

* * *

الخداع القاتل (*)

إلامَ تخدعنى عينى وما انخدعت نفـسى ولكنها تهـفـو مع البـصـر
جـــربت كل خليل فى مــودته فما جمعت يدى إلا على صَفر (١)
أكلمـا ضـاء لى نجم فـأتبـعـه ، خبـا الضـيـاءُ فلم أبصر سوى كـدر
أكلمـا قلت هذا جـوهر ، نَطقتْ عليــه دونَ بنانى حـســةُ الحـجـر
أكلمـا لاح لى صـيـدٌ فـأحسبه صيد الأسود ، إذا الجرذان فى الأثر
أكلمـا قلت هذا كـوثر خَـضِـرٌ تجمع الصابُ لى فى الكوثر الخضر (٢)
ويلاه ! مـا أحقـر الدنيا وأبغضـهـا لم ينجُ أحسن ما فيـها من القـذر
عَزَّ الكمال على خَلْق الخيال فما طمـاعــةُ المرء أن يلقـاه فى البـشـر

* * *

الهـــداية (*)

كم فى الســمــاء نجــوم ضلت ســواء السـبــيل
وأنت فى الأرض تبــغى هدْيًا بغــيــر دليل ؟

* * *

(*) إيه يا دهر : الجزء الثانى .
(*) الخداع القاتل : الجزء الثانى .
(١)صفر : خلو . (٢) الخضر : البارد .
(*) الهداية : وحى الأربعين .

سحر الدنيا(*)

سـحـر دنيـاك يـاأخىَّ قـديم سـوف يبـقى ، ويذهب الكهـان
أفـيـمضى بسحـرها كـاهنٌ مـا ت وفـيـهـا الشمـوس والأغـصـان ؟
أفـيـمضى بسحـرها كـاهن مـا ت وفـيـهـا الثغـور والأجـفـان ؟
أفـيـمضى بسحـرها كـاهن مـا ت وفـيـهـا الألحـان والألوان ؟
كـاهن الأولين أول مـسحـو ر ، وفى كل حـقـبـة ترجـمـان
سـحـر دنيـاك دائم حـيـثـمـا دا م عليـهـا الإنشـاد والتـبـيـان
سـحـر دنيـاك دائم حـيـثـمـا دا مت عليـهـا الحـيـاة والإنسـان

* * *

فلسفة حياة (*)

الغـرام المُلْك ، والملكُ الضـيـاعْ هات لى الحسن الذى ليس يضيعْ
ليلة قـمـراء ، أو سـحـرَ سـمـاع أو قـصـيـدًا راق ، أو زهر ربيع
قـال قـومٌ زينةُ الدنيـا خـداع قلت خـيـرٌ ! بالذى نشرى نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيـا وصـامْ أنا أنعـاها ولكن لا أصـوم !
طامع الغـرب رعى الدنيـا وهام أنا أرعـاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حـدٌّ قـوام ولْيَلُمْ من كل حـزبٍ من يلوم

* * *

أيهـا السـائل : مـا بعـد المماتْ ؟ يمم الصـحـراء وانظر قـفـرها
مـاوراء القـبـر فى قـول الثـقـاةْ حـالة تحـمـد يومـا سـرها
لستَ بالراضى حـيـاةً كـالحـيـاة لا ولا ترضى حـيـاةً غـيـرها

* * *

(*) سحر الدنيا : وحى الأربعين .

(*) فلسفة حياة : وحى الأربعين .

يعـبـد الأقـوام مـايخـشـونه وأنا أعـبـد مـا لست أخـاف
لـيس ينسى الله من ينسـونه فـعـلام البـحث فـيـه والخـلاف
إن وصلتم أو وقـفـتم دونه لـم يقف دون مـقـام أو مطاف

* * *

شـرعُك الحـسن فـمـا لايحـسن فـهـو لا يحلو ، وإن حلّ الحـرام
لـيـس فـى الحـق أثـامٌ بـيِّـنٌ غـيـر مسخ الحـسن أو نقص التمـام
مـا عـدا هـذين مما يمكـن فـاسـتـبـحـه ، على الدنيـا السلامْ

* * *

إنذار الغضب
إلى الحق المحتجب(*)

ياحقُّ لا تبـرح خـبـاءَكْ أتعـبـتنا سـعـيًـا وراءك
فـيـم الإباء ؟ ولـم نكـن يا حق إلا أصـدقـاءَ ك
فـالزم مكانك فى الثـرى إن شئت ، أو فـالزم سماءك
مـا الروضـة الغناء ذا بلةٌ إذا حُـرمتْ ضـيـاءك
والنـاس لا يجـفـوننا يومًـا ، إذا علمـوا جـفـاءك
والحـسن عند المبطلـ ـين ، وعند من يهوى عداءك
مـا فـاز من يرجـو رجـا لك فى الحـيـاة ولا نسـاءك
أنا إن سلوتك لـم أكـدْ أشـتـاق مـا يغنى غناءك
يـاحق هـذا حـدُّنا فـاختـر ظهـورك أو خـفـاءك
إن جـئـتنا طوعـا فـجئْ أوْ لا فـلا تبـرح خـبـاءك ! .

* * *

(*) إنذار الغضب : وحى الأربعين .

كل ما فيها امرأة (*)

أيّمـــا لـفـظة جـــرتْ من فـم المـرأة امــــــرأة
تبـتـغى الزوج من فـئـةْ والأخـــلاّء من فـــئـــةْ
لـيس بـالجـــسم وحـــده يعـــرف «الجنس» منشـــأه

* * *

المعروف والمنكر (*)

كل مـــاتصنع الحـيـــاة يُرجّى من بنيـهـا قـبـوله واعـتـقـاده
فـإذا أنكروا قـبـيحًا فـفى القبـ ـح من الموت لونه أو شـعـــاره
ذاك لـب اللبـاب فى كل شىء ، شطٌ بالفكر أو تدانى مــــزاره

* * *

حكمة التوائم (*)

حـكـيمٌ ذلـك الـتـــوأمْ ومـن آبـائـه أحــــــزمْ
تهـــيّب أرضـــهم فـــردًا فـــجـاء بصـاحب مُلزم !
ولـو جـــاء بجـــيش كـــا ن فى تـدبـيـــره أحـكـم !

* * *

(*) كل مافيها امرأة : «الجنس» عابر سبيل ص ١٠٨ .
(*) المعروف والمنكر : وحى الأربعين .
(*) حكمة التوائم : وحى الأربعين .

على بحر الحياة (*)

أمن نظرة الآباد والمثل الأعلى ... إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى ؟
لقد كانت الأجيال عندى قريبةً ... فقد عادت الساعات توسعنى ثقلا
نظرتُ إلى عُليا الحياة أرودها ... فألفيتها صفرًا ، ولم أحمد السفلى
فآليت أقضيها كمن راح طافيًا ... على اليمِّ ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلا
فإن شئتَ قُلْ هذا غريق وإن تشأ ... فقل سابحٌ لم يدر أقبل ولّى

* * *

نقمة فى نعمة (*)

نعمة الإحساس ما برحت ... نعمةٌ فى طيها نقمُ
لا يحس الفقدَ فاقدها ... ونصيب الواجد الألَمُ

* * *

رعونة الحياة (*)

فيم اقتحام جنين واهن عُطُل ... أرضًا أبوه بها حيرانُ مهموم
هى الرعونة فى طبع الحياة ثوتْ ... وإنما حكمة الأقوام تعليمُ

* * *

(*) على بحر الحياة : وحى الأربعين .
(*) نقمة فى نعمة : وحى الأربعين
(*) رعونة الحياة : وحى الأربعين .

بنية قوية (*)

تعاقب السوس والجراد وما باد ربيع ولا انطوى شجر
فلا تخف آفة ولا غيرا يُمنى بها فى الضمائر البشر
دنياك هذى قويةٌ صمدت لكل شر جرى به القدَر

* * *

ما فوق الحياة (*)

ياطالبًا فوق الحياة مدًى له يعلو عليها - هل بلغتَ مداها ؟
ما فى خيالك صورة تشتاقها إلا وحولك لو نظرت تراها
ولو استويت على الخلود وجدتَها كفؤًا لعينك لا تروم سواها

* * *

على الشاطئ (*)

وردوا البحر فأهلاً بهمُ - يابحر - أهلا
أنت لا تحفل منهم مَن وَلَى أو من تولَّى

* * *

نزلوا شطَّك غيدًا وشبابا ومشيبا
طلبوا فى الماء بردا فذكا الماء لهيبا

* * *

(*) بنية قوية : وحى الأربعين .
(*) ما فوق الحياة : وحى الأربعين .
(*) على الشاطئ : وحى الأربعين .

وردوا البحر عطاشا   رشفوه . غرفوه !
لو يكون البحر بحرًا   من سرور نزفوه

* * *

المساكين يريدو   ن من الدنيا اتساعا
اخدعوها ، فهى لاتو   سعكم إلا خداعا

* * *

وإذا لاحت بوجه   يملأ الأبصار رعبا
فاضحكوا منها وقولوا   ما أُحَيْلى ما أحبا !

* * *

وإذا مدت إليكم   بيد فيها الحمام
فخذوا الموت وقولوا   هو خلدٌ وسلام !

* * *

نصف رغيف (*)

عجبى للحياة أشرف ما تحو   يه وقف على الحقير الطفيف
صفحات السماء والأرض طرا   والمعانى من تالد وطريف
والوجوه التى تشوقك حسنا   تنطوى إن فقدت نصف رغيف

* * *

ذات وجوه (*)

وجوه حياتنا متعدداتٌ   ودع عنك البراقع والطلاء
فإن تحمد وسامتها صباحا   فقد تنعى دماتها مَساء

* * *

(*) نصف رغيف : وحى الأربعين .

(*) ذات وجوه : وحى الأربعين .

ضلال الخلود (*)

كان فى الأرض قبل عشرين ألفا ... من سِنى الأرض ، شاعرٌ عبقرىٌّ
كان ، لا شك فيه عندى ولا ميـ ... ـن ، وإن شك جاحدٌ وغبىٌّ
نظم الشعر فى الحسان وحيّى ... قبلةَ الشمس وهو داع شجىٌّ
ليت لى من قصيده بيت شعر ... فى ثنايا البلاد يروِّيه حىٌّ
ليت لى من قصيده فردَ بيتٍ ... صح أم لم يصح منه الروىّ
اشترى بيته بديوان شعبـ ... ـين ، فأين المساوم الصيرفىّ ؟!
ضلةً للخلود نأسى عليه ، ... أخلد الخالدين فينا دعىٌّ !

***

أصداء الشارع (*)

بنو جرجا ينادو ... ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألو ... ك تعريبًا وتتريكا
وبتراكى إلى الجو ... د على الإسلام يدعوكا
وفى كفيه أوراق ... بكسب المال تغريكا
وأقزامٌ من اليابا ... ن بالفصحى تحييكا
وإن لا تكن الفصحى ... فبالإيماء تغنيكا
قريبٌ كلها الدنيا ... كرجع الصوت من فيكا
دعى الداعى فلبوه ... طغاةً وصعاليكا
إذا ناديت يا دنيا ... رُ من ذا لا يلبيكا ؟!
فما فى الناس هاذاك ... ولا فى الأرض هاتيكا

(*) ضلال الخلود : وحى الأربعين .

(*) أصداء الشارع : عابر سبيل .

عصر السرعة (*)

طاروا وداروا مسرعين فى الثرى ... يركب منهم رأسه من ركبا
لولم يكن هذا الزمان آفةً ... ما اتخذوا السرعة منه مهربا

* * *

عسكرى المرور (*)

متحكمٌ فى الراكبين ... وماله أبدًا ركوبَهْ
لهم المثوبةُ من بنا ... نك ، حين تأمر ، والعقوبَهْ
مر ما بدالك فى الطريق ... ورُض على مهل شعوبَهْ
أنا ثائر أبدًا وما ... فى ثورتى أبدًا صعوبه
أنا راكب رجلى فلا ... أمرٌ علىّ ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه ... فى هذه الدنيا العجيبه

* * *

الفنادق (*)

فنادقُ تشبه الدنيا لقاءً ... وتفرقةً ، وإنْ قصر المُقام
تقول لكل من وفدوا عليها ... بأن العيش نهب واغتنام
فمن تلقاه فى يوم صباحا ... تفارقه إذا جنّ الظلام
ورب عصيةٍ فى الحب باتت ... وأقربُ من بدايتها الختام
تقول لقلبها ما الحب إلا ... أمانٌ حيث يزدحم الزحام
فلا سر هنالك مستباحٌ ... ولا شوق هنالك أو غرام

(*) عصر السرعة : عابر سبيل . (*) عسكرى المرور : عابر سبيل . (*) الفنادق : عابر سبيل .

منازلٌ كل مـا فـيـهـا انسـجـام ! | منازل كل مـا فـيـهـا انقـسـام !
ومـا افـتـرقت شـعـوب الأرض يومـا | كـمـا افـتـرقـوا ، إذا انصـرفـوا أو هامـوا
فـفـيـهـم يافثٌ حـينا وشـيثٌ | وفـيـهـم تـارةً حـام وسـام

* * *

المصرف(*) «البنك»

شـبـران من ذاك البناء
بينى وبين المال والدنيـا العـريضـة والثـراء
ليست بأقصى فى الرجاء
من حـفـرة المدفـون فى شـبـرين فى جـوف العـراء
كـلا ! ولا أدنى على قـرب المزار لمن يشـاء
أعرفت آماد السماء ؟!

* * *

فى سكَّتى أبدا ومـا
من سكة أبدا إليـه ، ولست ألغـز عندمـا
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعـينيك البناء سـمـا وطال وأظلمـا
واسـأل : أهذا مـصـرفٌ مـلأوا جـوانبـه دمـا ؟
تجدْ الصواب مجسما

* * *

فـيـه دم لا شك فـيـه
فى كل طرس أو كـتـاب أو سـجل يحـتـويه
ودم المقتـر والسـفيه
يجـرى هناك وأنت تحـسـبـه من الورق الرفـيـه
نُغليـه كـالدم فى العـروق سـرى ، وكـالدم نتـقـيـه
وسـل المدلـس والـنـزيـه !

* * *

(*) المصرف : عابر سبيل .

* * *

سلنى فلم أك طالبـــــا
ورقًا هنالك على الرفوف أنال منه جانبا
وأعــد منه حاســبا
ألا لأوراق أراها قارئا أو كاتبا
ولما تجيش به الخواطر حاضرا أو غائبا
ودع الحســـود الغاضـــبا

* * *

يارب .. ويا خلق ! (*)

يــارب !

يــارب أعــطــيــنــاك أرواحــنــا ... فى هذه الحــرب وفى الماضــيــة
يا ربنا فــــاقض لنا مــــرةً ... بالسلم فى أيامنا البــاقــيــة

ياخلــق !

ياخلق مــا أرواحكم ســمــحــةٌ ... عندى ، ولا إنْ سمحت كافيه
أعطيــتــمُ إبليس أضــعــافــهــا ... من حَــيَــوات عندكم غــاليــه
وبعـــتمُ فى ســوقــه كلّ مــا ... وهبــتكم من عــيــشــة راضــيــه
لم تشـــتــروا السلم بأرواحكم ... بل اشـــتــريتم نقــمــة ثانيــه
عطاؤكم إبليس ســــمحٌ بلا ... أجــر ولا أمنيــة خــافــيــه
ومـــا بذلتم قط لى قــربةً ... إلا رجــاء العــفــو والعــافــيــه !

* * *

(*) يارب .. يا خلق ! : أعاصير مغرب .

بابل الساعة الثامنة (*)

(فى بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة ، فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين ،حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع ، كلٌّ وما يبيع ، وهى خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه ، فهى بابل لامراء ! .

قابلْ بين بابل هذه وبابل الفجر الذى تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط ، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور ، وإن هذه المقابلات جميعًا لحقيقة فى الشعر ببعض الأصغاء) .

كم بابلٍ فى الساعة الثامنهْ ... تثــور فى حلتنا الســاكنهْ
خـفـيـةَ الأصـداء لا تنجلى ... ولم تكن عـجـمـاء أو واهنة
شـتى فـإن أفـردتهـا لم تكد ... تـبين منـهـــا لفظة بـائـنـة
كـــأنما تصـــغى إلى راطن ... يتــعـــتع الأحـــرف أوراطنة
فلفظة ينطقــهـــا دونهـــا ... عـشرون فى حلقومه قاطنة
واسمٌ يليـه اسم ومـاجَـمّعتْ ... قـــرينةٌ بينهـــمـــا قـــارنة
إن بعـدت عن سامع أو دنت ... لم تـدنهـا أوصـافـهـا المائنة
البـرتقـال الحلو والفـحم والا ... طبــاق والريحــانة الفــاتنة
والبيض والأثواب والتبغ والأ ... خـــشــــاب والزينة والزائنة
وأشـربات العصـر فى حيـنهـا ... مـثلوجـة إن شـئـت أو سـاخنة
والـناى والأرغـن تتلوهـمـــا ... ربابـةٌ كـــالهـــرة الداجنة

(*) بابل الساعة الثامنة . عابر سبيل .

ومن يناديهـا ويدعـو بهـا إليـه ، فى زوبعـة زابنة[1]
مـخلوطة ممزوجـة كلهـا معجونة فى لفظها عاجنة
فى بابل البـاعـة تلك التى تسـمـعـهـا لا بابل الحائنة
يحسبها الشرطى حتى إذا حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقـهـا فـانطلقت فـجـأة على الحمى كالغارة الكامنة
تجـدّ أقـصى الجـد لكنهـا فى السمع كالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بى صحـوة أو أرّقـتـنـى خطرة رائنة
أيـقـظـنـى مـن بـابـلـى هـذه نفير حربٍ فى القرى الآمنة

* * *

عباد الطغيان (*)

كلكم . كلكم مع الغـالـب الظا لم لا تعـدمـوا من الظلم رغـمـا
لو وقـفـتم يومـا إلى جـانب المغلو ب مـا فـاز غـالـبٌ قطُّ ظلمـا

* * *

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه (*)

تعلم كـيـف تسـتـغنى إذا مـاشـئت أن تغنى
فـمـن يجـهـلُ مـايُلقى فـقـد يجـهل مـا يُـجنى

* * *

(١) زابنة : دافعة .
(*) عباد الطغيان : أعاصير مغرب .
(*) اعرف ما ترميه : وحى الأربعين .

فصد ! (*)

قالوا هى الحرب فصْدٌ به الشفاء يُؤمَّل
قلنا : نعم . فصد عرق حىّ وإعفاءُ دُمَّل !

***

الخلود المزدرَى (*)

نفوسٌ أعاف مقامى بها أأخلد فيها ؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أعاف وجودى به أليس كفيلا ببغض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبى خالد يك . وقل مَن مُزَكٍّ لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدا إذا سُرمدوا فى ضمير القرود
فرب خلود كقيد السجـ ـين ونسيان قومٍ كفكّ القيود

***

الشعر (*)

إنى ألوذ بشعرى حين يَطرقنى من الطوارق نُزّالٌ وضيفان
والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذّ بين الناس رحمان
كأن من صُور إِسرافيلَ دعوته لو يسمعُ الصورَيوم البعث صفوان
يظل ينطف من ماء الحياة ندًى على الجماد فيزكو فيه ريَعام
فما يزال لراويه وقائله من الخلائق سُمّار وخُلصان
يجنى المودة مما لاحياة له إذا جفاه من الأحياء خوّان

(*) فصد : أعاصير مغرب .

(*) الخلود المزدرى : أعاصير مغرب .

(*) الشعر : من قصيدة الحب الأول (جزء ١) ٣٧ (٢٠ نقرة ٥٤) .

ويحسب النجمَ ألحاظا تساهره ... والودقَ يبكيه دمع منه هتان
إذا تجهم وجهُ الناس ضاحكه ... ثغرُ الورود ومال السرو والبان
أوملَّ هاتفةَ الأصوات أسمعه ... للريح والغاب أبواقٌ وعينان
تُفضى له ألسن الدنيا بما علمت ... كأنما هو فى الدنيا سليمان
لقد عبدتُ الأقانيم التى جمعت ... ما فرقته أقانيم وصلبان
الحب والشعر دينى والحياة معا ... : دين لعمرك لا تنفيه أديان
هى الحياة جنين الحب من قِدم ... لولا التجاذبُ ما ضمّتك أكوان
والشعر ألسنةٌ تفضى الحياة بها ... إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة ... خرساء ليس لها بالقول تبيان
ما دام فى الكون ركنٌ للحياة يُرى ... ففى صحائفه للشعر ديوان

* * *

سر فى طريقك (*)

سر فى طريقك بين اللائمين ولا ... تحفل بمن جدَّ فى لوم ومن لعبا
فالناس يرضون عمن ليس يحفلهم ... ويغضبون على من يحفل الغضبا

* * *

الخلاصة (*)

ليست خلاصةُ كل شيء غُنيةً ... عنه ، وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا ... يغنى العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(*) سر فى طريقك : وحى الأربعين .
(*) الخلاصة : وحى الأربعين .

وصايا معكوسة (*)

من عمل بها فعليه وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله : «اذهب إلى السوق فهات عنبا حامضا ! » فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه ، وكذلك هذه الوصايا إنما هى وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب .

والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانا بين الناس ، وتنكر أن يشيع) :

الضعة والشرف (*)

وال المدنَّس بالعيوب ولا تكن ... يوما وليًّا للنبيل الطاهر

فذووا المعائب لا تناحر بينهم ... والنبل فيه سبيل كل تناحر

وذوو المعائب آمنون لمن وفى ... والنبل ليس بآمن للغادر

وذوو المعائب مالهم من حاصر ... والنبل محصورٌ قليل الناصر

وذوو المعائب يسترون خلالهم ... والنبل ما لهناته من ساتر

وذوو المعائب عذرهم فى نقصهم ... والنبل ما لكماله من عاذر

وذوو المعائب ينعمون بحظهم ... والنبل ما لشقائه من آخر

ولرب ربح فات من ذى ذمة ... يسعى إليك مع الخؤن الخافر

رأىُ السلامة إن أردت فخذ به ... أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

* * *

(*) وصايا معكوسة : وحى الأربعين

(*) الضعة والشرف . وحى الأربعين .

بمن تثق ! ؟ (*)

ثقى بالرذيلة تلقــــهـــا   فى كل حين حـــاضـــرةْ
إن الفـــضـــيلة قلّمــــا   تلقـــــاك إلا عـــــابرة
حـــتى الأفــاضل عــرضــةٌ   لهـــوى الـهنات البـــادرة
مــــــــاكـل يـوم يُـرتجى   عطفُ الـنفـــوس الطاهرة
ومـــن الـــنـــوادر أن تـــرى   عـنـد الـتـــعـطُّف قـــادرة
مـــن لـــم يـــدُر فـــى دهـــره   دارت علـيــــــه الـدائـرة

* * *

ومن تكون (*)

ومن لا تكون

كن بينهـم « بوذا » فـــإن لم تطقْ   فكن كـــتـــيـــمـــور ونيـــرونا . .
أو عش مـــعـــافىً بينهم لا ترى   إصـــلاحَـــهـم دنيـــا ولا دينا
قـــد ضل من يطلب إصـــلاحـــهم   لا غـــرو أن ســــمـــوه مـــجنونا !
يأمنـهم مـن فــــاتهم طائعًـــا   أو ســـاقـــهم كـــرهًا مطيـــعـــينا
أو راح منهم طالبًـــا نفـــعـــه   لا عـــــاليًـــــايأبى ولا دونا
مـــن هـــان أو هـــان الـورى عـــنـده   أو ســـامـــهم فى ظلمـــه ا لُهـــونا
أولـــئـك الـــرهـط الـــذى لـــم يـــزل   يأمن مـــا يخـــشى النبـــيـــونا
يابؤس أرض لا ترى فـــوقـــهـــا   إلا طغــــــاةً أو مـــــــرائينا

* * *

(*) بمن تثق : وحى الأربعين .
(*) من تكون : وحى الأربعين .

صور الرجاء (*)

أمسيت أذكر مامضى من صبوتى ... والذكر آمال الزمان الغابر
قد ييأس الإنسان من غده ولا ... تلقاه ييأس من حنين الذاكر
ماشئت من صور الرجاء فلُذْ به ... بعضُ الغد الآتى كأمس الدابر

* * *

قرش معقول (*)

إن أحبوا القرش لم يجدوا ... عجبا فى حبه الخطر
فإذا ما الطفل هام به ... جعلوه طرفة السمر
يامحبى القرش ويحكمُ ... هل سمعتم أصدق الخبر ؟
هل علمتم فى طرائفكم ... أىّ قرش بالهيام حَرِ ؟
ذاك قرش الطفل نضحك من ... حبه إياه فى الصغر
وهو أولى من قروشكم ... كلها بالحب والسهر
هو « حقّ » عنده جلل ... حاضر الميعاد والأثر
ثمن الحلوى يلذ بها ... وجمال الحسن والنظر
وأفانين الملاعب لم ... تخل من نفع ومن ثمر
وهو وهمٌ فى خزائنكم ... وخيال كاذب الوطر
وسجين ثم مدّخر ... لرجاء غير مدخر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا ... منه بالآيات والعبر
الحياة الحق ناضرة ... فاقطفوا من غصنها النضر

* * *

(*) صور الرجاء : وحى الأربعين .

(*) قرش معقول : عابر سَبيل .

جلال الموت (*)

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا جـــلالة حق لا جـــلالة باطل
فــلا تجــعلنّ الموت حــجــة كــاذب لمدحــة مــذمــوم ورفــعــة ســافل

* * *

عصر السرعة (*)

- ١ -

طـــار فـــى الـــذرى هام فـى الســــهــــول
مــــســـــرع الخطى حــيـــثــمـــا يجـــول
مـــــالــه عــــــدا عــــدوة الـوعـــــول
مـــــــالــه ســطــا سطوة الســـيـــول
فـى صــــعـــــوده يشـــبـــه النزول
تـلـك ســــرعـــة الحــــا ثـــر المــلــــول
تـلـك ســــرعــــة الآ ثم الخــــجـــول
أيـن ســــرعــــة الــــ ــســــعـى والـوصـل ؟

* * *

التقــديس (*)

عـــارفُ التـــقـــديس رو حىٌّ ، وإن قـدّس جـســمـا
ومُــهين الجــســم جــســمـ ـىٌّ ، وإن كـــان «برَهـمـــا »
أنت بالتـــقـــديس تســمـــو لا بما قـــدسـتَ تُـســـمى

(*) جلال الموت : وحى الأربعين . (*) عصر السرعة : عابر سبيل .
(*) التقديس : هدية الكروان .

السرور (*)

منع السـرورَ حـذار قلبىَ قـبله — ألا يتمّ ، وبعـده التنغـيـصـا
ويـزيـدنـى كـلَفـا بـه وضـنـانـةً — ألا يبـاح - إذا أُبيح - رخـيـصـا

* * *

حكمة الجهل (*)

ألـم أقـل لـك مـهـلا — فـالنـاس لؤم وشـر
لا تـولـهـم منـك عطـفـا — فـهـم من العطف صـفـر
لـو كـنـت تـعـلـم عـلـمـى — لمـا أصـابـك ضُـر

نـعـم نـعـم . قـلـت هـذا — إنـى بذاك مُـقـرّ
وأنـتَ عـنـدىَ طـفـلٌ — وأنـت عـنـدى غِـرٌّ
ومـا لـقـولـك وزن — ومـا لنـصـحـك شكر
أنفـقـت عطفك قـبلـى — وذاك ياصـاح فـقـر
كـم حـكـمـةٌ هـى جـهـل — وغـفـلـة هـى فـخـر

* * *

الحكمة الصادقة

حكمـةٌ قـد تناقـضـت ، — هـذه أصـدق الحكم
لـيـس لـلـعـلـم مـن تمـا — م إذا الجـهـل قـيـل تم
فـاغـتـنـم منه مـا بدا — وأنـتـظـم منـه مـا انتظم

(*) السرور : هدية الكروان .

(*) حكمة الجهل : عابر سبيل .

صــفات وأشــباهٌ

فُرضة البحر (*)

قطبَ السّفين وقِبلةَ الربان ... ياليت نوركِ نافعٌ وجداني
يُزجي منارك بالضياء كأنه ... أرِقٌ يقلّب مُقلتي ولهان
وعلى الخِضَمِّ مطارحٌ من وَمضه ... تسرى مدلّهة بغير عنان
كمطارح الأفكار فى لُجج على ... لجج من الشُّبهات والأشجان
تخفى وتظهر وهى فى ظلمائها ... بابُ النجاة وموئلُ الحيران

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائن شرَّعٌ ... صورٌ إليك من البحار روان
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى ... شملَ الأحبَّة فيه والإخوان
جودىّ(1) كلّ سفينة لم يبنها ... نوح ولم تمخر على الطوفان
فيها التقى بر وبحرٌ ، واستوى ... شرقٌ وغربٌ ، ليس يستويان
بسطت ذراعيها تودّع راحلاً ... عنها وتحفل بالنزيل الدانى
زُمَر توافت للفراق فقاصد ... وطنًا ، ومغترب عن الأوطان
متجاورى الأجساد مفترقى الهوى ... متباينى اللهجات والألوان
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها ... شتى ديار جُمِّعت بمكان
فى فرضة متقاصرٍ عن متنها ... موجٌ أشمُّ أحمّ(2) ليس بوان
موجٌ يطيفُ بها وقد ران الكرى ... فيها طواف الضيغم الغرثان(3)
ألقيت مراسيَها السفائنُ عندها ... وتحصنت منها بدار أمان
فكأن ضوء منارها نار القِرى ... لو كان يُبعث ميّت النيران !

* * *

(*) فرضة البحر : الجزء الأول .

(1) الجودى : هو الجبل الذى قيل إن سفينة نوح رست عليه آخر المطاف – والمعنى أن الفرضة كالجود تنتهى إليها رحلة كل سفينة .

(2) أحم : أسود .   (3) الغرثان : الجوعان .

الخريف (*)

حيِّ الغمائمَ فى السماء كأنها ... طيرٌ سرت فى مستهل ربيع
بيضاء ترتع فى فضاء شاسع ... صافى السراة[1] على السنا مرفوع
طورًا كتمسيح الذيول وتارةً ... كالرغو بين مُفرّق وجميع
ترفو حواشيَها الرياحُ وتنتحى ... أوساطها بالفتق والترقيع
والدّوح مهدولُ الأرائك ساهم ... كالعاشقين هنيهة التوديع
والماء كالممرور فى وسواسه ... يشجوك منه ترنّمُ المفجوع
والشمس ساهية الشعاع كمقلة ... وطفاة جللها البكى بدموع
ضحكتُ الطبيعةِ فى الربيع كأنهُ ... ضحك الغريرة فى عناق خليع
فإذا تبسم فى الخريف جبينها ... أبصرت نظرة ريبة وخشوع
كالغادة الحسناء يغرب حسنها ... أثناء شيب فى الشباب سريع

* * *

أنس الوجود (*)

تماثيلَ مصرٍ أنت صورتها الصغرى ... وطلّسمها الواقى ، وآيتها الكبرى
حياتك أجدى من رجال كأنهم ... تماثيل لاتحى الصناعة والذكرى
رعى الله من أسوان دارًا سحيقة ... وخلّد فى أرجائها ذلك القصرا
أقام مقام الطّود فيها وحوله ... جبال على الشطين شامخة كبرا
بعيدًا عن الأقران ، منقطعًا بها ... فريدًا عن العمران ، مستوحشًا قفرا

(*) الخريف : جزء أول .

(١) السراة : الصفحة .

(*) أنس الوجود : جزء أول ٢٤ (٦ «فقرة ٤٢») .

مـرصـودًا وهل يُعـبـد الضـحى   بأظهـر منهـا للضـحى كـيـفـمـا ذرا ؟
ر الله حـــول ربوعـــهـــا   نطاقًـا وأجلى عن مطالعـهـا السـتـرا
ـمس أهلوها إذا اشـتـد قـيظها   وجاش على الصحراء فاتقـدت جمـرا
، كـــأفـواه البـــراكين قـاذف   شـآبيب مـا زحـيـا ومـا أقـتـل القطرا
ـثـت فـينا الحـيـاةَ ضـرامُـهـا   فـأنفـسـنا من حـرها شـعـلة حـرّى
ـحـيث الدارجـون عـروشـهم   قـيـام تناجى فى سكينتـهـا الدهرا
لـى تلك الرمـــال كـــأنهـــا   خُطى الزمن الوثاب تاركــــة إثْرا

* * *

. . . .

ا إلـيـــه النهــر لـيـلا كـأننا   عبرنا من الماضى إلى الضفة الأخرى
ـحـيـةٌ فـيه الزمان الذى مضى   فكان له رســمــا وكـان له قــبــرا
ـدنا منه شـخـوصًـا كـأنهــا   مـساحـيرُ ترجو كـاهنا يبطل السحـرا
فق ذاك القلب بعـد سكونِه   ويُمـــلأ من أهوائه ذلك الصـدرا !
ا يـشـــبـــه الخلقَ صنعـهـا   تغالوا فقالوا الأنس قدمسخت صخرا
ـبـــروا إلا على الله صنعـهـا   فـقـالوا براها ، ثم أصـمـتـهـا قـهـرا

* * *

السماء (*)

مـــاء البـــرزة(١) المحـجـوبة   أعـجـب مـا أبصـرت من أعـجـوبة
نجـــمــهـــا المشـــبـــوبة   تهــولنا قـبّـتـهـا المضـروبة
هـــا الهـــاوية المقلوبة   كـأنهـا الجـمـجـمـة المنخـوبة

* * *

: جزء أول .
البارزة الحسنة .

وقفة فى الصحراء (*)

هضابُك أم هذى أواذىُّ عيلم[١] ؟ — وهل فيك من وِرد لغير التوهم !
تخايلت كالدنيا وأقفزتِ مثلها — فلا تخدعينى ، إننى لست بالظمى
أيا ربة الآل الخلوب وإنما — إلى الآل[٢] ركب الناس جمعاءفاعلمى
خلوتِ فلا آثارُ حىّ ثوابتٌ — عليك ولا آثار ميْت معظّم
نبا بك عن حال العمار وضده — شماسٌ ، فلم تبنى . ولم تتهدمى
تشابهت الأيام فيك فلم يكن — إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمى
صحارى من الدهر الفسيح جديبةٌ — كعهدك لم تعبس ولم تتبسم [٣]
لَفيك وإن طال الزمان غواربٌ — على الناس أخفى من غوارب أنجم
أضاءَت عليها النيرات ولم تزل — هنالك فى ليل من الغيب أيْهمِ
إلى أى ركن فيك يلجأ هارب — وفى أى ظل من ظلالك يحتمى
تسدين أرجاء السماء بحاصب — من النار موّار العجاجة مظلم
ثؤرٍ كأفواج الدخان تطلعت — إلى علوُ[٤] من قاضى قرار جهنم
إذا ما رآها الوحش ولى كأنها — من النقع تُجلى عن خميس عر مرم
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمرة — خياشيمه مِ القيظِ يبضضن بالدم
ويذهل حتى يفلت الليثُ صيدَه — ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
وماسكنتها الوحش إلا لأنها — أحب إليها من جوار ابن آدم

* * *

(*) وقفة فى الصحراء : جزء أول .
(١) أواذى عيلم : أمواج بحر . (٢) الآل : السراب .
(٣) الزمان فى الصحراء كالمكان صحراء لامعالم لها .
(٤) علو : أى السماء .

السينماتوجراف (*)

بربك مــاذا في ســتــائرك الطُّلس(١) أأشــبــاح جنٍّ تلك تظهــر للأنس ؟
إذا لم تكن جنًّا فــمــالى عــهــدتهــا تفــر فــرار الجنّ من طلعــة الشــمس
ســتــور ولكن يُكشف النور عندها فنونًا من الأســرار تخفى على النفس
كــأنى أرى فــيــهــا قــريحــة شــاعــر مــصــورة للناس فى عــالم الحس
وكـــالـعين إلا أنهـــا تمسك الرؤى وترسلهـــا رســمًـــا تراه على الطرس
تـردُّ تجـاليــد القـــبـــور كــواسـيًّـــا وتبعث أشخاص الرفات من الرمس
وتحـــمـــدها عين الغـــريب لأنهـــا تنوب بهـــا الرؤيا لديه عن الحــدس
تميط عن الطرف الحجـاب كمـا رأى نبىُّ الهــدى فى مكةٍ صــورة القــدس
وكم مــعــجــزات للصناعــة بيننا يجىء بهـــا رُسل المعـــارف والدرس

* * *

الشتاء فى أسوان (*)

ألقِ الربيع على البــشـيــر كـــانون آذن بالظهـــور
أســــوان تزهـو حين يـذ بل كل مــخـضــرّ نضـيـر
فى كل مـــربـأة(١) بهـــا نـور تـألّـق فــــوق نـور
بـلـد تجـــود له الطبــيــ ـعــة بالصـغـيـر وبالكبـيـر
لا تســتــجنُّ شـمـوســه إلا على غــيــر البـصـيـر
نســـمـــاتهُ برءُ العليــ ـل ومـــاؤه عـــذب نمـيـر
مـــا طبُّ جـــالينوس قــيـ ـس بطبـــهِ إلا غــــرور

(*) «السينما توجراف» : جزء أول .
(١) الأطلس : الأغبر إلى سواد وهو لون الصور على اللوحة قبل التلوين .
(*) الشتاء فى أسوان : جزء أول
(١) مربأة : مكان مرتفع .

أبـدًا تحـــــــوط بـهِ ودا   ثعـهـا بسـور خلف سـور
من كل شـاهقـة كـأنّ   قـلالهـا عـمـد الدهور
حـصن تهـاب ظروفـه الآ   فـات طرًّا والشـرور

* * *

بولون أقـفـر غـابهـا   من كل مـخـتـال فـخـور
سـرحت صـوادحـهـا وأطلـ   ـق وُرقـه الأيك الغـضـيـر
يلقطن حـبـات القلو   ب من الجـوانح والصـدور
الفـاتنات تكـاد إحـ   ـداهن من حـسـن تنيـر
الناهدات كـمـا ترى الأ   هرام فى الرسم الصـغـيـر
العـبـهـريات الشـذى   الكـوثريات الثـغـور
الورد فـى وجـنـاتـهـنّ   يضـوع فى كل الشـهـور
المرسـلات الشـعـر كـالز   رياب [1] مـصـغـراً غـزير
مـتـمنطقـات بالدمـقـ   ـس مـؤزّرات بالحـرير
من كل قـاع جـؤذر[2]   تلقـاه أو ظبى غـرير
مـثل الشـمـوس برزن للأ   كـوان من فـجـر الشـعـور
داراتـهـن مـطـالـع   لم تدر مـا نور البـدور
فـيـهن مـعـتـرك الغـرا   م ومـعـرض الحـسن الطرير
الحـور هنّ خلقـن للـ   ـفـردوس لا للزمـهـرير

* * *

الماء فـاض على الجنا   دل والسـواحل والجـسـور
خلجـانه تنسـاب كـالـ   ـحـيـات مـا بين الصـخـور
مـتـسـابقـات كـالسـوا   بق فى مـجـال مـسـتـدير
والنيل مـصـطفق كـمـن   قـد هزه فـرط السـرور
مـتـدفّع الأمـواج تر   قص وفق توقـيـع الخـرير
وترى الزوارق كـالبـوا   شق حـوّمًـا أو كـالنسـور
قـد حـار فـيـهـا العنصرا   ن الريح والماء القـديـر

(١) الزرياب : الذهب أو ماؤه .
(٢) الجؤذر : الظبى الصغير .

والشمس شاخصة تكا د تنوءُ من جهد المسير
فضفاضة الأذيال تخـ ـطر كالعروس إلى السرير
وكأنها فوق الذرى فوق الجزائر والبرور
حسناء ترقب قادمًا في النيل من أعلى القصور
وعلى الروابى والهيا كل مسحة الشفق الأخير
تبدو كما نصل[1] الخضا ب بعارض الشيخ الوقور
ما كان أول مغرب شهدت على مر العصور

***

كم آية في الكون أخـ ـفى من خفيات الضمير
من لا يرى إلا العيا ن فما يرى إلا يسير

***

ليلة الأربعاء (*)

شفَّ لطفًا عما وراء السماء نور بدر مفضّض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ ـعين تتلو هناك سرَّ القضاء
وسرى الطرف فى الفضاء فما يثـ ـنيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما في الـ ـكون غير الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصيف والصيـ ـفُ بهيجٌ فى الليلة القمراء
يمّنَ الله سعيه من رسول يطرق الأرض وافدًا من ذُكاء[2]
مَولِد الأرض فهى تلبس فيه كلَّ عام مطارف الأضواء
أضرم الجوَّ بالمشاعل كالظا فر يعدو فى إثر جند الشتاء
فنهضنا للّهو فى دار ذى القر نين بين الصحاب والقرناء
بلد ماتحجّب الجو إلا ناب عنه الصفاء فى الدأماء
كلُّ من ينتحى حماه غريبٌ عنه حتى ما فيه من غرباء
تكشف الشمس ثَمَّ مايضمر اليمّ كعين المنوم النجلاء

(١) نصل الخضاب : زال .

(٢) ذكاء : أى الشمس .

(*) ليلة الأربعاء : جزء أول . ٨٠ (٧٥ فقرة ٧٧) .

فـــعلى اليمٌ للمطيـــفين ســرٌ   كـــاشفٌ عن ســـرائر الأنبـــاء

* * *

ليلةَ الأربعــــاء بالله عـــودى   وأعـــيـــدى ياليلة الأربعـــاء
ليلةٌ أرسل الزمـــان بهـــا عـــفـ   ـوًا فـجـاءت كـحكمـة البلهـاء
قـد نسينا الصباح حتى ذكـرنا   بنور من بدرها الوضـــــاء
فـوصلنا مـسـاءها بصـبـاح   ووصلنا صـبـاحـهـا بمسـاء

. . . .

خيـر مـا فى الحيـاة يا قلب مـا أنـ   ـسـاك ذكـر الحيـاة والأحـيـاء
بيـد أن النفـوس تصـبـو إلى الذكـ   ـر وإن كـان فـيـه بعض العناء

* * *

. . . .

نسج الفـجـر للنجـوم الدرارى   برقـعًـا حـيك من شعـاع الضيـاء
وكـأنّ النســيم هـمـوم اللـ   ـيل والليـل مـؤذن بانقـضـاء
همـسـاتُ العـوّاد حـول حـبـيب   بات لم يبق منه غـيـر الذماد (١)
وترى البـحـر لو توسـده النا   ثم لم ينتـبـه من الإغـفـاء
فى سكون كـأنه نفس الحـا   لم أو خـفـق طائر فى الهـواء
وكـأن الخـرير صـوت يناجى الغيـ   ـب حـتى لهمّ بالإصـغـاء
فـبـعـثنا الأرواح سـربًا كـروح الله   قـدمًـا تـرف فـوق الماء

* * *

الورد(*)

أراح(٢) الورد عـازفـة النفـوس   وأشـرق نجـمـه بعـد الخنوس
وغــرّد هاتف الأطيــار لما   جـلا البـسـتـان عن خـدر العروس
وأشـرقت الرياض على الروابى   مـكـللـة المفـارق والـرؤوس
نـديم الـكـأس طـف بـالـروض تـنـظـر   غـصـون الورد مـتـرعـة الكؤس
وفـيـه ثمـالةٌ (٣) لم يودعـوهـا   من الأفـراح كـرمَ الخندريس

---

(١) الذماء : بقية الروح .   (*) الورد : الجزء الأول .
(٢) أراح أى رد وعازفة أى بعيدة .   (٣) ثمالة : فى الكأس أى بقية .

تبسّمَ فى خمائلهُ [1] النشاوى فأضحك غرة الزمن العبوس
يُخيِّل ناطقًا لولا حياء ثناه عن مناجاة الجليس

. . . .

أطل من الرغام كأن روحًا تنادى الناس من خلف الرموس

. . . .

مجامر للطبيعة أرّجتها وخصتها بقربان الشموس
تلبيها إذا نشرت شذاها على الأفنان أرواح الأنيس
كما لبى بخوز السحر حور من الجنان خافية الحسيس
جنى الفردوس إلا أن فيه ذَكاء النار والجمر القبيس
يكاد يبث حوليه ضياء كما بثته نيران الوطيس [2]

* * *

. . . .

لو انا قادرون لما هفونا إلى غير المحاسن والطروس
ولولا الدهر بالإنسان يلهو ويبلو القلب بالغرض الخسيس
لما ألهاه عن آس وورد بحبات من البُرّ [3] الدريس

* * *

حديقة البرتقال (*)

أجبْ به من منظر سَرِىّ [4] ومن نبات طيب ذكىّ
متصل الخضرة فِردَوسى نُزّه عن تصوّح [5] وعرىّ
جنّاته تثنى على الوسمى بالبرتقال الواضح الروىّ
كالسُّرُج المذكاة بالعشىّ تستقبل المقبل إذ تحيى
منها بألف كوكب دُرِّىّ كالشمس فى جلبابها الفجرى
غصنا على غصن زمرّدىّ من بارز وضامر خلفْىّ
وساجد فى الأرض كالقسىّ مكلل بطلعه محنىّ
كأنه جلاجل الحلىّ يأخذ عين المبصر الذكى
أخذ الحلى مقلة الغوىّ على نحور البيض والثدىّ

---

(١) جمع خميلة : وهى الشجر الملتف . (٢) الوطيس : الفرن . (٣) البر : القمح .
(*) حديقة البرتقال : جزء أول . (٤) سرى : فاخر . (٥) التصوح : الذبول .

أغلى لدى الشاعر والصبى من كنز قارون ، وكل شئ
فاعجب لهذا الصائغ الغنىّ صائغ هذا الثمر الجنىّ
من نفَس حام ومن طمىّ وصابغ الطلع بألف زىّ

ومخرج الحى بغير الحى

* * *

منظر (*)

الروض جم العبير والليل شفُّ الستور
والدر ينشر نورًا كأنه نصف نور !
كأنما الكون يبدو من خلف ستر وثير
كأنه ظلُّ كونٍ مغيَّب فى الدهور

* * *

قدوم الشتاء (*)

تسير الكواكب سير الحذرْ ويرجف فى الجو نور القمرْ
وللشمس مِشيةُ مستكرهٍ يساق إلى منظر لا يسرّ
ونهر كمرآة مهجورةٍ على وجهها من جواها أثر
وللروض زهرٌ به طائح تقلّب فى الأرض كالمختضَر
ونادى المنادى بركب الطيو ر : هيا فقد حان وقت السفر
فهذا يحوم على وكره وهذا يصيح ولمّا يطر
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا كأن الأصيل عليه انتشر
وما للرياح بأعلى الشجرْ تعج كموج خضم زخر
تنام العيون ويعلو لها نشيجٌ إذا الليل أغضى ظَهر (١)
تُحطِّم أعوادَها العاريا ت تحطيمَ ذى جنة منذعر
فياويل من بات فى ليله يجاوبها بالبكى والسهر

(*) منظر : جزء أول .

(*) قدوم الشتاء : جزء أول ١٠٦ (١٠١ فقرة ٩٣) .

(١) أى يكاد يظهر إذا اختفى الليل .

النهر النائم (*)

تمهّلْ يا نسـيـم ولا تكدّر	نعاس النهر بالهمس الضعيف
وقِرّى يا طيور على الحوافى	وكفى يا غصون عن الخفيف
لعل النهر ينطق وهو غاف	بسر فيه أو حلم لطيف
ويحكى طيف هاتيك الليالى	ليالى الوصل فى عهد الخريف

* * *

ياقمر (*)

فضضْ الماء ياقمرْ	وانقش النور فى الحجرْ
وانظم الغصنَ بالندى	والثم الزهر فى الشجر
واجعل الكون ضاحكا	عن سماء من الغُرَر
وأملك الليل مفردًا	ومع الشمس فى البُكَر

* * *

فى مجاليك راحةٌ	راحةُ النوم والسهر
فى لياليك بهجةٌ	بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل فى الظلا	م ولا الصبح فى الكدر
أنت كالطيف والدجى	ناعس اتلطرف ياقمر

* * *

ساهد الليل لا تجِمْ	واتل ماشئت من ذِكَر
قد تناسيت ما مضى	ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى	يسل لذاته الأخر

* * *

(*) النهر النائم : جزء أول .

(*) ياقمر : جزء أول .

النرجيلة (*)

هات نرجيلةً يضاحكني منـ ـها خرير كجدول البستان
ذات أنبوبة كحية حوا ءَ بفيها تفاحةُ الحرمان !
إنّ بين الضلوع نارًا أُوار يها فأخفي زفيرها في الدخان

* * *

القمراء (*)

كلما أشرق في الليل القمَرْ
وسها الناس ولاذوا بالحُجَرْ
خلتُ أرواحا تداعت للسمر
زُمَرا تهمس من حول زمرْ
إن هذا الحسن لا يمضي هدرْ
حيثما أسفر نور وانتشرْ
وحلا في خلوة الليل السهرْ
فهنا لا ريب حِسٌّ وبصرْ
شيمةُ المسحور يقفو من سحر

* * *

(*) النرجلية : جزء أول . (هي المعروفة بالشيشة) .
(*) القمراء : وحي الأربعين .

يوم شتاء (*)

يومُ بيتٍ لا يوم خـــوضِ الأياجى ... فـائجُ مـا بين صـفـحـة وسـراج
وجـمـال من النفـوسُ يُناجَى ... فى أســارير وجـهـه ويناجى
مـسـتـهلِّينً والطبـيـعـة غـضـبى ... وكـلانا من هولهـا الصـعب ناج
نتـحـدى الرياح والليل والأهوا ... ل طرًّا بصـفـحـة من زجـاج !
فـإذا مـايروع منهـا ويضنى ... نتلقـاه ههنا بابتـهـاج
كـالذى يشـهـد الكوارث فنًّا ... من فنون التـمـثـيل والإخـراج

* * *

زهرة القرنفل (*)

تعـشّـقتُ من زهر القـرنفل لونه ... ونشـرًا كـريح البـابليـة[1] زاكـيـا
تَقـسّم نور الشـمس أحـمـر قـانيـا ... وأصـفـر وضّـاحـا وأخـضـر زاهيـا
ونازع مـحـزون البنفـسج لونه ... وحـاك له ثوبًا من الجـو صـافـيـا
كـواعبُ أترابٌ تقـاربن صـورةً ... وسـيـمـةَ حـسن واختلفن كـواسـيـا
وأسـمع منه حين أقـبس ضـوءه ... وأنشق رياه فـأنصت واعـيـا :
«تشـاغلْ بما يجلو العيون وغمضـها ... سـرائر دنيـانا ، وإن كنت رائيـا
وسـيـان تحـديق العـيـون وغـمـضـهـا ... إذا كـان مـاترتاده العين خـافـيـا
فـحـسـبك منهـا زينة تبـهـر النهى ... فـغـيـر قليل مـاترى النفسُ باديا»

* * *

(*) يوم شتاء : هدية الكروان .
(*) زهرة القرنفل : جزء أول .
(١) البابلية : أى الخمر .

الجسم الخجل (*)

أرى فى البحر أجساما تُشعُّ ... عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمشها تراءى ... لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ ... سَنَى الخجل المورَّد فيه طبعُ ؟

* * *

ليالى رأس البر (*)

مناظرُ من سحر الجمال أراها ... ولولا سناها قلت : كنت أراها !
تلوح كذكرى حالم يستعيدها ... لعمق معانيها و بعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ ... وفيها من السلوى جميل رضاها
ليالى برأس البر تَنْدَى وداعةً ... ورقةَ شجان ، وطاب نداها
وداعةَ ذات الدّل شاب فؤادَها ... شوائب من هجر ، فراض صاباها

* * *

ليالى برأس البر طالب نداها ... وشفّتْ دياجيها ورقّ سناها
هنا النيل ساج طال فى الدهر سيرُه ... وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوّار الدهور على الكرى ... ويطغى فلايحمى النفوسَ كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطّرادها ... ترسلت الأحلامُ ملءَ مناها
هنا علم السلوى ، هنا العالم الذى ... تحس الليالى فيه خمسَ خطاها
هنا العالم الشهود ذكرى قديمةٌ ... وذكراك دنيا لاتزال تراها
فلولا حياتى فى عروقى أُحسُّها ... لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

(*) الجسم الخجل : وحى الأربعين .

(*) ليالى رأس البر : هدية الكروان .

جمـالكَ – رأس البر – وفى زى ناسك إذا ضـاحكَ العينَ الضحوكَ شجاها
ليـاليك–رأس البـر– فى صـومعـاتهـا مـنـاسـك ضـلّت فـى الـظـلام هـداهـا
صحـابك–رأس البـر– أطيـافٌ نائم تسـاوى لـديهـا صـبـحـهـا ودجـاهـا
عناها الذى يعنى النيــامَ من الرؤى ولم أر جـــهـــدًا فى الحـيــاة عناها

* * *

حـيـاتك–رأس الـبـر – طفل مُجَـدد ســقــتــه ثدىُ الخــالدات جناها
فــلا تحـرمـينا رشـفـةَ الخلد كلمـا فنينـا ، وكم تُفنى الجـسـومَ نُهـاها
بحـسـبى من أبناءِ آدم إن صـفـا لنا العـيش يوْمًـا ، أن تكفَّ أذاها

* * *

أغانى (*)

فى الهـــوى قلبى زورقٌ يجــــرى
أيــن يمـضـى بـى نهــره الخـمــرى
ليتنى أدرى !

* * *

ليـــتـــه يجــرى يـا أبـا الأنـهــار
مــثلمـــا تســرى فى حـمـى الأقـدار
حولك الأزهار

* * *

حـولك الـصـفـصـاف مـسـبـل الشـعـر
نـاعـس الأطـيــاف ســـابح الـفـكـر
فى الهوى السحرى

* * *

(*) أغانى : عابر سبيل .

ياريـاض الـنـيـل   عـلـمـى قـلـبـى
فـرحـة التّهليل   عـشـتِ للحب
يامنى الصب

* * *

قـال لى قلبى   والهـوى يرعـاه
هو فى قـربى   مـا الذى أخشـاه
عند ما ألقاه

* * *

الشتاء والربيع (*)

كل باد يريد أن يتـوارى   فى الشتـاء المغلّف المسـدود
كل خـاف يريد أن يتـجلى   فى الربيع المزخرف المشهود
هات لى العالم الصريح ودعنا   من حياة خجلى ، وطبع برود

* * *

فى القمر (*)

فى الليلة القمراء ، ما أحلى النظر !   لكل شىء لاح فى ضـوء القـمـر
حتى الثرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

* * *

ليـست من الآجـرّ هاتيك البنىٰ   لا بل خـيـال من ظلام وسنى
كخيله الأشكال فى السحب لنا

* * *

(*) الشتاء والربيع : عابر سبيل .   (*) فى القمر : عابر سبيل .

أكـــــــاد عـنـد رؤيتـى طـلاءهـا　　　أُرسـل عـــــــــيـنـىّ لمـا وراءهـا

كما تخوض نظرة فضاءَها

* * *

قد شفت بالصخرة مصباح الدجى　　　فكيف بالنفس وكـيف بالحـجى

عاش على مر الليالى مسرجا

* * *

العيش جميل (*)

صـفـحـة الجـو على الزر　　　قـاء كـالخـد الصـقـّيل
لمعـة الشـمس كـعين　　　لمعت نحــو خـليـل
رجـفـة الزهر كـجـسمٍ　　　هزهُ الشــوق الـدخـيـل
حـيـث يمـت مـروج　　　وعلى البـعـد نخـيـل
قـل ولا تحـفـل بشىء !　　　إنما العـيـش جـمـيـل

* * *

القــمر والظلام (*)

لا أوثر القـمـراء فى حـسنهـا　　　على الدجى ، والطرف فـيـه يحـوم
سـنـاك يابـدر يـريـنـى الثـرى　　　وظلمـة الليل ترينى النجـوم

* * *

(*) العيش جميل : عابر سبيل .
(*) القمراء : الأعاصير . ص ٥٠ وبعنوان «القمر والظلام» (أعاصير مغرب ١٣٥) .

صداح الأثير (١)

مـــلأ اللآفـــاق صـــداح الأثيـــر لا فـــضـــاء اليـــوم .بل صـــوت ونور
لك من كل فـــضـــاء شـــاسع حـــيـــثـــمـــا يممتَ ، داع وبشـــيـــر
مـــاصـــقـــاد الجـــو إن فـــتـــشـــتـــه غـــيـــر أصـــداء حـــواليك تمور
لجِبٌ لكنه مـــســـتـــأذن يطرق الســـمـــع بسلطان قـــدير
أوْ هي الأرواح إن قلت احـــضـــري حضرت ، أو شئت أعياها الحضور
قـــيل أمـــواج . فـــقلنا وبحـــور من مـــعـــانٍ وبيـــان وشـــعـــور
تركب الألبـــابُ فـــيـــهـــا ســـفنًا ســـبّـــقـــا بين طويل وقـــصـــيـــر
حـــملت من كل زاد ، وقـــرت كل غـــاد ، ووعت كل أثيـــر[٢]
ولهـــا في كل يوم مـــددٌ يلتـــقى الأول فـــيـــه والأخـــيـــر

* * *

كـــان فـــرعـــون له مـــجلســـه وهو ذو الصـــرح المعلّى والســـرير
ولنـــا في كل دار مـــجـــلس يســـع العـــالَـــم أيان يـــدور
هو نـــاد لك ، أو مـــدرســـة أو مجـــال السبق ، أو ملهى السرور
غـــلـــب الـــوهَـــم الـــذى زيـــنـــه في الأســـاطير خـــيـــالٌ مـــســـتطير
دعـــوة المارد إن قـــيـــســـت إلى دعـــوة المذياع ظن وغـــرور
بورك العـــلم لعـــمـــري إنه من صـــفـــات الله ، والله قـــدير
ربما أســـمـــعـــنا في غـــده نغم الأفـــلاك ، أو صـــوت الضـــمـــيـــر

* * *

(*) صداح الأثير : أعاصير مغرب .

(١) اقترحت محطة الإذاعة موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(١) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى .

أسـود يلتحى (*)

أليس كـفى هذا السـوادُ فـزدتَه ... سـواد غـراب فى لحـاك مـعلق ؟

سـريت برأس لا حـدود لوجـهـه ... فـمـا زال فـيـه الليل بالليل يلتـقى

ألا فـانتظر حتى تشيب فـقـد ترى ... سـوادك مـحـفـوفـا بأبيض مـشـرق

وأخلقُ أن يرتادك الشـيب حـالكا ... على حـالك ، لو كـان يجـرى بمنطق

* * *

على شاطئ البحر (*)

نفض النسـيم عن النفـوس رمـادها ... فـأعـاد للسـالى قـديم هواه

والبـحـر تطّرد الخـواطر عنده ... مـثل اطّراد اللـج حـين تراه

لـم أبصـر الآذىَّ فـيـه كـأنه ... خـيل الطّراد تسـوقـهنَّ صَـبـاه

وكـأنّ متن الماء فى شـمس الضحى ... فـيـروزجٌ قـدح الضـيـاء سناه

وكـأن مـبـيضّ الجليـد طفـا به ... إن مج بالزبد النقى حـشـاه

إلا وددتُ بـأن أراة فـلا أرى ... أفُـقًـا يصـد الطرق دون مـداه

الروح يطمع أن يتـيـه بلا مـدى ... والعين ترسم فى الفـضـاء خطاه

البـحـر أقـدم والنفـوس قـديمة ... فـالنفس تألفـه ولا تنسـاه

* * *

(*) على شاطئ البحر : الجزء الأول .

مناجـــــاة

مناجاة(*)

يا من أحب لقــــــاءه ... ســـرًّا وأزوى عنه جـــهـــرا
إن العـــيـــون بمرصـــد ... لـى فى هـواك ، وأنـت أدرى
من ذا يتـيــه على الحـمــا ... ل وأهله بالتـــيــه أحـــرى
الشـمس تحيى بالضـيــا ... ءلحـاظنا فنغض قـسـرًا
كن فى الملاحـة والصــبـا ... لقلوبنا فـــخًّـــا ووكـــرا
واغنم بحـــسنك حــبنا ... واقنع بهـــذا الحب أجـــرا

* * *

لسان الجمال(*)

يا من إلى البعد يدعونى ويهجرنى ... أسكتْ لسانًا إلى لقياك يدعونى
أسكتْ لسان جمال فيك أسمعهُ ... فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى
أبالجـمـال تناديـنى وتجـذبنى ... وبالمقال تجافينى وتقصينى
هيهات لست بسال عنك مانطقت ... فيك المحاسن فانظر كيف تسلينى
أعصيك أعصيك لاَّ آلوك معصيةً ... ولست أعصى جمالا فيك يحيينى

* * *

متى !(*)

متى تشرق الشمس التى قد رأيتها ... تغيب وراء الأفق فى مغرب الأمس
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها ... توارت من الغرب المعصفر فى رمس

* * *

(*) مناجاة : الجزء الأول ٦١ (٤٨ فقرة ٦٣) .
(*) لسان الجمال : الجزء الأول .
(*) متى : الجزء الأول .

الحب الأول (*)

(. . . كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاى الشاعران النابغان المازنى وعلى شوقى قصيدة ابن الرومى النونية التى يمدح بها أبا الصقر ويقول فى أولها :

أجنيتك الورد أغصان وكثبان
فيهن نوعان : تفاح ورمان
وفوق ذينك أعناب مهدّلة
سود لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها وقد فعلنا فنظم المازنى قصيدته فى مناجاة الهاجر ونظم شوقى قصيدة فى هذا المعنى ونظمت أنا هذه القصيدة فأهدتها روح ابن الرومى :

يهنيك يازهر أطيارٌ وأفنان ... الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك ! لستَ بإنسان فتشبهنى ! ... إنى ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلى فى مواكبه ... وهكذا الدهر آن بعدها آن
تفتحت عنه أكمام السماء رضىً ... وزفةٌ من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور (١) فى البستان باسمةٌ ... والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك ، والآفاق صافية ... جلواء ، والروض بالأثمار فينان (٢)
وللنسيم خفوق فى جوانبه ... وللطيور ترانيم وألحان
فى كل روض قُرى للزهر يعمرها ... ياحبذا هى أبيات وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عَبَقٌ ... كما تراسل بالأسواق حبّان
الورد يحمر عجْبًا فى كمائمه ... والياسمين على الأغصان ميسان (٣)
وللقرنفل أثواب ينوعها ... عن البِلَور صَناعُ الكف رقّان (٤)

(*) الحب الأول : الجزء الأول .
(١) وشائع الثوب : طرائق تسجه .
(٢) فينان : مثمر .
(٣) ميسان : نائم من الوسن .
(٤) رقّان : مزركش – بكسر الكاف .

وللبنفسج أمساح ممسَّكة ... كأنه راهب فى الدير محزان
وحبذا زهر الليمون يسكرنا ... منهنّ جام خلا من مثله الحان
والليل يحييه والأطيار هاجعة ... بلابل وشحارير وكروان[1]
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا ... فيستجيب له بَرٌّ وغيان
والصبح فى حلل الأنوار طرّزه ... فى الشرق والغرب أسحار وأصلان[2]
كأنما الأرض فى الفردوس سابحة ... يحدو خطاها من الأملاك ربان
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح ... فكل ما فى فضاء الله فرحان
إلا المحب الذى لا حبّه دنس ... ولا مودته خِبٌّ وإدْهان[3]
نقاه عن عُرس الدنيا شواغلُه ... إن الحدا عن الأعراس شغلان

. . . .

يامن يرانى غريقا فى محبته ... وجدًا ، ويسألنى هل أنت غصان ؟
واضيعةَ الحب أُبديه وأكتمهُ ... ومن عنيت به عن ذاك غفلان !
لى فى مديحك أشعارٌ أضنّ بها ... على امرئ فخره عرش وإيوان
على محياك من وشى الصبا روَع[4] ... وللمحبين أحداق وأعيان
ففيم تعذلهم إن راح ناظرهم ... بحسن وجهك يهذى وهو ولهان ؟
ما الحسن ذنبًا ، فما للحب تحسبهُ ... ذنبا من الناس لا يمحوه غفران ؟
هما شقيقان فارفق أن تحيلهما ... ضدّين بينهما نأىٌ وهجران
من علّم النا س أن الحب مأثمة ... حتى كأن ليس غير البغض إحسان
هبها جناية جان أنت آثمها ... ما كان يعصم لا إنس ولا جان
إن الجسوم مثنّاةٌ جوارحها ... إلا القلوب فصيغت وهى أُحدان
لكل قلب قرينٌ يستتمٌّ به ... خَلقٌ وخُلقٌ فهل يرضيك نقصان ؟[5]
إن التعاطف بالأرواح بغيتنا ... وفى الوجوه على الأرواح عنوان
تمثالك الصخر أحظى منك أن نفرت ... عنك العيون ، ولم يشملك وجدان
إنا لمن معشر حب الجمال لهم ... حبٌّ لما كان فى الدنيا ومن كانوا[6]

---

(١) كروان : جمع كروان .
(٢) أصلان : جمع أصيل .
(٣) إدهان : مكر وملق .
(٤) روع : ملاحة وجمال .
(٥) خلق لكل عضو قرين فى الجسم إلا القلب فإنه منفرد لا يكمل إلا بقلب آخر .
(٦) لا يعرف أن حب الجمال إنما هو بمثابة حب كل شيء إلا من لخص نفسه من تعريف الناس للحسن والقبح .

ليأمنْ الطير أنا لا نكيد له … ولايخفْ مكرنا وحش وعقبان
لو تسمع الورُق(١) نجوانا لكان لها … منا غصون نضيرات وأحضان
أو كان يدرَى حيىّ نبت عفتنا … لم تُغض منه بأيدينا أغيصان
أو ينظر السائم النابى طويتَنا … لم تألف القفرَ آرامٌ وغزلان
ولا اتقى الحوتُ شرًّا حين يبصرنا … إذا وقته شباكَ الإنس قيعان
ياليت أن لنا كهفًا نعوذ به … إن راح يفزعها بغىٌ وعدوان

* * *

ماضرَّ من نال فى حين سعادته … إن فاته فى طويل الدهر أحيان
إذا جنيت من الأيام زهرتها … فاقنع ؛ فسائرها شوك وعيدان
ولا وربك ما بالنفس مقتنع … أكان نجح لها أم كان حرمان
فإن روينا ، فبعض الرأى مظمأة … وإن ظمئنا ، فما يرتاح ظمآن
أى الفريقين أحمى لهفةً ووجىً … من ذاق أو لم يذق ؟ فالكل لهفان
ياليلة خُطمت أنوال حائكها … فلا يحاك لها فى الدهر ثُنيان
العيشُ من قبلها شوق نعمت به … والعيش من بعدها ذكر وتحنان
طالت ولا غرو فالجنات خالدةٌ … وفى الوصال من الجنات ألوان
أصبحت والله لا أدرى لبهجتها … أليلةٌ سلفت أم تلك أزمان
وكيف لا وهى شطرٌ حين أحسبها … والعمر شطرٌ ، وفيها عنهُ رجحان
لقد شقانا الهوى خمرًا معتّقة … صبا بها قبلنا شيبٌ وشبان
هيهات لا تبلغ الصهباءُ نشوتَها … ولو تناول منها البحرَ نشوان
فاض الهيام على قلبى ففاض به … نبعٌ له من وراء الدمع شطآن(٢)
وددت والدمع فى عينىّ محتجزٌ … لو سال منه على خدىّ غدران
أمسيت أرشف شهدا من مراشفه … والسلسبيل بعليين غيران
والنيل تجرى له فى كل ناحية … جداولٌ لؤلؤيات وثغبان
يقودنا حيث شاء الموج واطّردت … أمواهه ، فكأن الفلك وسنان
حتى تصرم جنح الليل وانبثقت … من كل مطّلع للصبح عمدان

(١) الورق : أى الحمائم جمع ورقاء .
(٢) شواطئ .

فـمـا أفـقنا وعين الصـبح شـارفـة ... ومـا هجـدنا وغـول الليل سـهـران
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها ... شـمـوس أنس مـضـيـئات وشـهـبان

. . . .

بقـيـة لك أتلوها وأُنشـدها ... هذى القـصـائد لى فـيـهن سلوان
بقيـة من مـتاع الذكر قد صفحت ... عنهـا السنون . فلى بالذكـر قنعـان
كـأننى تاجـر فى الشط مـرتقبٌ ... مـوج الخضمّ . وفلكى فـيـه غـرقـان
خـذى بقـاياك لو تسطيع تذهبـهـا ... كـمـا ذهبت فـيطويهن نسـيـان
لا يـأمـن الحـبُّ صـبٌّ لا يـكـون لـه ... بالحب عن صلة المحـبـوب غنيـان
مـا كنت أجـهـل لما أن كلفت به ... أنى سـألقـاه يومـا وهو غـضـبـان
من لى به مـثل مـا أرضـاه فى مـلأ ... هامـوا وهانوا فـهـم للوهم عـبـدان ؟
تفـرق الناس أو طانًا ومـا افـتـرقت ... لهم على حـسـب الأفـهـام أوطان
بتنا نسـاكنهم دارا ونحـسـبـهـم ... منا ، وشـتـان إِنسـان وإنسـان
نشـقى بأنفسنا فـيـهم فـيسـعـدهم ... هذا الشـقـاء ولا يجـزيه شكران

* * *

يا أملح الناس هلاّ كنت أكـبـرهم ... روحـا فـيـتـفـقـا ، روح وجـثـمـان
صـدّقتَ باطل مـا قـالوا كـأنهـمـو ... لا يكـذبون ، أو آن العـذل قـرآن
أمـا علـمت بأن الناس ألسنةٌ ... سـودٌ لهـا غـيـر مـا تبـديه أبطان
أحـرى مزاعـمـهم بالشك أسـيـرها ... فـالحق مـتـئـدٌ والإفك عـجـلان
وربَّ قـولة زور قـالهـا رجلٌ ... منهم فطاف بهـا فى الأرض ركـبـان
تداولوها فـراحت فى مـذاهبـهـم ... شـريعـةً نقـضـهـا كـفـرٌ وعـصـيـان
مـاكـثـرة المثبـتين الأمـرَ تثبـتـه ... ولا بقلتـهـم للحق إِيهـان
فـإن ألف ضـرير ليس يَعـدلهم ... بالمبـصـر الفـرد يومَ الشك مـيـزان

. . . .

تكشّـفتْ هذه الدنيـا فـأنكرها ... حسى وأذهب فـيـهـا الحـدْس إِيقـان
مـازال يحـرمنى دهرى ويوهمنى ... حـتى غـدا وهو بالأوهان ضنان
إِناًّ لنضـحك لا صـفـوًا ولا لعـبًـا ... وقـد ينوح بغـيـر الدمع أَسْـوَآن(١)
أعيى العقول صلاحُ الخلق من قدم ... وضـاق عن هديهم ذرعٌ وإمكان

(١) أسوان : حزين من الأسى .

فعش كما شاءت الأقدار فى دعة ... لا يجرمنّك[1] بَرُّ الناس أو خانوا
لعلهم فى طريق الصدق قد سلكوا ... ونحن نحسب أن القوم قد مانوا
من عاش فى غفلة طاب البقاء له ... وإن تولته بالأرزاء حدْثان
لم يدر من نام والأفلاك دائرة ... أدار بالسعد أم بالنحس كيوان
فاطلب لنفسك منها مهربًا أمنًا ... ودانِ من شئت فالأعداء خلاّن
والزم حياتك واعشقها فبينكما ... فى شرعة الطبع ميثاق وإيمان
هى الوجود فصنه أن تجود به ... على التراب ، فإن الحر صوان
. . . .
وانهض بها مرةً فى الدهر واحدة ... ثم استرح أبدًا والحقْ بمن حانوا [2]

* * *

كأس الموت (*)

إذا شيعونى يوم تُقضى منيتى ... وقالوا أراح الله ذاك المعذّبا
فلا تحملونى صامتين إلى الثرى ... فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأسٌ شهيةَ ... وما زال يحلو أن يُغَنّى ويُشربا
وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى ... فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا !
ولا تذكرونى بالبكاء وإنما ... أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

* * *

(١) لا يجرمنك : لا يهمنك .
(٢) حانوا : ماتوا .
(*) كأس الموت : الجزء الأول .

الحبيب الثالث (*)

(ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى ، وقد شبه أحدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم)

قِلاك من دفّاع نار الجحيم ووصلك الجنة دار النعيم
وريقك الكوثر لكنه كالمُهل فى صدر المحب الكظيم
وخدّك الزقوم مرٌّ لمن تزويه عنه وهو حلو الشميم
وأنت تضنى كل جسم سليمْ وأنت تشفى من ضناه السقيم
وأنت دان نافر ، راحم قاس ، محب ، كاره ، لا تدوم
ويا نسيمًا شبماً (۱) ربما أذكى كما أطفأ ذاك النسيم
ويا برىء الوجه فى ناظرى ويا أثيما فى الفؤاد الكليم
الحب لونان وما أن أرى حبا بلون واحد يستقيم
كن لى على النعمة عونا أكن عونا لقلبى فى العذاب الأليم

خير ما فيهن (*)

غفر الذنبَ من بكائى عليك أننى لا أعود ما عشتُ أبكى
لا ياوى – وقد تعلمت منك– نسلُ حوّائكنَّ دمعةَ شك
خير ما فى النساء ساعة ضحك

إلى صديق (*)

أُخىَّ وأعذب بها لفظةً تذكّرنى العهد عهد الصفاء
أهبْتَ بودى ولمّا يمتْ فأسمعت حياً بذاك النداء

(*) الحبيب الثالث : الجزء الأول .
(۱) شبما : باردا .
(*) خير ما فيهن : وحى الأربعين . (*) إلى صديق : الجزء الأول .

ولم ينسنى القصر [1] عهدا خلا … وكيف وفى القصر معنى البقاء
وإن أنس شيئاً فإنى نسيـ … ـت يا صاحبى أيّنا قد أساء
ولست بقال ولا ناكث … ولكنْ كذلك شاء القضاء
وهذى القلوب بأيدى الزمـا … ن يقلب أهواء كيف شاء
وقد يذهل المرء عن نفسه … فكيف يلام على الأصدقاء ؟!

خواطر الأرق (*)

يا ليلُ لونك فى اللواحظ إثمد [2] … إلا لدىّ فمن غبار يُرمِد
ها أنت بالرؤيا تضن لأنها … سلوایَ ، حين تركتنى لا أرقد
دل الظلام على المدامع خاطرا … أعيى عليه مع الصباح المورد
كم فى الدم المدعوّ بالإنسان من … زعم يطيش وعارض يتردد
العقل شيخ والحياة فتيَّة … والعيش بينهما شقاق مجهد
والطبع يغرينا ولست بواجد … كالطبع طفلا لا يفارقه الدَّد [3]
أوّاه من عبث الحياة وسوء ما … يجنى الزمان وشر ما يتوعد
لا أشتكيه فقد أمرُّ فساغ لى … ما لا يسوغ وسرنى ما يكمد
وجزعت حتى قيل جُن من الأسى … وصبرت حتى قيل صخر جلمد
أُبدى التجلد والتجلد فى الأسى … بعض الرياء ، وبعضه قد يحمد

. . . .

وخميلةٍ يجنى الغداف قطافها … وترود حوليها الصِّلال [4] الشرد
كرمتْ عنَاصرها وأينع يومها … حسنا ، ويوشك أن يطيب لها غد
ظللتها بالنصح إلا أنها … لم تلق من يرعى ومن يتعهد
باتت تجاذبها السَّموم فتلتوى … طوعاً ، ويدعوها النماء فتجمد
يا من أصون جماله وكأنه … خصمٌ على تلك المحاسن يحقد
لا شىء أوجع لامرئ من أن يرى … حملا يطيب مع الذئاب ويرغد

(*) إلى صديقى : الجزء الأول .

(١) إشارة إلى قصر ملا وهو طلل فى حديقة كنت أجلس فيها بأسوان وقد أشار إليه الصديق فقال :

أعباس يهنيك قصر به … نسيت الوداد وعفت الإخاء

(*) خواطر الأرق : الجزء الأول . (٢) الأثمد : حجر الكحل .

(٣) الدد : اللعب . (٤) الخميلة : هى الشجر الملتف . والصلال جمع صل : وهو الثعبان الخبيث .

أخشى عليك من البعيد وأنت لا ... تخشى من الدانى الذى لا يبعد
وأحوط حسنك بالتمائم والرُّقى ... وتظل تنثر عقدها وتبدد
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... والنار حولك والدخان الأسود
لم تتبع نصحى وملت مع الهوى ... جهلا ، وغرَّك أن غصنك أملد
والغصن تسقط - إذ يميل - ثماره ... ويزلّ عنه الزهر إذ يتأود
إن كنت تحميك الطراءة والصبا ... شرٌّ التقصف فالتجرد أنكد
أولى بوجهك أن يضنيك حسنه ... من أن يحفك منه غيم أربد[1]
هذى يمينى فى يمينك فاعتصم ... أولا فأرسلها فما لك منجد
لو كنت نوحا لم تفدك سفينتى ... إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا
فاستبقِ ودك للذين عرفتهم ... إنى لغير الطهر لا أتودّد
ما كنتَ أوَل نعمة ودعتُها ... كلا ، ولست مع المودة تخلد
ماذا على الدنيا لو أن مغرراً ... منها يميل به الغواة فيفسد
لولا المشوب لما يمخض خالص ... منها ، ولو لم يعتدوا لم يهتدوا
ما كنتُ يوما بالأنام موكلا ... فأعدّ منهم من يضل ويرشد
إنى اتخذتك للصيانة قنية ... فعلمت أنك بهرج لا عسجد
فالآن ألقى فى التراب بحلية ... كانت أحب ذخيرة تُتقلد

إليك (*)
إهداء الديوان الثانى

إليك إهداءُ أَطرابى وأشجانى ... لوكنتَ تعلم إسرارى وإعلانى
شعر لحسنك فيه كلُّ قافية ... وما تضمَّن إلا بعضَ وجدانى
يُهدَى إليك ولم تفطنْ لدعوته ... كأنما هو قربانٌ لأوثان
ولو صمدتُ بتسبيحى إلى وثن ... إذن لأثلج صدرى صدقُ إيمانى
وخفف النار : نار الوجد عن كبدى ، ... علمى بأنك لم تجهل بقربانى
لكنْ جهلتَ مناجاتى فواجذلى ... لو فزتُ منك ، على علم ، بحرمان
يا من هو الناسُ فى عينى وإن كثروا ... إنى أخص بشعرى كلَّ إنسان
أُهدى إلى الناس ما أعنيك أنت به ... فاقبل ، فإنك بعض الناس ، ديوانى

(١) الأربد : اللون الكدر المتغير .

(*) إليك : الجزء الثانى .

الدنيا الميتة (*)

أحبك حب الشمس فهى مضيئة ... وأنت مضىء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر ... وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبى للحياة فإنها ... شعور ، وكم فى القرب منك شعور
فهل فى ابتغائى الشمس والزهر سُبَّة ... وهل فى ولوعى بالحياة نكير

. . . .

فدع ما يقول الناس واعلم بأننا ... على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلقٌ وللناس عالم ... رهينٌ بأغلال الظنون أسير
ووا أسفا ! ما نت إلا نظيرهم ... وإن لم يكن للحسن فيك نظير
ويا عجبا منا نسائل أنفسنا ... إذا سئلت حارت وليس تحير (١)
أنشقى بدنيانا لأن منعّما ... من الناس بسّام الثُّغير غرير
أيذوَى الصبا فينا لأنك ناشئ ... ربيع الصبا فى وجنتيه غضير
أتعشى مآقينا لأنك أحور ... بعينيه من ومض الملاحة نور
ألا نتملى الحسن والحسنُ جمةٌ ... مطالعه إلا وأنت سمير
فيا ضيعة الدنيا إذا لم يكن بها ... غنىً عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعةَ النفس التى لا يجيرها ... من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالى غيابها ... وإن غبت آض العيش وهو كدور
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع ... فيهدأ قلب بالضلوع نَفور
قريتَ ، ولم يخطئ عطاش تلهفوا ... على جدول فى السمع منه خرير
وسرتَ على الأرض التى أنا سائر ... عليها ، ولم تُضرب عليك ستور
فلو لم نُولّ شطرك لامنا ... على الجهل كون بالجمال فخور
لديك مقاليد السرور وديعة ... وما لمحب فى سواك سرور
فإن تأذن الدنيا أباحت شوارها (٢) ... وغنت عصافير وفاح عبير
وإلا فما فى الأرض حظ لناظر ... ولا النجم فى عُليا السماء يدور

(*) الدنيا الميتة : الجزء الثانى ١٦٧ (٤٣ فقرة ١٢٩) .

(١) تحير جوابا : أى ترد .

(٢) شوار العروس : جهازها .

بعد عام (*)

كـــاد يمضى العـــام يا حلو التــثنى　　　أو تــــولّـــــى
مـــا اقــتـــربنا منك إلا بالتـــمنى　　　لـــيـــس إلا !

* * *

مـــذ عـــرفناك عـــرفنا كل حــــسنٍ　　　وعــــــــذابِ
لهب فى القلب ، فـــردوس لعـــينى　　　فى اقــتـــرابى

* * *

غـــيـــــر أنا لا نرى الفـــــردوس إلا　　　رسمَ راسـمُ
وشـــربنا من جـــحـيم الحب مُـــهـــلا　　　شـــرب هائم

* * *

لا تـلمــنى أنّ قـلبى خـــــانـنى　　　أو عـشـقـتُكْ
لـــم يـــكـــن مـــنّـــىَ إلا أنـــنى　　　قـــد رأيتكْ

* * *

كـــان فى الدنيـــا جـــمـــال لا يُعَـــد　　　ثم لُحـــتـــــا
فـــعــــددنا الحـــسن طرًا فـــهـــو فـــرد　　　وهو أنتـــــا

* * *

كأسى على ذكرى (*)

. . . .

هاتهــا واذكـــر حـــبيب النـــ　　　ـــفس يا خـــيــــر ثقـــاتى
ودع التـــلمـــيح واجـــهـــــر　　　باســــمــــــه دون تقـــــاة [1]
أترى نُحـــــرم حـــــتى　　　ذكـــــــره فى الخلوات ؟
صــفــه لى صـفــه ومــا كـــا　　　ن بمجـــهـــول الصـــفـــات

(* بعد عام : الجزء الأثانى . ١٤١ (٨ فقرة ٢٩) .
(*) كأس على ذكرى : الجزء الثانى . ١٤٤ (١٢ فقرة ١١٩) .

(١) تقاة : مبالاة .

غـيـر أنى أمـتع السـمـ ... ـع بحظ الحـدقـات
صـفـه فى عـينى ومما تعـ ... ـدو به وصف الأضـاة[1]
صـفـه فى قلبى لو اسطعـ ... ـت ، وتـرجـم زفـراتى
أتـرى ألـبـق مـنـه ... باصطيـاد المُهُـجـات
أتـرى أمـلـح مـن خـطـ ... ـرتـه بـين الخـطـرات
أترى أصـبـح من خـد ... يـه بـين الـوجـنـات
أترى أعـدل من قـا ... مـتـه فى الصـعـدات [2]
ذهبىّ الشـعـر سـاجى الطـ ... ـرف حـلو اللفـتـات
وحـيـىّ لا يحـيـ ... ـك بغـيـر البـسـمـات
جـاهل بـالحب أشكـو ... ه ولا يـدرى شـكـاتـى
وغـريـر القـلـب لا يفـ ... ـهم مـعـنى نظـراتى
ودَّ لـو يسـأل مـالى ... مـسـتـهَلّ العـبـرات
وإذا قلت «شـجـانى ... مـن أفـدِّيه بذاتـى
ليس ينجـينى وفى كـفـ ... ـيـه لو شـاء نجـاتى»
قـال مـا أقـسـاه من جـا ... ن غليظ القلب عـات !

. . . .

صـفـه ! بل أمسك فـقـد هـا ... جت عليـه حُـرُقـاتى
جـمح الوجـد بأشـجـا ... نى وضـاقـت أزَمـاتى
هاتهـا صـرفًـا وأغـرق ... فى طلاها حـسـراتى
عـوضـاً عـمـا يؤاتى ... مـن هـوى أو لا يـؤاتـى

الصبابة المنشورة (*)

صبابةَ قلبى ! أقبل الليل غاضياً [3] ... فهّبى ! فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقـد تهـجـر الموتى القـبـورَ أمـينةً ... إذا الليل غـشّى بالرقـاد المآقـيـا

---

(1) الأضاة : المرآة .
(2) الصعدات : جمع صعدة وهى قناة الرمح .
(*) الصبابة المنشورة : الجزء الثانى .
(3) غاضيا : مظلما .

وثوبى إلى الدنيا مع النوم فانظرى ... مكانك قد أنوى وعرشك خاويا (١)
ومُرّى به مرّ الغريب وطالما ... تربعتِ فيه قبل ذاك لياليا
ولا تسألى من بالديار ؟ فأنها ... على موثقٍ ألا تجيب مناديا

* * *

بدا شبح عار من اللحم عظمُه ... يجاذب أضلاعاً عليه حوانيا
يقارب فى قيد المنية خطوه ... ويمشى به ليلاً مع الليل ثانيا
وقال سلام ! قلت فاسلم وإن يكن ... دعائى لميْت بالسلامة واهيا
مَن الطارق السارى ؟؟ فقال صبابة ... نعمتَ بها حينا وما أنت ناسيا
فقلت أرى جسمًا عرى من روائه ... وعهدى به من قبلُ أزهر كاسيا
جهلتك لولا مسحة فيك غالبت ... بشاشتُها أيدى المنون المواحيا
جهلتكِ لولا هزّة فى جوانحى ... يدَ الدهر (٢) لا تُبقى من الشك باقيا
ألا شدّ ما جار البلى يا صبابتى ... عليكِ . فكيف استلّ تلك المعانيا
أأنت التى أسهرتنى الليل راضيًا ... وأنت التى أسكرت عينىّ صاحيا ؟؟
وأنت التى كنا إذا الناس كلهم ... تولوا ، وجدنا مغنما فيك وافيا
وأنت التى جلّيت لى الأرض جلوة ... أسائل عنها الأرض وهى كما هيا
أسائل عنها كل شىء رأيته ... أما كنتَ فينان (٣) المحاسن شاديا
نفخت بها روحاً فغرد صامت ... ورنّم جلمود ، وأصغيتُ لاهيا
فلما ألَمّ البين لاذت بصمتها ... وأمسيتُ حتى يأذن اللّه صاغيا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة (٤) ... ولو كان فيه معبد (٥) القوم ثاويا

* * *

نعم أنت لولا ساتر من منية ... وحسبك ستراً بالمنية ساجياً
وأن امرءاً ماتت خوالج نفسه ... فليت لقد جمع الشرين حيّا وفانيا
حياة لها حد ولا حدّ للردى ... فليت المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة العيش والكرى ... وتعب أنوار الصباح الدياجيا

---

(١) خاويا : تخرب .
(٢) أى إلى آخر الدهر .
(٣) فينان : مزهر .
(٤) نأمة : صوتا خفيا .
(٥) معبد : إمام المغنيين فى صدر الدولة الأموية .

إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا   إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا [1]

* * *

الهين الصعب (*)

. . . .

أكبرتُ قدرك حتى لست أدركه   وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا
فإن تباعدت عنى وادّنيتَ لهم   فما توانيتُ فى خطوى ولا دأبوا
يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم   فلا يملك عنا الصد والعجب
أو ليت مثلك يدرى ما نهيم به   فلا تُعز علينا بعضَ ما نهب

نضرة فى الشتاء (*)

يا نضرة فى الشتاء أبصرها   أبهج من كل منظر نَضِر
كأنها والعيون تنهبها   والنفس تَرْوَى بحسنها العطر
ألف ربيع للعين مُدخَّر   بل ألف حب للقلب مختصر
يا طيب ذاك الأكسير مجتمعاً   من حُسْنِ شتى الرياض والغرر
أضمه كله وأرشفه   فى قبلةٍ كوثرية السَّكَر

* * *

إلى الغرق (*)

دعتك العرائس فى بحرها   ففيم الوقوف على الساحل ؟
إلى الماء ! لا بل إلى السابحـ   ـين ، لا بل إلى الغرق العاجل
فليس على البحر إلا غر   يقٌ ، وإن لم يكن فيه بالنازل !
سواحره احتشدت كلها   علينا ، فيا ويح للغافل

* * *

---

(١) دواليا : بالتداول .

(*) الهين الصعب : الجزء الثانى .

(*) نضرة الشتاء : وحى الأربعين .

(*) إلى الغرق : وحى الأربعين .

مـــائـــدة (*)

مـــائدةٌ أســـرف فى طهـــيـــهـــا ... عـشرين عـامـا ، عـبـقـرىُّ الزمـانْ
أكـــرمنا الطاهى بهـــا ســـاعــةً ... فـكـيف بالمكـرم يلـقـى الهـــوان
حـــسنٌ وأنسٌ وحـــيـــاءٌ مـــعـــاً ... وطلعــــــة البــــدر ونفـح الجنـان
مـــدتْ لنا طوعـــا فـــمـــا عـــذرنا ... إذا تركنا لـقـــمـــةً فـى الخـــوان (١)

* * *

لغــــير البيع (*)

جـــواهر الحب قـــالوا : غـــيـــر زائفـــة ... مـــهـــلا ! فـــمـــا أنا فـــيـــه بائع شـــار
كـــــلا ، ولا أنا مـــن شـــكٍ ولا ولع ... بالسرِّ عـــارضُ أحـــجـــارى على النار
خذ معدن الحب أن ألفيت معدنه .. ... إنّى قـنـعـت بـومـضٍ مـنـه غــــــرار
مـــا للأناسىّ من حب يدوم ، ولا ... حب يقـــوم على صِـــدق وإيثـــار

* * *

ليلة البــدر (*)

هاتِ لى الذكـرى وجـدد مـا مـضـى ، ... عندك الذكـرى ورُجــعـــاها مـــعـــاً
هاتِ مـا كـان كـمـا كـان انقـضـى ، ... أو فـــجـــددْ غـــيـــره مـــبـــتـــدعـــا
ليلة البــــدر ، وقـــد كـــان الرضى ... مـــوعـــدَ الأهرام نبـــغى مطلعـــا
فـــقـــضى اللّه ســـواه غـــرضـــا

* * *

(*) مائدة : وحى الأربعين .

(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .

(*) لغير البيع : أعاصير مغرب .

(*) ليلة البدر : وحى الأربعين .

قـــد نوينا ونوى الغــــيبُ لنا   نيّـــةً أمـــتعَ للمـــســـتـــمـــتع
خُـــسف البــدر وأمـــســيت أنا   ادَّعى مـن نـشـــوة مـــا أدعى
كـلمــــا ناديتـنى هيّـــا بنـا !   قلت : هيـــا ! وأنا فى مـــوضـــعى
السنى عندى فـــمــالى والسنى

* * *

خُسف البـدر ومـا كـان الخسـوفْ   شــيـــمـــة البـــدر الذى بينَ يدىّ
نشــر الناس وطافــوا بالدفــوف   وأنا والبـــــدر فى نشـــــر وَطىّ
خلٌ من شـــاء كـمـا شـاء يطوف   إن بـــدرى طـــالــع مـــنـــه إلًـــىّ
لا أحب البــــدر ترعــــاه الألوف

* * *

يا سـمـيـر الليل يا نعم السـمـيـر   مـــا لنا والصـــبح مـــا دمت أراك
أنا فى نور وروض وعـــبـــيـــرْ   حــينمـــا ألقـــاك لا ألقى ســـواك
رشـفـةٌ من ثغـرك العـذب النضيـر   أو من الكأس احـتـوتهـا شـفـتـاك
وســـلامٌ أيهـــا الكون المنيـــر

* * *

هاتِ لى من فـيك أنفـاس الغـرامْ   أو فـقل إن شـئتَ أنفـاس الحـيـاة
واسـقنى الخـمـرة من أعـذب جـامْ   لا من البلوّر فى أيدى الســقـــاة
ثغـرك الضـاحك كـأسٌ ومُـدَامْ   ونــديمٌ لـــى ، وراو فـــى الـــرواة
ينشـد الشعـر فـيشجينى الكلام

* * *

ينشـد الشـعـر جـديداً كـالصّبـا   وأنـا نـاظـمــــه مـنـذ سـنـين
بث فــيــه من صـبـاه عـجـبـا   فـــإذا قلتَ ارتجـــالٌ لا تمين
هات لى الحـــســن وهات الأدبا   واسـقنى الخـمـر من الثـغـر المبين
ذاك حـسـبى فى زمـانى مطلبـا !

* * *

إعفـــاء (*)

أعــــفــــيك من حليـــة الوفـــاءْ إنـك أحـلـى مـن الـوفـــــــــاء !
خـونى . فـمـــا أسـهل الـتـقـصّى عـندى ومـــــا أســـــهل الجـــزاء
وليس بالســـهل فى حـــــــابى فــــــقـــــدك يا زيـنة النســـــــاء !

* * *

الحــب الضـاحــك (*)

فرغتُ من الحب الذى يُعقب الشكوى فحـبى من النُعمى وليس من البلوى
بـذلـت لـه نارى ثـلاثين حـــــجـــــةً فـلا نار بعـد اليـوم . . اليـوم للحلوى

* * *

لو كــان إلهــا (*)

(قال الشاعر الفرنسى «دوجيرل» لحبيبته : «لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدىْ قدرتى وقضائى ، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب . بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين -إبتغاء قبلة واحدة» .
وسئل صاحب هذا الديوان : «وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها» فقال :

أعطيك ؟! كيف وما العطاء بخير ما تبـدى القلوب من الغــرام الصــادق
بل لو غدوتُ كما اشتهيت وأشتهى ربـاً ، أخـــــذتك أنـت أخـــذ الـواثق
فــتـــرين أنك حين فـــزت بحظوتى أحلى وأجـمل من جـمـيع خـلائقى
وتسيطرين على الصـروف ، وفوقَـهـا نبـضــاتُ قلبى المســتـهــام الوامق
إن كـــــان رب الـكـون عندك قلبــــه أهونْ لـديـك بـأنجـم وصــــــــواعـق
وبكل شـمس فى الســمـاء وضيـئـةٍ وبكـل بحـــر فى البـــــسيطة دافق

(*) إعفاء : أعاصير مغرب ص ٤١ . (*) الحب الضاحك : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) لو كان إلها : وحى الأربعين .

ماذا عليه (*)

مــــاذا عليـــه إذا اســــتــــوى	وإذا التـــوى ، مـــاذا عليـــه ؟
هـذا القـــــوام جـــمـــــالـهُ	مـهـمـا تعـسّف ، فى يديه !
أنّـى تمـايـل عـطـفـــــــه	مـــالـت جـــوانحنا إليـــه
أشـــتـــاق بعض نفـــاره	شـغـفـاً برؤية صـفـحـتيـه

* * *

ملتقى الربيع (*)

هـات الـربـيـع الـغـضّ لـى كـلَّـه	فى روضـة ، بل طلعـة ، بل شـفـهْ
إن فــــاتنى جـــمـع أزاهيــــره	فى قطفـة ، فـالرأى أن أرشـفـه

* * *

نبضات جديدة (*)

خـــفـــقـــاتٌ تلك من وزن جـــديدْ	أيهـا القلب ! فـأسـمـعنى صـداك
ذلك الوجـه ، ومـا العـهـد بعـيـد !	أنـت تهـــواه ، فـــلا تنكر هواك

* * *

أنـت تهــــواه وتســـعى بى هنـا	كـلّ يـوم بعـــــــد يـوم كـى تـراه
لا تـراوغـنـى وقـلْ هـيَّــــــا بـنـا	فى صـريح القـول ، نسـتجلى سناه

* * *

(*) ماذا عليه : وحى الأربعين .
(*) ملتقى الربيع : وحى الأربعين .
(*) نبضات جديدة : وحى الأربعين .

نحـــسب الرقـــة فـــيــــه ألَمًا ... فـــإذا أنت من الوجـــــد تذوبْ
لا يــكـــون الحـــب إلا هـــكـــذا ... أنا لا أجــــهل أســــرار القلوب

* * *

كـاصـفـرار الشـمس فى ثوب الغروبْ ... واصــفــرار العـــاج فى ثوب القِــدمْ
ذلك اللونُ نســمّــيــه الشــحــوب ... وهو فى الحــسن شــفــيع للسّــقم

* * *

رحــمــةً لَلقلب من ذاك الوُجــيــهْ ... صـــــيغ ذوبَىْ حنـان وحـنـينْ
كلمـــا رفـــرفت بالعين عليـــه ... شـبَّـهَ الفـرحــان عندى بالحــزين

* * *

إن أشـــأ قلتُ خـــيـــالٌ فى الكرى ... أو أشـــأ قلت عـــيـــان لا خـــيـــال
جُــمع الأمــران لى فــيـمــا أرى ... حين صحَّ الحُلم فى خـيـر مـثـال

* * *

جمال يتجدد (*)

كلمـــا قلتَ لى الربيع جـــمـــيلٌ ... قلتُ : حـقّـاً . وزاد عندى جـمـالا
عـجـبـاً لى بل العـجـيـبـة عندى ... صــور الكون كم يسـعن كـمــالا
خلتُنى قـد وعـيـتـهن عِـيـاناً ... وتتـبـعـت من وَعـوها خـيــالا
شــاعــراً عــاشــقــاً وقــارئَ كـتْب ... قـــرأ الكتب دارســـاً ، فـــأطالا
فـــإذا نظرةٌ بلحظك تبـــدّى ... صـــوراً مــــا طرقنَ عندىَ بالا
بـعــــداد الأنوار فـى أعين الحـــ ... ـــب نعـــد الأكـــوان والأجـــيــالا

اليوم الموعود (*)

يا يوم مــوعــدها البــعــيـد ألا ترى ... شـــوقى إليك ، ومـــا أشــاق لمغنم ؟
شـوقى إليك يكاد يجـذب لى غـدًا ... من وكـــره ، ويكاد يطفـــر من دمى

(*) جمال يتجدد : هدية الكروان .   (*) اليوم الموعود : هدية الكروان .

أسرعْ بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها ... وتخطها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحد ... يا يوم من جيش لديه عرمرم

. . . .

يا يوم موعدها ستبلغنى المنى ... وتُتم لى الفردوس خير مُتَمَّم
لا غصن رابية تقصِّر راحتى ... عنه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى ... حتى أثوب على قدومك ، فاقدم؟
فأبيتُ ثم إذا احتوانى أفقها ... لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرحى بصبحك حين تشرق شمسه ... فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

الحب المثال (*)

كأنى مثّال وحسنك تمثالى ... عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده ... من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى
وأحلام قلب تسرى كأنها ... خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى
تجول بأشكالٍ الخيال وتنثنى ... وقد أسعدت منك العيان بأشكال
إذا ما تمشّت فيك معنىً لمستُها ... محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحتْ عينى فأنت مجيبها ... فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى ... غنىٌّ على وفر من الوقت والمال (١)
فما فيك من نقص ولكنما الهوى ... نوازعُ شتى لا تقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى ... لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ ... لها زينتاها من حياة وإقبال

(*) الحب المثال : هدية الكروان .

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها ، وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

الثوب الأزرق (*)

الأزرق الســـاحـــر بـالـصـــفـــاء
تجـــربةٌ فى الـبـــحـــر والـســـمـــا
جـــرّبهـــا «مـــفـــصّـل» الأشـــيـــاء
لتلبـــســـيــــه بعــــدُ فى الأزياء
مـــــجـــــوّد الاتـــقـــــان والـرواء
مـــــا ازدان بـالأنجم والضـــيـــــاء
ولا بمحــض الــزّبَــد الـوضّــــــــاء
زيّـنـتــــــه بـالـطـلـعــــــة الـغـــــراء
ونضـــرة الخـــديـن والـســـمـــاء
ولمعـــة الـعـــينين فى اســـتـحـــيـــاء
إن فـــاتنى تقـــبـــيـلـه فى الماء
وفى جـــمـــال الـقـــبـــة الزرقـــاء
فلى من الأزرق ذى الـبــــهــــاء
يخطر فــــيـــــه زينة الأحـــيـــاء
مـــقـــبّلٌ مـــبـــتـــسم الأضـــواء
مـــــردِّد الأنـغـــــام والأصـــــداء
وقـــــبـلـةٌ مـنـه عـلـى رضـــــاء
غنىٌّ عـن الأجـــواء والأرجـــاء
وعن شـــآبيب من الـدأمـــاءِ (١)
وعنـك يا دنيـــا بلا اســـتـــثـنـاء

(*) الثوب الأزرق : هدية الكروان .

(١) الشابيب أول ما يظهر من الحسن . وشدة اندفاع كل شىء والدأماء البحر .

ضياء على ضياء (*)

على وجنتيه ضياء القمرْ نظيران يستبقان النظر
جمعتما أنا فى لثمة أو البدر قبَّله فابتدر ؟
فما زال يلحظه جهرةً ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلةً من أخ ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ـب ولو شئت كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ة ، وأنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

* * *

دنيا مقلوبة (*)

صوت النذير [1] الذى أبقاك خائفةً على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحبُّ والحربُ واويْلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

(*) ضياء على ضياء : هدية الكروان .
(*) دنيا مقلوبة : أعاصير مغرب .
(١) النذير بالغارات .

ساعى البريد (*)

هل ثم من جـديد   يا سـاعى البـريد

* * *

لولم يكن خطابى   فى ذلك الوطاب
لم تطوِ كلَّ باب   يا سـاعى البـريد

* * *

ما ذلك التنسيق   والجمع والتفريق
والقفز والتعويق   يا ساعى البريد ؟!

* * *

كسوتُك الصفراء   والخطوة العرجاء
يمشى بها الرجاء   يا محنة الجليد

* * *

لولم تكن جمالا   فى مِشية العجالى
صغنا لك التمثالا   من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات   فى حاضر وآت
إلا على الميقات :   ميقاتك الوئيد

* * *

(*) ساعى البريد : هدية الكروان .

فى شرفتى أبتكر   غيرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر   يا ساعى البريد

* * *

كم لهفة نسيتها   أماتنى ميتها
لقيتها ! لقيتها   يا ساعى البريد

* * *

جددتَ لى انتظارى   وقلة اصطبارى
عن طلعة القطار   وطلعه النضيد

* * *

أكرم به من ثمر   منتظرٍ مدّخر
فى كل يوم مزهر   مبتدئ معيد

* * *

يا طائفاً بالدور   كالقدر المقدور
بالخير والثبور   فى ساعة البريد

* * *

فى لمحة تنتشر   منك المنى والعبر
وأنت ماض تعبر   كالكوكب البعيد

* * *

كن أبًا مريدى   بالخبر السعيد
وبابتسام العيد   يا ساعى البريد

* * *

عجب الساعى (*)

عـجـب «الســاعى» الذى كنتُ لـه	أبداً فى شـــرفـــتى منـتظرا
إنَّ من تُحــضــر لى أخــبــاره	أيهـا الســاعى بخـيـر . حـضـرا
ألق إن شـئـت وطاباً حـافـلاً	لا أبالى لحظةً إن صـفـرا
الطريق الآن لا أرقـبـه	لأرى وجـهـك . ولكن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العـذر ، فـلا	تظهـر الآن . فـهـا قـد ظهـرا
لا تذكّـرنى نواه بعـد مـا	كنت تروى عنه ذكـراً عطرا

* * *

تسلّم (*)

تسلّمْ هذه الدنيا	كما خلّفتها عندى
وحاسبْها على قربٍ	بما تجنى على البعد

* * *

تسلم هذه الشمـ	ـس التى تؤنس أو تهدى
لقد كانت هداها اللـ	ـه مكسالا من المهد
تجوب الأفق فى جهد	وما تسرع بالجهد
وكانت تحجب الأنو	ار أو تُبدى فلا تجدى
وكانت شعلة حرّى	من اللوعة والوجد

* * *

(*) عجب الساعى : هدية الكروان .
(*) تسلم : هدية الكروان .

تسلّم هذه الأطيا ... ر واسألها عن العهد
تُغنّى الآن فاسألها ... أغنَّت قط لى وحدى ؟
وإن غنَّت فهل كا ... ن سوى نوح لها مُغْد
وإن أعدَتْ فهل تُعدى ... بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلها جزاها الل ... ه : أين تحية الورد
وأين تحية الإلف ... وأين تحية الفرد
لقد كانت لحاها الل ... ه تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها ... وفيم تضن أو تسدى

* * *

تسلَّم أنجم الليل ... بلا عدٍ ولا حد
تسلمها وكاشفها ... بما تخفى وما تبدى
وسلها كيف ضلَّتنى ... وما ضلت عن القصد
وفيم تغامزٌ منها ... إذا حيَّرنى قيدى
نعم قيدى الذى فى النـ ... ـفس لافى صفحة الجلد
أهزلا تهمس الأنجـ ... ـم أم تهمس عن جد ؟!

* * *

تسلم زهرك المحبو ... ب فى السهل وفى النجد
تراه ضاحك العين ... تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ ... ـس حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصى ... بغير الهم والزهد
فما عن لومه فى ذا ... ك يا مولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيا ... كما خلَّفتها عندى
بحمد الله تلقاها ... كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيا عنها ... وعنى وعن الود

وعلمـــهـــا إذا مـــا عـــدت لا عـــدتَ إلى البـــعـــد
أمـــانـاً فى مـــغـــيـب منـــك أو فى مـــحـــضَـــر رغـــد
فـــمـــا تـــســمع لـى قـــولاً إذا ناجـيـتـهـــا وحـــدى !

* * *

ثــرثــارة (*)

أراك ثرثارة فى غـــيـــر ســـابـقـــة فـهـات مـا شـئـت قـالاً منك أو قِـيـلا
مـــا أحـــسـن اللغـــو من ثغـــر نقـــبلهً إن زاد لغـــواً لما زدناه تقـــبـــيـــلا

* * *

زمـن محــل (*)

أمـــــحـــل الـــدهـر واطَّـردْ لا خـــمـــيـسٌ ولا أحـــد
لا انـــتـظـــار لمـوعـــــد أو هـيـــامٌ بمـن وعـــد
كـــل أيـامـــنــا تـــســـاً وين فـى الـوسم والعـــدد
صـــبـــحـــهـــا مـــثل ليلهـــا والتـــقى أمـــســـهـــا بغـــد
تنـقـص العـــمـــر كلهـــا وبهـــا العـــمـــر لم يُزد [1]
لـم تـزد مـــاضـــيـــا وقـــد نقـــصـت مـــقـــبـل الأمـــد

* * *

(*) ثرثارة : هدية الكروان .
(*) زمن محل : هدية الكروان .
(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد فى ثروة الماضى . أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر .

إساءة مشكورة (*)

إليك منى الشكر حتى على إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتنى منك فأنجيتنى من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق تَعرَّضَ العتب له فاصطبر
ما ذاكر اللجة رياً له كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامِئ ترياقها أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

صنوف حب (*)

عرفت من الحب أشكاله وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحبّ المصور تمثاله عرفتُ ! وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعدُه وحب التصوُّف لم يعدُنى
وفى كل حب وَرَى زنده سماتٌ من المؤمن الديِّن

* * *

. . . .

وحب التى علمتنى الهوى وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القُوى ومن بالقُوَى أنا أمددتها

* * *

(*) إساءة مشكورة : هدية الكروان .
(*) صنوف حب : هدية الكروان .

. . . .

صنوف من الحب لا تلتقى وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق لما كنتُ كفؤاً لهذا الهوى

* * *

هذا هو الحب (*)

غريرٌ تسأل : ما الحب ؟
بنيتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أُبصر ما لا يُرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسبغ الحق ما سرّنى فإن أبى ، فالكذب المفترى

* * *

الحب أن أسأل : ما بالهم لم يعشقوا المنظر والمخبرا ؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بُهرًا وما فكّرا ؟

* * *

الحب أن أفرق (1) من نملة حينا وقد أصرع ليث الشرى
وأن أرانى تارةً مقبلا وخطوتى تمشى بى القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لى سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل نعم . ولا أحفل أن أسكرا

* * *

(*) هذا هو الحب : أعاصير مغرب .

(1) أفرق : أخاف .

الحب أن يفــــرق أعـــــمــــارنا عــهــدان ، والعــهــد وثيق العــرى
أحـــســـبنى الأكــبــر حــتى إذا عــانقــتنى ألفــيــتنى الأصــغــرا

* * *

الحب أن نصــعــد فــوق الذرى والحب أن نهـــبط تحت الثـــرى
والحـــب أن نـــؤثـــر لـــذاتـــنـــا وأن نـــرى آلامـــنـــا آثـــرا

* * *

الحب أن أجـــــمـــع فى لحظة جــهنم الحــــمـــــراء والكوثرا
وإننى أخطئ فى لهــــفـــتى من منهـــمــــا روّى ومن ســـعّـــرا

* * *

الحب أن يمضى عـــــام ومـــــا همــــمت أن أنظم أو أشـــعـــرا
وربما علّقت فى ســـــاعـــــة حـــواشى الدفـــتـــر والأسطرا

* * *

بنيّـــــــتى ، هذا هو الحبُّ
فهـــمـــتـــه ؟ كــلا . ولا عـتـب !
مـــســـألةٌ أســـهلهـــا صـــعـب
لا الناس تدريهــــا ولا الكــتب
حسـبك منهـا . لو شفت حسـب ،
إشــــارة دقّ لهــــا القلب

* * *

الحب (*)

مـــا الحب روح واحـــــدٌ فى جَـــســـدىْ مـــعـــتنقين

(*) الحب : أعاصير مغرب .

الحب روحـــان مـــعـــاً   كـــلاهمـــا فى الجـــســـدين
مـــا انتـــهـــيـــا من فـــرقـــة   أو رجـــعـــة طرفـــةَ عين

* * *

الصدار الذى نسجته (*)

هـنـا مـكـان صـــــدارك   هـنـا ! هـنـا ! فـى جـــوارك

* * *

هـنـا ، هـنـا ، عـنـد قـلـبـى   يـكـاد يـلـمـس حـــبـى
وفـــيـــه منك دلـيـل   على المودة حـــســـبـى

* * *

ألـم أنـل مـنـك فـكـرة   فـى كـل شـكّـة إبـرةْ
وكـل عـــقـــدة خـــيـطٍ   وكـل جـــرة بَـكـرة !

* * *

هـنـا مـكـان صـــــدارك   هـنـا ، هـنـا ، فـى جـــوارك
والقلب فـــيـــه أســـيـــرٌ   مـطـوق بحـــصـــارك !

* * *

هـذا الـصـــدار رقـــيـبٌ   عـلى الـفـــؤاد قـــريـبُ
سـلـيـــه : هـل مـــر منه   إلـىّ طـيـف غـــريـب ؟

* * *

نـــســـجـــتـــه بـيـــديك   عـــلـــى هـــدى نـــاظـــريـــك
إذا احـــتـــوانى فـــإنـى   مـــا زلت فى إصـــبـــعـــيـك

* * *

(*) الصدار الذى نسجته : أعاصير مغرب .

ليلة الوداع (*)

أبُعـــدًا نُرَجّى أم نرجى تلاقـــيـــا كـلا البـعـدِ والقـربَى يهـيجُ مـابيـا
إذا أنا أحـــمـــدتُ اللقـــاءَ فـــإننى لأحـمَـــدُ حـيـنا للفِـرَاقِ (النعم)
ألا من لنـا فى كلِ يوم بفـــرقـــة تُجـددُ ليـلات الوَداعِ كـمَـا هيـا
ليـالٍ يبـيح الذُّل فـيـهـا زمـاهً ويُرخص فيـهـا الشـوقُ مـا كـان غـاليـا

* * *

ويـاليـلتي لما أنستُ بقـــربه وقــد مـلأ البـدرُ المنيـرُ الأعـاليـا
تَطلَّعَ لا يَثْنِى عن البـدر طرفـه ، فـقلت حيـاء مـا أرى أم تغـاضيـا
بنـا أنت من بـدر وددت لـو أنـه على الأفق يبـدو أينمـا كـان ثاويا
غـدا تنظر البـدر المضـوّئَ . فـوقنا وحـيـدين من دارين لم تتـلاقـيـا
أشم شـذى الأنفـاس منك وفى غـد سـيـرمى بنا البين المشتُّ المرامـيـا
وألثـمـه كـيـمـا أبرد غلتى وهيـهـات لا تلقى مع النار راويا (١)
فـقـبّلت كـفـيـه وقبلت ثغره وقـبلت خـديه ومـا زلت صـاديا
كـأنا نذود البين بالقـرب بيننا فنشـتـدّ من خـوف الفـراق تدانيـا
كـأن فـؤادى طائر عـاد إلفـه إليـه فـأمـسى آخـرَ الليل شـاديا
إذا مـا تضـامنا ليـسكن خـفـقـه تنزّى فـيـزداد الخَـفـوق تواليـا
أو شَّجٌ فى كلتـا يديه رواجـبى (٢) وشـيـجـا يظل الدهرَ أخـضـر ناميـا
وتلمس كـفى شـعـره فكأننى أعـارض سلسـالا من الماء صـافـيـا
وأشكوه مـا يجنى ، فـينفر غـاضبـا وأعطفـه نحـوى فـيـعطف راضيـا
أقـول له يكفـيك أنك قـادر على أمل أعـى الزمـان المعـاديا
قـدرت على إسـعـادنا ومنحـتنا ليـالِيَ أعـيى منحـهن الليـاليـا
قدرت ، ومن يقدر على السعد لم يكن جـمـيـلا به أن يتـرك الخل شـاكـيـا

* * *

(*) ليلة الوداع : الجزء الأول .
(١) راويا : اسم فاعل من روى الماء .
(٢) الرواجب : مفاصل الأصابع .

وناعيـة صـاحت ولِلَّيل هجعـة فقـال : «عـلام البـوم ينعب ناعيـا»
«لقبحتِ منعميـاء تقرأ فى الدجى إذا اسـود أسطار الخـراب الخـوفيـا»
فقلت :علىَ النفس التى سوف تغتدى طلولا بأحناء الضلوع حـوانيـا
تجـوس أفـاعى الحـزن فى جنبـاتهـا ويا ربما تأوى الضلوع الأفـاعـيـا
فـلا تحـسبن البـوم تنعى المغـانيـا فـقـد تندب البـوم النفـوس البواليـا
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها أخـو غـمـرات ليس الفـيـافـيـا

* * *

ولما تـقـضـى الـليـل إلا أقلـه وحـان التنائى جشت بالدمع باكيـا
فـأقـبـل يرعـانى ويبكـى وربما بكى الطفل للبـاكى وإن كـان لاهيـا
وزحـزحنى عنه بكف رفـيـقـة وأسـبل أهداب الجـفـون السـواجـيـا
يقـول لقـد ران الكرى وتفـرّقت نجـوم الدجى والديك أصبح داعـيـا
فـقلت وكم من لـيلة إثر لـيله سـهرتُ وقد أمسيت وحدك غـافيا
فـهب من رقـادك لـيلـة تمرٌ ، فـإنى قـد وهبت حـيـاتيـا
حـرام علىَّ النوم ، مـادام هاتف من الليل لا ينسى إذا بت ناسـيـا
وأسلمت كـفى كـفـهُ فـأعـادها وقلبى ! فـهـلا أرجع القلب ثانيـا
فلم أر لـيـلا كـان أبيض مطلعـا وأسـود أعـقـابا وأشـجى مـعـانيـا

* * *

الخمر الإلهية (*)

على طريقة ابن الفارض

. . . .

يدور بهـا السـاقى علينا كـأنهـا مـبـاسم ثغـر والحـبـاب ثناياه
جـرت فى صـفـاء الدمع وهى دواؤه فـمن ذاتهـا لـم تجـر بالدمع عـيناه
تنيـر فلولا أن تسـيل رحـيـقـهـا لقلت لظى أذكى النسـيم شظاياه

(*) الخمر الإلهية : الجزء الأول . ٧٤ (٦٢(فقرة ٧٤) .

يكاد إذا طاف الغلام بجامها يرفرف حوليه الفراش ويغشاه
لها في يمين الشاربين توهج إذا ما خبا قلب من الحزن أذكاه
تلوح كماء المُهل (١) أما مذاقها فمن سلسبيل الخلد فى طيب سقياه
تشابه فى عين النديم وما انتشى فوارغُ صف كالثريا وملآه
كؤوس كجام السحر (٢) يكشف وحيه لعينيك من سر العوالم أخفاه
إذا طاب فى الفردوس رياً نسيمها فأطيبُ فى دار الشقاوة زياه
ولو مزجوا بالخمر طينة آدم لعاش ولم يدر القطوب محياه

* * *

حسناء عمياء (*)

قرة العين عزاءً لك فى الكون المنير
إنّ طرْفاً يأسر النا س هو الآن أسير
إن سحرا غاض فى عين يك هيهات يحور (٣)
صدت الشمس ضياها عنك يا أخت البدور
غربت عنك غروباً ما له الدهر بكور
ليت نور العين مصبا ح معار فتعير
ليس أولى ببكى العين من الحسن الضرير
وجمال عن جمال الـ ـكون مكفوف حسير
مطمح الأبصار بدع أن يُرى غير بصير

* * *

(١) المهل : شراب أهل جهنم .
(٢) هى الكأس التى يزعم السحرة أن من نظر إليها انكشف عنه الحجاب .
(*) حسناء عمياء : الجزء الأول .
(٣) يحور : يعود .

من تقليد «نشيد الأناشيد» (*)

أجل تلك خبـاياها ... وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا ... ك الذى يدعى مزاياها ؟!

* * *

لما فيها من العيب ... سننساه وننساها
وللحسن الذى فيها ... سنُحيى الآن ذكراها

* * *

سأحصى لك ما يعجـ ... ـب منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضـ ... ـب بعد السعى والدس

* * *

ثناياها ثناياها ... وهل ذقت ثناياها ؟!
وعيناك . ويا للقلـ ... ـب كم تسبيه عيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنةُ الخمر ... يةُ السكران رائيها
أفى الجنة يا رضوا ... ن تفاحٌ يحاكيها ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا ... ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها ... أقام الجور نهداها

* * *

(*) من تقليد نشيد الأناشيد : أعاصير مغرب .

وتلك النسـمـة الحلو ... ة فى ثـوب الأناسى
هى الروح الفـراشـ ... ـية فى النور السماوى !

* * *

دعيها تفسد الخمسـ ... ـين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الأكسـ ... ـير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُميَّا[1] الشـ ... ـعر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنـ ... ـيا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج (*)

ما الحب من محض الصدا ... قة يا بنىّ ، ولا العداء
الحب فيه الخلصتا ... ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا ... وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء ، والاغتصا ... ب ، وقل على الدنيا العفاء !

* * *

ندم (*)

عشقتك مُكْذبا خلقى ورأيى ... وعفتك صادقا لهما أمينا
وما أخطأت فى لوميك يوما ... وقد أخطأت فى عذرِيك حينا

* * *

(١) الحميا : سورة الخمر .
(*) ندم : أعاصير مغرب .
(*) مزيج : أعاصير مغرب .

تقويم العام (*)

تقويمُ هذا العام من ... لحظاته الأولى لديكِ
قومى ارفعيه وارفعى ... عنه الغطاء براحتيكِ
من يوم مطلعه إلى ... رجعاه موقوف عليكِ

* * *

وإذا انتهت أيامه ... ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه .. ... وترحبين بما تلاه
ويْحى إذا دار المدى ... ورعيتُ وحدى ملتقاه !

* * *

هى قبلة ضمت عُرى ... عامين فاتصلا اتصالا
ومُنى الخواطر فى غد ... عام كسابقه مآلا
لا تعجلنّ به فما ... أقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا . فهذا يومنا ... وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عينى ومسـ ... ـتمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعت حداءه ... فدعيه يمضى حيث شاء

* * *

وعام ثان (*)

بشراى . ما أنا شاهدٌ ... يا عام وحدى ملتقاك

(*) تقويم العام : أعاصير مغرب . (*) وعام ثان : أعاصير مغرب .

دارتْ بروجُك والهوى — يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلاً — ومضى . فلم أذم قفاك !

* * *

هذى فتاتى هذه ! — هى لا خوف ولا اشتباه
هى فى بديع قوامها — هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غوايتها وآ — هٍ من غوايتها ، وآه

* * *

ضُمى ثغريْك يا بنيـ — ـة وابعثى منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى — عام . ولكن بالقُبل
إن ساعفتنى ليلة — فدعى العهود إلى أجل

عام تفتح بالرجا — ء وبالرجاء ختمته
ودعتِ ذاك العام فى — قربى كما استقبلتِه
قولى ، وقد ولّى ، أفى — شرع الوفاء قضيته ؟

* * *

لا تخدعينى يا بنيـ — ـة بالوفاء من اللسانْ
خنّا وخنت ولا أقو — ل سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معاً — والآن نحن الباقيان

* * *

ذهبت خيانتنا كما — ذهب الوفاء ومن يفون
لا ذمةٌ تبقى ولا — يبقى الوفىّ ، ولا الخؤُن
كم ذمة ضيعتها — يا عام فى تلك الغضون !

* * *

انظر ألست ترى فـتـا ... تى حيث كنتُ ضممتها
فى جلسة الأمس التى ... حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت ... صدرى ولا فارقتها

* * *

وإذا سألتَ وربما ... جاء السؤال بلا كلام
«ماذا تقول مودعى ... والليل يومىء بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستمـ ... ـع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندى أيّهذا ... العام كلك بالسعيد
لكنْ سويعاتٌ مضت ... لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها ... وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى ... أعطت ، ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها ... وقليلها أبدا كثير
إن عاد يومُ غدٍ كأمـ ... ـس فدرْ - زمانُ - كما تدور

* * *

أكذبينى (*)

. . . .

أكذبينى وأكذبينى ... كلما شئت أكذبينى
ما غناء اللب عندى ... إن أبى أن تخدعينى
أنا فى ثروة وفـر ... منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضير ؟ ... درهما أو درهمين !!

* * *

(*) أكذبينى : أعاصير مغرب .

المرأة والخداع (*)

خل الملام فليس يثنيـــهـــا ، ... حبُّ الخداع طبيعةٌ فيـهـا
هو سـتـرها ، وطلاء زينتـهـا ، ورياضــة للنفس تحـيـيـهـا
وسـلاحـهـا فـيـهـا تكيـد به من يصطفـيـهـا أو يعـاديهـا
وهو انتـقـام الضـعف ينقـذها من طُول ذل بات يشـقـيـهـا
أنـت الملوم إذا أردتَ لـهـا مـا لم يُرده قـضـاء باريهـا
خنهـا ! ولا تخلص لهـا أبداً تخلص إلى أغلى غـواليـهـا

* * *

الحب أحمق (*)

لم أدر كيف يُتاح لى نسيانهـا وخيـالهـا فى ناظرىّ مـعلّق
حتى نسيت ، فعدت أذكر أنها كـانت هواى ، فلا أكاد أصدق

* * *

مصيبتان (*)

قـالوا اسلهـا ودع البكاء فـإنهـا فى حبـهـا ليست بذات وفـاء
ومـصيبتى فيـهـا اثنتان لأننى أبكى لمن لا يسـتحق بكائى
من كل يبكى الأوفيـاء ففى الأسى لمن استحق أساه بعضُ عـزاء

* * *

(*) المرأة والخداع : أعاصير مغرب .
(*) الحب أحمق : بعد الأعاصير .
(*) مصيبتان : أعاصير مغرب .

عجائب القلب (*)

تلك التى كنت أغليـهـا واذكـرها صُبـحـا ومُـسْـيـا ، وفى سـر وإعـلان
قـد كنت أرحم نفـسى من تذكّـرها فـاليـوم أرحـمـهـا من فـرط نسـيـانى
عجائب القلب . ويلى من عجائبه . ! عــزت نظائرها فى العــالم الفــانى

* * *

فراغ . فراغ (*)

فــــراغ بارد شــــات .! بـلا مـــــــاض ولا آت
أأمـــــوات ؟ نـعم . لـكنْ نـحـس فـنـاءَ أمـــــوات
ووبا بؤسَ الـفناء نحـــــ ـــه فى كل مـــيــقــات

* * *

الصحوة الكبرى (*)

مـــتـــجـــردان ويملكان ســـعـــادة لكليـهـمـا ، لا يحـتـويهـا العـالم
يتـمـليـان الصـحـوة الكـبـرى وقـد ســعــدا بأســعــد مــا يراه الحــالم

* * *

(*) عجائب القلب : أعاصير مغرب .
(*) فراغ . فرغ : أعاصير مغرب .
(*) الصحوة الكبرى : بعد الأعاصير .

معجزة وبرهان (*)

أطفـــأت منى الليـــالى ... شُـــعَـــلا بعـــد شُـــعَلْ
من غـــواياتى وأحـــلا ... مـــى ، ومـــن بـــرق الأمـــلْ
فلمـــا يُومض فـــيـــهـــا النــ ... ـــور من نـــار القُـــبـــل
عـــجـــبـــا ، لكنّه وهــ ... ـــو عجيبٌ قـد حـصل ! . .

* * *

عـــجـــبـــا والدهر لا يفــ ... ـــنى أعـــاجـــيبَ الحـــيـــاة
مـــفـــرِقٌ شـــاب يُشــ ... ـــبّ الحبُّ فى قلب فـــتـــاة
شـــركٌ صـــاد - ولم أنــ ... ـــصبـــه - صـــيّـــادَ البُـــزاة
وقـــديمـــاً كـــان إن دا ... ر على الصـــيـــد نصل

* * *

لو لســـانٌ قـــالـــه لى ... لم أصـــدّق مـــا يقـــول
غـــيـــر أنّ الشـــوق فى خـــد ... يكِ يســـرى ويجـــول
مـــزهـــرًا بعـــد ذبول ... مـــشـــرقـــاً بعـــد أفـــول
قـــســـمٌ فـــاه به قلــ ... ـــبكِ ، بـل وحـــىٌ نـــزل

* * *

أحـــوج الوحى إلى مـــعــ ... ـــجـــزة وحىٌ عـــجـــاب
عند قلب كـــافـــر بالنــ ... ـــاس يغلو فى ارتيـــاب
يـا رســـول الحب آمنــ ... ـــتُ وفى كـــفى الكتـــاب
طفلة تهـــفـــو إلى الشــ ... ـــيـــب ؟ أجـل ثـم أجـل !

* * *

(*) معجزة وبرهان : بعد الأعاصير .

حين لمّحت تغابيـ ـتُ ، ولى واللّه عذرُ
وانثنى التلميح كالتـ ـصريح والشكُّ مصرّ
ثم طاش السر حتى كاد يسعى وهو جهر
وتلاقينا فماذا كان ؟ بركان جفلْ

* * *

خاب شكى وأنا الآ ن بما خاب سعيد
وسعيدٌ كلما خا ب ببرهان جديد
بين حسن فيك يزدا د وإقبالٍ يزيد
وسلام شاع فى نفـ ـسك كالليل شملْ

* * *

يا فتاتى هو من ربـ ـك واللّهِ قدَرْ
قدرٌ أرحم ما حمّ على قلب بشر
أغمضنى عينيك وامضى فيه أيّان استقر
واطمأنى . ما قضى اللّه قضاءً فارتجلْ !

* * *

صاغه اللّه عجيباً ومحا عنه عجيبا
غير بدع أن يهيج الشـ ـرر الحى لهيبا
إنما البدع لهيب يبتغى منا شبوبا
كله إن جل أو قـ ـل من الشمس وصلْ

* * *

نحن فى الآفاق قُربى بعضنا ينشد بعضا
ربما قيل رماد وهو ملء الأفق رمضا
إن فى النور لقاحا صنوه بالصنو يرضى
رب نجم منك لو لا شررٌ منى أفلْ

* * *

انتقام جيتى (*) (١)

يا صديقى القديمَ «جيتى» اعتذارًا لك من سوء ظنّتى ومالى
كنت أنعى عليك حبك فى الستين بنتَ العشرين ، فاغفر ملامى
وأرانى على ملامك من قبلُ لحبٍ دون الثمانين دام
فانتظرنى فقد يجىء اعتذارى لك طوعاً فى مقبل الأيام
إن عشقنا كما عشقت وأوفينا عليها انتقمت خير انتقام !

* * *

إلى الشفاه لا إلى الآذان (*)

فيم أروى لك شعرى ؟ أنا أدرى . أنا أدرى

* * *

أنا أدرى . يا فتاتى حيث ألقى بالأغانى
إن شعرى سمعته شفتان .. شفتان !
ها هنا سرب إلى القلب الذى أعنيه دان

* * *

(*) انتقام جيتى : بعد الأعاصير .
(١) شاعر الألمان الأشهر وله قصة حب فى الستين وأخرى فى الثمانين .
(*) إلى الشفاه لا إلى الآذان : بعد الأعاصير .

* * *

رفَّ شــعــرى حــيث رفّت　　بـالأمــــانى قــبـــــلاتى
وتـصـــفّـــحـت صـــداه　　قــبـــســـــاً فى الوجنات
هو مـن ثغـــر فــتـــــاتى　　وإلى ثغـــر فـــتـــــاتى

* * *

فـــيم تســـعى رحلتى بـ　　ـــين المعــــــانى وتطـول
ها هنا الشـعـــر ومـوحى الـ　　ـشــعـــر يصــغى ويقــول
كل إصـــغـــاءٍ لعــمـــرى　　بين هـذين فـــضـــــول

* * *

مـزج (*)

ســـمّـــيـــتنى باسم اللّذات وبيننا　　عــمـــرٌ كــعـــمـــرك أو يزيد قليـــلا
مـزجَ الهـوى العـمرين فى جيلٍ فـلا　　تقـــديم بينهـــمــــا ولا تأجـــيـــلا
ومـــحــــا الـفـــوارق كلهن فلم يدعٍ　　غـــيـــر الهـوى جـــيـلاً لنا وقــبـــيـــلا

* * *

لفـــاع (*) (١)

لفــــاعك فى عنقى كـــــالوفـــــا　　ء يطوّق جـــيـــدَ الســـمــيع المجـــيب
مـكــانُ ذراعـــــــــيك أولـى بـه　　نسـيجُ يديك الســخى القــشـيب

* * *

(*) مزج : بعد الأعاصير .　　(*) لفاع : بعد الأعاصير .

(١) اللفاع : هو ما يعرف بالكوفية ويلف حول العنق فى الشتاء .

إذا فـــاتنى منك طيب العنا ق فلسواى منه بديلٌ قــريب
فـــلا أُحــرَم الدفء عند القــا ء ولا أحـــرم الدفء عند المغــيب

* * *

رأيـــت(*)

رأيت النهـــر ظمـــآ ن إلى البــيــداء يرويهـــا
رأيت الزهر مــشــتــاقــا إلى الأطواد يُحليـــهـــا
رأيت الليلة الليـــلا ء والكوكب حـــاديهـــا
رأيت الحـــان تنســـاب إلى أفـــواه حــاســيــهــا
رأيت العـــجب العـــاجـ ـــب فى الدنيا وما فيها
شـــبـــاباً هام بالهـــا مة قد شابت نواصيها
إخـــال الحب يســتـحـد ث ترويحـــاً وترفــيــهـــا
ألا فليْلهُ مـــا شـــا ء فــمــا تفنى مــلاهيــهـــا

* * *

من الأستاذ عماد (*)

يا حــزين النفس أُعطيت مناها فــاغنم الفــرصــة حتى منتهــاها
لا تنغّـصـهــا اخــتـيــارًا واكــتناها إن مــن خـــــاف مــن الجن يراها

* * *

. . . .
لا تقل يا وردتى شـــوكك أينا مــا علينا منه فــيــهــا مــا علينا ؟
إنهـــا أخــفــتــه عنا فــانتــهــينا حـــســبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

(*) رأيت : بعد الأعاصير .
(*) من الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

إلى الأستاذ عماد (*)

يا صــديق النفس من عـهـد صـبـاها		نصـحك الصـادق لو تُشفَى ، شـفـاها
مـــحنةٌ تـبلغ فـى يومٍ مــــداها		مـا ترانى صــانعـاً ، أو مـا تراها ؟

* * *

ناصـــحى أنت بزهرى أنتـــشـيـــه		لا أَبالى الشـــوك والغـــصــة فـيـــه
كل شـــوك يـا صــــديقى أتقـــيـــه		يخـــرق الـدرع وإن دقـت عـــــراها

* * *

وردتى يا صـــاحــبى فى الورد بدع !		بدعــــهــــا طبع ، وكـل الورد طبع
طبــعــهــا كــالفخ ينهــاك ويدعــو		وبـلاء الـنـفـس فـى مـسّ جـنـاهـا

* * *

إن تـقـل فــــز بـالجنى قلت رويدا		الجنى الكـيـد ، فـهل نأمن كـيـدا ؟
الجنى القـيـد ، فـهل نحـمـد قـيـدا ؟		الجنى ، يا ويحـهـا ، أشـهى أذاها !

* * *

وردتى آفـتــهــا فــرط التـحــدى		جــاوزت فى كل شىء كلّ حــد
حــسنهـا هيـهـات منه حـسن ورد		شـوكـهـا أنفـذ من شـوك سـواها

* * *

أتـرانـى نـافـــــعى والـقـلـب دام		وســعــار الجـــرح يمشى فى عظامى
لـذة الـعـــــــيش بـوشـى ونـظـام		وامــتـــلاء الأنف من عطر شـــذاها

* * *

(*) إلى الأستاذ عماد:أعاصير مغرب .

آه مـن برئى وآه مـن ســــقـــامـى   آه من صلحى ، وآه من خـصــامـى
آه من شـــمــسـى وآه من ظلامـى   آه من لـذعـــة آه فـى جـــواهـا

* * *

لـذعــة النيــران ينفـثن دخـــانـا   ليــضىء اللهب الخـافى عــيــانـا
لـهــبــاً صــرفــا تعــالى وتدانى   مـن قـــــرار النـفـس يرتـاد ذراهـا

* * *

آه من آه لحـــاهـا اللّـه جـــداً   لا تزل خـــالدة فى النـار خـلـداً
من قلوبٍ تلتظى حـبـاً وحـقـدا   حـــرقت آهـاتـهـــا آهـا فــــآهـا

* * *

أنـا لا أطلقـــهـــا حـــتى تذوبـا   فى لظاها ، كلمـا شـبت شـبـوبـا
وأرانـى يـا صـــــديقى لـن أتـوبـا   فــإذا تابت عـــرفنـا منتــهـــاهـا

* * *

مترجمات

فينوس على جثة أدونيس [١]

معربة عن شكسبير

رأت شفتيه والبكى يستجيشها — فما راعها إلاّ اصفرارٌ عليهما
وجست يداً كانت نطاقاً لخصرها — فلا رمقاً فيها تُحس ولا دما
ومالت على أذنيه حتى كأنهُ — ليسمع منها شجوها والتندما
وتفتح جفنيه لتبصر فيهما — سراجين كانا يسطعان فأظلما
سراجين كانا يجلوان لعينها — جمال محياها فواراهما العمى
وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر — فقد فجع الموت المحاسن فيهما
فقال «برغمى إنك اليوم ميّت — وإن الضحى لمّا يزل متبسما»

* * *

«ألا أيّها ذا الحب إنك بعدهُ — ستصبح داء فى الجوانح مسقما
ستصبح أنّى سرت ترعاك غيرة — بعين تريك الوهم صدقاً مجسما
ستقبل محمود الأوائل سائغاً — وتدبر مشئوم العواقب مؤلما
وإنك إما عن مرامك قاصرُ — فتأسف أو مجتازهُ متهجما
عذابك بالصفو الذى فيك راجح — وماؤك ممزوج به الرى والظما

* * *

«بلى سوف تغدو أيها الحب كاذباً — لجوجاً ملولاً جافياً متبرما
يطير بعطفيك النسيم إذا سرى — وترمى بك الأنفاس فى كل مرتمى

(*) فينوس على جثة أدونيس : جزء أول .

(١) فينوس عند الأقدمين هى ربة الحب وأدونيس فتى جميل من أبناء ملوك قبرص كان مولعاً بالصيد والطراد ورأته فينوس طارداً فهويته ونصحته بالإقلال من الصيد خوفا عليه ولكنه أبى ، وما زال حتى قتله خنزير وحشى فوقفت على جثته حزينة تريق عليها من شراب السلسبيل إلى أن نبتت فى موضعها زهرة نضرة ، والأقدمون يرمزون بهذه القصة إلى تجدد الربيع بعد موته ويقال إن عبارة أدونيس مأخوذة عن الشرق وأن اسمه مأخوذ من أدوناى وهو اسم من أسماء الله بالعبرية .

تطوف وما أحلاك يا حب ساقياً بكأس تغر الحاذق المتوسما
بكأس حوافيها نعيمٌ ولذةٌ وما ضمنت إلا سماماً وعلقما
تهد قوى الثبت المريرة من جوىً فتعرفهُ [1] إلا مشاشاً وأعظما
وتنفخ فى روع العيىّ فينبرى فصيحاً ويغدو مدره القوم [2] أبكما

* * *

«ويا حب تعفو عن كبائرَ جمة وتضطغن الذنب اليسير تجرُّما
ويا حب تضرى من يدب على العصا فيضرى ، وتنهى الضارى المتقحما
وتبتز أموال الغنى وربما منحت كنوز المال من كان معدما
عراقة [3] مجنون ورقة مائق [4] ويا ويح قلب وامق من كليهما
وقد يحلم الفتيان فى ميعة الصبا ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما
هيوباً ولا شيءً يهاب لقاؤه عسوفاً إذا ما الخوف قد كان أحزما
وترحم أحياناً وفيك قساوة وأنت بأن تقسو جدير وترحما
وأخدع شىء أنت إن قيل منصف وأصعب شىء أنت إن قيل أسلما
وإن شئت أزجيت الجبانَ فاقدما ووسوست فى قلب الجرىء فأحجما

* * *

«ألا أيها الحب الغوىّ ألا انطلق على الناس سيلاً جارفاً أو جهنما
ألا ولتفرق والداً عن وليده فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما
وكم فتنة يا حب تورى ضرامها وترسلها شعواء فى الأرض والسما
ألا وليكن أشقى الأنام بحبه أحق امرئ فيه بأن يتنعما»
نبوءة ولهى رُوّعتْ فى حبيبها وجار الردى الباغى عليها فصمما

* * *

(١) فتعرقه : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام والثبت المريرة هو الصبور الوثيق الخلق .
(٢) مدره القوم : المتكلم عن القوم . (٣) عرامة : شراسة .
(٤) مائق . أحمق .

العـــــرض (*)
معربة عن شكسبير

أرى الذكـر للإنسـان أنفس جـوهر ... تزان به أعـــراضــه ومناقـــبـــه
ومـا سـارقى من يسـرق المال إننى ... أرى المال من يظفر به فـهو صـاحبـه
تَقلّب فى الأيدى فـقـبلك كـاسب ... حـواه ، وقـد يحـويه بعـدك كـاسـبـه
ولكنّ من يسلب من المرء عـرضـه ... فـذلك فى شـرع الحـقـيـقـة سـالبـه
يُضـيع على المثلوب زينة نفـسـه ... وليس يفـيـد العـرض من هو ثالبـه

* * *

الــــوداع (*)
معربة عن بيرنز

قـــبلة بعـــدها يطول الفـــراق ... وعـنـاق ، وليس بعــــــدُ عناق
ســوف أبكيك والمحـاجـر شَكْرَى (١) ... بـدمــــوع مـن الفـــؤاد تـراق
ســـوف أدعـــوك فى الدجى بأنين ... وزفـيــر فى الصـدر منه احـتـراق
كـيف يشكو من عـثـرة الجـد ظلمـاً ... مَن مـــحـــيـــاك نجـــمـــه الألّاق
بيـــد إنى درجت فى ظلمـــة اليـــأ ... س فـــحَـــوْلى من الظلام نطاق
لست ألحى على الهـــام فـــؤادى ... قـــدَرُ الحب دفـــعـــه لا يطاق
مـن رآهـا فـكـيـف يـسلـو هـواهـا ... يعـــشق القلب إذ ترى الأحـــداق
آه لـولا صــــبـــابـة وغـــــرام ... قـــد شــــربناه والكؤس دهاق
مـــا غـــدونا ولى فـــؤاد كـــســـيـــر ... وجـــبين ســـيـــمـــاؤه الإطراق
فـــســـلامـــا يا قـــرة العين والقلـــ ... ــب وأحلى من صـــوَّر الخـــلاق

(*) العرض – معربة عن شكسبير : جزء أول .
(*) الوداع – معربة عن بيرنز : جزء أول .
(١) شكرى : ملأى .

حـــاطك اللّه بالســـعـــادة والحب
ورواك مــــــــاؤه الـرقــــــــراق

قـــبلةً بعــــدها يطول التنائى
وعنـاق ، أواه ! ثم افـــتـــراق

* * *

لا طـلـع الصبـاح (*)

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجوليت

أمـبـتـعـدٌ ومـا اقـتـرب الصبـاح ؟
كـأنّ الدهر شـيـمـتـهُ السـمـاح !

أراعـك صـــائح الـطيـــر المغنى
فـخلت الليل ينعـاه الصيـــاح ؟

ترّفقْ لا عـــدمـــتك من حـــبـيـب
فـليـس عـلـيـك مـن رفـق جُـنـاح

فـــذاك البلبل المسكين يبكى
فــيطربهُ كــمــا شـــاء النواح

يـرفُّ لـه وجـنــح الـلـيــل داج
على رمــان دوحـــتنا جناح

أكنت حـسـبـتـهـا الورقـاء هبّت ؟
لقـــد واللّـه جـــدٌ بـك المزاح

قليـــلا مـــا أقـــمت فـقف مَليـاً
قُـبَـيل الفـجـر ، لا طلع الصبــاح

* * *

الـــــوردة (*)

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزى وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندى قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق) :

أتتنى بهـا مَن خـدُّها مـثل لونهـا
مـــبللة الأوراق باكـــيـــة السن

جنتـهـا لهـا ترِبٌ حَـصـان تزفـهـا
إليها ، وقد يجنى على الورد من يجنى

(*) لا طلع الصباح : الجزء الأول .

(*) الوردة : جزء أول .

كـــــــأنَّ نـدىّ الـطـل دمـعٌ أطـلـه
فـراق وُرَيدات صـغـار على الغـصـن

فـأمـسكـتـهـا خـجلى الحـيـا أهزها
لتنشط من خـوف وتبـسم من حـزن

فمـا كـان أقسانى ! لقـد فـاض روحـها
وطتـرت بداداً فى التـراب إلى الـدفن

ولو لطفت كـفى لفـاحت وأزهرت
كما شئت من عطر وما شئت من حسن

كـــــذاك يكـون اللـوم طـعنـاً وربما
حوى بلسما يشفى الجريح من الطعن

وكـم راح تعنيف الشـجى بروحــه
ألا إن بعض العـذل يضنى ولا يثنى

ولـو لمتَ فى رفق رأيت ابتــســامــة
تجـول مكان الدمع من جـانـب العين

* * *

القـــــدر (*)

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزى

إنما الغـــيب كــتــاب صـــانه
عن عــيــون الخلق رب العـــالمين

لـيس يبـــدو منه للناس ســـوى
صـفـحـة الحـاضـر حـيناً بعـد حين

* * *

لا مرتين على جبل الكرمل (*)

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى
فـفـيك قـرأت الحسن سطرا منمّـقـا

حـبـــاك الـفـضــاء اللازوردى لونه
فــجـــلاك كـــالمرآة تلمع أزرقـــا

أراك وقـد فــيــأت «ليلى» عـشـيــة
صمـوتا كـمن يصغى إليـهـا محـدّقا

تمثل منهـا وجـهـهـا - فـعلَ عاشق -
يظل إلى مـعـشـوقـه مـتـشـوقـا

فــتطلعــه كــالبـدر يبـدو مـثـاله
بمصطفق الآذىّ أبلجَ مـــشـــرقـــا

فـمـا حـفـلت عين بما فـيك من حصى
حكى الدر أو عـــشبٍ هنالك أورقـــا

(*) القدر : جزء ثانى .

(*) لامرتين على جبل الكرمل : الديوان الجزء الأول الطبعة الأولى . (٦٨ فقرة ٦) .

ومـا ينظر الرائى السـمـاء مـصـعّـدا إلى الأفق بل يستـوضح الماء مطرقـا
لك اللّه كم حـسناً حـويت ورونقـا روى الماء عن ليـلاى فـيك فـأصـدقـا
فــعــينان أبهى زرقــة ومــلاحــة من الزهر ينمـو فى حـوافـيك مـونقـا
وحــسـبك من در البـحـار بمبسم تضــاحك فــيــه دره وتألـقــا
وثغــر كــأن الورد باكـــره الندى فــجــال على أوراقــه وترقــرقــا
وجيـد كـمـثل العـاج أبلج ناصـعـا على أنه كـالغـصن مـال على النقى
وفـرع كـخـفق الموج فـيك خـفـوقـه يكلل منه الزهر فــودا ومــفــرقــا
وفـيك من المرجـان يا حـوض دملج تحلى بأحلى مـعـصم حين أحـدقـا

* * *

رفـعت يدى دون النسيم وقـد سـرى مــخــافــة ذاك الظل أن يتــرنقــا
أحـــدث نفــسى أننى منك لا قط إذا مــا مـــددت الكف درا منســقــا
وأرشـف من مــــــاءٍ هنـالك ريقٍ جلا الحسن عذبا فى حواشيـه ريقا

* * *

على أن ليلى خلفـــتك وأجـــفلت إلى أمـــهـــا تعطو لـديهـــا تأنّقـــا
فــأنى لأدلى فــيك طرفى فــلا أرى سوى الماء أمسى راكـد الحس ضيـقا
تذوقـت منـه قـطرة بعــــــد قـطرة فــألفــيت مــا لا يســتطاب تذوقــا
وكنت أرى حــسنا فــمــالىَ لا أرى ســوى حــشــرات أو نبــات تفــرقــا

* * *

حـنانيـك يا بنـت المشــــارق إن لـى فـــؤادا بربات الجـــمـــال تعلقـــا
لحــسنك ســر فى الفــؤاد كــســرّه على الماء أن حكاك فـــدقــــقـــا
فـقـد رسـمـت فـيـه لحـاظك صـورة مـــدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقـــا
عـــذيرى من تلك اللحــاظ كــأنما هى النجم فى عـرض السـمـاء تألقـا
إذا رمـقت فـالصـبح ، أو حـال دونها خـمـارٌ ، فـهـذا ليل من قـد تعـشـقـا

* * *

حديقة الحيوان

مسودات الحياة (*)

مسوّدة ! (*)

تأمل ترَ الأحـيـاء عُـجـمًـا كـأنهـا ... مـســــــــوّدةٌ للخلـق لّما تُـنـقَّح
ويارب ســـر فى كـــلام مـــســـوّد ... يعـود فـيـخـفى فى الكلام المصـحح
أراها كـــأخــوان تفــاوت حظهم ... ومـيــــراثهـم ، من ســابقين ورزّح
فـــمن حـــائز نُعـــمى أبيــه وأمـــه ... ومن خـــاسـر رفـديهـمـــا أو مطرّح
ومن يلقــهم يلق الحـيــاة كـأنهـــا ... حـبتْ طفلةً من مـهـدها المتـرجّح

* * *

رأى واحد (*)

فى وضعين مختلفين

زعـــمــوا الإنســـان قـــرداً ... قــــــد ترقـى وتحَـلـى
وأنـا س يزعـــمــــون الـــ ... ـقـــرد إنســـانا تـدلـى
هـو رأى واحــــدٌ نـقـلــ ... ـبـــه علواً وســـفـــلا

خنزير أعجف (*)

فـــــيــــــه خنزيـرية ظاهـرة ... مـــا نفـــاها عنه ذاك العـــجف
هـو خـنـزيـر ولـكـن شـــــانـه ... جـــســـدٌ فى وضـعـــه منحــرف

(*) مسودة : وحى الأربعين . ١٤٠ .
(*) رأى واحد : وحى الأربعين .
(*) خنزير أعجف : هدية الكروان .

خمارويه وحارسه (*)

(كان لخماوريه بن أحمد بن طولون أسد عوّده أن يجلس بين يديه إذا أكل وأن يسهر إذا نام وقدسافر مرة وتركه بمصر فقتل فى دمشق ، فأعجب لرجل حرسته السباع واغتاله الناس! .)

ركنت إلى السباع خمارويه ... ولم تركن إلى أحد سواها
تحوطك نائماً وتبيت تخشى ... قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليثاً ... يذود رعية عمن رعاها ؟
وأن يحمى ابنَ آدم من أخيه ... سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
وثقت بذى حفاظ ليس يُرشى ... ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم ... وكم حفظ العهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك فى دمشق ... لضرَّج بالجناية من جناها

* * *

العقاب الهرم (*)

يهم ويعييه النهوض فيجشم ... ويعزم ، إلا ريشه ، ليس يعزم
لقدرنّق (1) الصرصور وهو على الثرى ... مُكبٌّ ، وقد صاح القطا وهو أبكم
يُلملم (2) حدباء القدامى كأنها ... أضالع فى أرماسها تتهشم
ويثقله حمل الجناحين بعد ما ... أقلاه وهو الكاسر المتقحم

(*) خمارويه وحارسه : الجزء الأول .
(*) العقاب الهرم : جزء أول . ٣٠ (١٢ (فقرة ٤٥) .
(١) رنق : طار طيرانا خفيفا .
(٢) يلملم : يضم .

جناحين لو طارا لنصت فـــدوّمت ... شـماريخُ رضوى واستقل يلملم (١)
ويلحظ أقطار السـمـاء كـأنه ... رجيم على عـهـد السـموات ينـدم
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى ... مـقـضـا عليـه أم بماضيـه يحلم
إذا أدفـأته الشـمـس أغـفـى وربما ... توهمـهـا صـيـداً له وهو هيثم (٢)
لعـينيك يا شـيخ الطيـور مـهـابةٌ ... يفـر بغـاث الطيـر عنهـا ويهـزم
ومـا عـجـزت عنك الغـادة وإنما ... لكل شـبـاب هيـبـة حين يهـرم

* * *

عيش العصفور (*)

حطَّ على الغصن وانحدر ... أقلَّ من لمحـة البـصـر
مـغـرداً قط مـا توانى ... مـرفـرفـاً قط مـا استـقـر
يلمس أيكاً بُعَيْـد أيكٍ ... كـأنهـمـا يلمس الإبر
مـطارداً لا إلى طريدٍ ... مـسـابقـاً لا إلى وطر
كخفة الطفل فى صباه ... لكنها خـفـة الغُـمـر
وروده نغـبـة فـأخـرى ... من خوّف الطائرَ الصدَر ؟
يقارب السحب ثم يهوى ... يبـشـر الروض بالمطر
أصدق من سار فى سرار ... بين الحيا (٣) العذب والشجر
ويستحث الرياح ضرباً ... بخافقـيـه فـتـبـتـدر
لله مـا أهـول المطايا ... وأضعف الراكب الأشِـر (٤)
طار وليـداً شـيـخـاً ... بين البسـاتين والغـدُر

* * *

(١) التدويم : تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا هما والجبال سواء . ورضوى ويلملم اسما جبلين .
(٢) الهيثم : العقاب الصغير .
(*) عيش العصفور : جزء أول .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) الأشر : المرح .

لا أعين الماء ناضبـــــاتٌ ولا خـــلا الروض من ثمـــر
أخـــبــرُ بالنضج مـــقلتـــاه ممن ســـــقى الحب أو بذر
سلة عـن الجند والزمــــر سلـه عن الملك والسُـــرر
لـــم يـــأتــه عـــنـــهـــمُ بـــلاغ ولا دليل ولا خـــبـــر
هذا هو العـــيش فـــاغـــبطوه عليـــه يا أيهـــا البـــشـــر

* * *

هذا هو العـــيش فـــارحـــمـــوه عليـه واستـخـبـروا الغِـيَر
فـــإن ســـألتم فـــســـائلوه عن صولة الصقر إن كسر [1]
وحـــيـلة الدّبقْ [2] فى ثراه وغـــيـلة الحـــيـــة الذكـــر
هـنـاك ينـزو لـه فـــــؤاد لا يجـــهـل الريب والحـــذر
لـم يخف عن أعين الليـــالى ولا تـوارى من الصـــغـــر
حـــبـــائل الدهر قـــانصـــات من طار أو غـــاص أو خطر
من عـــاش يومـــاً أو بعض يومٍ يعلم مـــا ضـــربه القـــدر
أليس هذى الحـــيـــاة ذخـــراً وحـــارس الذخـــر فى خطر ؟؟

* * *

الـــكروان (*)

هل يســـمـــعـــون صـــدى الكروان صـــوتا يرفـــرف فى الهـــزيع الثـــانى
من كـل ســـــار فى الظلام كـــأنهُ بـعض الـظلام تَضلـه الـعـــيـنان
يدعـــو ، إذا مـــا الليل أطبق فـــوقـــهُ مـــوجَ الدياجـــر ، دعـــوة الغـــرقـــان
ويشبّ فى الجـــو الســـحـــيق كـــأنهُ يبـــغى النجـــاة إلى حـــمى كـــيـــوان [3]

(١) كسر : الطائر الكاسر هو المتهيئ للانقضاض على الفريسة .
(٢) الدبق : الشرك .
(*) الكروان : الجزء الأول .
(٣) كيوان : عطارد إله الغناء والفنون عند اليونان .

عاف التجمل فهو فى جلبابه ... فانٍ يرتل كالأبيل الفانى [1]
ما ضرٌّ من غنى بمثل غنائه ... أن ليس يبطش بطشة العقبان
إن المزايا فى الحياة كثيرة ... الخوف فيها والسُّطا سيان [2]

* * *

يا محيىَ الليل البهيم تهجّداً ... والطير آوية إلى الأوكان
يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً ... من نابغ فى غمرة النسيان
قل يا شبيه النابغين إذا دعوا ... والجهل يضرب حولهم بجران [3]
كم صيحة لك فى الظلام كأنها ... دقات صدر للدجنّة حان
هن اللغات ولا لغات سوى التى ... رفعت بهنّ عقيرة الوجدان
إن لم تقيدها الحروف فإنها ... كالوحى ناطقة بكل لسان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى [4] ... بث الحزين وفرحة الجذلان

. . . .

ما أحب الكروان (*)

ما أحب الكروان !

هل سمعت الكروان !

موعدى يا صاحبى يوم افترقنا ... حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا
عاتفٌ يهتف بالأسماع وهنا [5] ... هو ذاك الكروان ، وهو هذا الكروان !

* * *

الكراوين كثير أو قليلْ ... عندنا أو عندكم بين النخيلْ
ثم صوتٌ عابرٌ كلَّ سبيلْ ... هو صوت الكروان ، فى سبيل الكروان

* * *

(*) ما أحب الكروان : هدية الكروان .

(1) الأبيل الفانى : الراهب .

(2) سطا : جمع سطوة .

(3) الجران : هو العنق .

(4) واللغى : جمع لغة .

(5) وهنا : الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

لى صــدى منه فــلا تنس صــداك		هـو شـــــــاديك بـلا ريـب هـنـاك
فــإذا مــا عـــسـعس الليل دعـــاك		ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكّروان ؟

* * *

مـــــفـــــردٌ لـكـنـه يـؤنـسـنـا		ســـــــاهـرٌ لـكـنـه يـنعـــــسـنـا
صـــدحت فى نفـســـه أنفـــسنا		فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان ؟

* * *

واحـــدٌ أو مـــــائة ترجـــعـــه		عـنـدنـا أو عـنـدكـم مـطـلـعـــــه
ذاك شىءٌ واحــــد نســـمـــعـــه		فى أوان وبيـــان ، هو صوت الكروان

* * *

واحـــدٌ بين عــصـــور وعـــصــور		نحن نسـتـحـيـى به تلك الدهور
لم يفـتـنـا غـــابر الدنيــا الغـــرور		فى أوان الكروان ، مـا أحب الكروان

* * *

على الجناح الصاعد (*)

حــادى الظلام على جناح صــاعـدِ		يا أرض أصغى ، يا كواكب شاهدى !
يا آنسين بصــحـبــة من وجــدهم		نُصــوا المســامعِ للأنيس الواجــد
يا ســاهدين على انفـرادٍ فى الدجى		ردوا التــحــيــةَ للفــريد الســاهد
المســتــعــزٌ بعــرســه وكـــأنه		منهـــا نجىٌّ مـــغـــاور وفـــراقــد
لهـجت طيـورٌ بالضحى وتكفّلتْ		بالليل حنجـــرة المغنى الخـــالد
يحـدو ويشـدو لا مــسـاعـد حـولـه		أبداً ، ومـــا هو آمنٌ لمســـاعـــد
أنا صــائد لصــداك ، لستُ بصــائد		لك أنت يا كـروان ، فـأمن صــائدى
بينـا أقـــول هنـا إذا بك من هنا		فى جنح هذا الليل أبعـــد باعـــد

(*) على الجناح الصاعد : هدية الكروان .

ووددت يا كـــروان لو ألقـــيتَ لى ... صـــوتين منك على مكان واحـــد
إن كنت تشـــفق أن أراك فـــلا تَزلْ ... فى مسـمعى وخـواطرى وقـصـائدى
عـاهدت هذا الصـيف لست بواهب ... سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كـان قـد أغنى الطبـيعـة كلهـا ... مُـغنِىٌّ عن شـاد سـواه وشـائد

* * *

شـدو لا نـوح (*)

شـدوُ القـمـارىِّ لا نوح القـمـارىِّ ... هل يعبر الحزن بالشادى الصباحىِّ ؟
أو الربيـــعىٌّ فى أنس وفى أمل ... وفى غـــرام على الإلفين مطوىٌّ ؟
يا حـسنهـا من بشـيـرات على دعـة ... كـأنهـا أمنت فـوت الأمـانىٌّ
مـحـبَّبـات إلى الإنسـان تألفـه ... وتعـــتـلى من ذراه كلٌّ علوىٌّ
تهوى الديار ، وفى الآفاق مطلعها ، ... ما بالها ؟ هل سباها حسن إنسى ؟
ولأنـاسـىٌّ حـسنٌ لا أبوح بـه ! ... هل تعرف الطير ما حسن الأناسى ؟
غَنَّتْ لزهر وسلسـال ولو رشـفت ... زهر المبـاسم جُنَّت بالأغـانىٌّ
أوْلى لقُـمـريِّنا أن لا يحـوم على ... يأس الهـوى بين إنسى و «طَيْـرىٌّ»
غـرد على الدور يا قـمـرىُّ فى دعـة ... واسلم هنالك من باك ومـبكىٌّ
واتلُ الرجـاء على هذا وذاك ولا ... تسألهما عن جوى فى القلب مخفىٌّ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها ... من سلوة ، أن فيها شدو قمرىٌّ

* * *

شفاعة الغراب (*)

حيىٌّ الغراب الفجرَ بالنعيب ... تحية التهليل والترحيب
وافـترٌّ نور الفـجر كـالمجيب ... فى غـيـر مـا لوم ولا تثـريب
لهــاتف ناداه من قــريب

* * *

(*) شدو لا نوح : هدية الكروان .

(*) شفاعة الغراب : هدية الكروان .

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحــيىّ النور باليــقين
تحـيـة العـصـفـور والشـاهين ؟ ألا تـدين كـلهــــا بـدين ؟
فـمـاله يعـذل كـالرقـيب ؟!

* * *

شـفـاعـةَ الأنوار والأحـبـاب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصَّدحُ الـهاتف بالعجاب أصـدق حـبـاً لك من غـراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسـمـعُـه والطيـر في أوان وقُبلةَ الصبح ، وقـد ناجانى
صوت حـبـيبى باديَ الحنان لذلك الموعـود بالحـرمـان
وماله في الحسن من نصيب !

* * *

أمنتُ منه لوعـــة الفـــراق وكلٌّ (غــاق) عنده وفــاق
فـلا يزل ينعم بالاشـفـاق من الرياض الفِـيح والآفـاق
ومنك يا فـجر ، ومن حـبيبى

* * *

(*) الحب : أعاصير مغرب .

أسبوع فلورة (*)
أو تكريم الكلاب

(لا أعنى تكريم كلاب المجاز ، فليس تكريم هذه الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب . وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشى بين يديه السباع ، فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب ونذالته وليست له نظرته وإهانته ، والناس تظلم الكلاب بحشره فى زمرتها ، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها . وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه .. ولكنى عنيت الكلاب ذات الأذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وأن حقاً على الناس أن يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نلام إذا نحن مجدناها فى مخلوق من مخلوقات اللّه ؟

اجتمعنا فى رهط من الأدباء ليلة من الليالى ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضى أسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا ، فقلت أبارك للنفساء وأحيى المولود ! :)

أعلنى «يا فلورة» الأفراحا ... وامـلأ الأرض والسماء نباحا
ما حبا الدهر بنت كلب بأعلى ... من ذراريك عنصراً ولقاحا
أبشرى ، دولةَ الكلاب ، بجرو ... سوف ينفى عن جيله الاتراحا
ما تقضّى الأسبوع إلا تمشّى ... يذرع الدار جيئة ورواحا
خلع الليل والنهار عليه ... فتوارى عن العيون ولاحا
حرّك الدهر ذيله حين وافى ... وعوى الكون بهجة وانشراحا !
سوف يدعى على الكلاب أميراً ... يفزع الأسد وثبةً وصياحا
يلبس الطوق من نضار ودر ... ويحوك الخز الثمين وشاحا

* * *

(١) أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب : جزء أول .

واراه يعـــيـــد ســـيـــرة قطمـــ ـــيـــر [1] وقـــاراً وفطنة وصـــلاحـــا

لا أصـــابت عـــصـــا لئـــيم قـــفـــاه أو ثوى فى الطريق ليلَ صـــبـــاحـــا

لا ولا عـــضـــه من الجـــوع ناب يُثـــخن الناس والســـبـــاع جـــراحـــا

أو ترامـــى علـــى الموائـــد يومـــــاً يرقب العظم ســـائلاً ملحـــاحـــا

أو بـراه داء الكـلاب فـــأخـــفـــى بين جـــفـــنيـــه عـــســـجـــداً لماحـــا

كـــان إيواؤها حـــرامـــاً فـــاضـــحـــى اليـــو م إيواؤها حـــلالاً مـــبـــاحـــا

قـــد فـــرحـــنا فى عـــيـــده وطربنا وشـــربنا فى نخـــبـــه الأقـــداحـــا

يا كليـــبـــاً أزرى بـذكـــر «كليب» لا تظنن مـــا نقـــول مـــزاحـــا

مـــا مـــدحـــت الأنام يومـــاً وإنى لست آلوك يا كليب امـــتـــداحـــا

أعـــجـــم الناس فى الوداد ومـــازا ل بنو الكلب فى الودادِ فـــصـــاحـــا

إن عىّ اللســـان خـــيـــر من النطـ ـــق إذا كـــان لـلأذاة ســـلاحـــا

وســـعـــار الكلاب أهون شـــرا من ســـعـــار يعرق الأرواحـــا

* * *

أبو العيـــــد (*)
طائر يأكل دود القطن

أبا العـــيـــد لو جـــئـت بين الأول لصلى إليك عـــبـــاد الجُـــعـل

ولا تـخـــــذوك إلـهـــــا لـهـم لـــه مـــلـــة بـــين تـــلـــك الملـــل

وقـــــالوا إلـهٌ رحـــــيـمٌ بـنا فـــمـن يدنُ منه بســـوء قـــتـل

وأبدلت من شَـــرك بيـــعـــة على الأرض شـــاهقـــة كـــالجـــبل

وكـــان لعـــيـــدك فى أرضـــهم أبا العـــيـــد يومٌ عـــمـــيم الجـــذل

* * *

(١) قطمير : كلب أهل الكهف .

(*) أبو العيد – طائر يأكل دود القطن : جزء أول .

وعل كردفان (*)
بحديقة الحيوانات

يا وعلَ القفر كيف أسرَى … إلى حماك العزيز أسر
ساقُك يثنينها العوادى … والضأن عدّاءة تكرّ
سهوت عنا وعن أناس … يعجبهم سجنك الأمر
تذكر داراً نأيت عنها … والعمر غض الأهاب نضر
والأرض قد ملّكتك فيها … ساقٌ لها كالرياح مر
ترود منها سهلا ووعراً … يرضيك مرج منها وقفر
لو فرّ من حتفه وليد … لكنت فى رحبها تفر
هذى ديار وتلك أخرى … هيهات من كردفان مصر!
وربما خلتَها قريباً … لها وراء الحديد عبر
لو زحزحوا بابه قليلا … حواك من كردفان عُقر! (١)
تبلغها طفرة فأخرى … ولا يؤد الوعول طفر
وكل ذى حاجة جهول … وكل راجى الخلاص غر

* * *

قضاؤك الحتم فاحتمله … واصبر وإن لم يفدك صبر
نت بحسن العزاء أحجى … وبعض حسن العزاء كبر
تربك (٢) تسليك والروابى … حولك رفّافة تسر
ألفتَ زأر الأسود فيها … وكان للسمع منه وقر
وكنت إن همهمت تَمشّى … قلبٌ بجنبيك مقشعر
أمّنك الذل وهو خوف … وحاطك الأسر وهو شر

* * *

(*) وعل كردفان – بحديقة الحيوانات : جزء ثالث . ٢١٦ (١٩ .فقرة ١٤٦) .

(١) عقر : الدار وسطها .

(٢) تربك : الترب الند والمقصود به هنا أنثى الوعل .

عش مـفـرد القـيـد ، إن أصـلا نماك بين الأصـول حـر
ومـا وجـدنا الإنسـان إلا مـضـاعف القـيـد لا يقـر
للضـيـم فـيـه وفى ذويه حـزٌ بفـوديه مـسـتـسـر
نـحـن بـنـى آدم أسـارى لنا بوشم الإسـار فـخـر

* * *

الطـير المهاجر (*)

علمـتنى مـواسم الروض أنّ الطـ ـير شـتى : مـهـاجـر ومـقـيم
أترانى لا أسـمع الطـيـر إلا فى رياضى مـعـشـشـاً لا يريم (١) ؟
رب شـاد فى هجـرة يتـغـنى وعليـه السـلام والتـسليم
من جنوب إلى شـمـال ، وحـيناً من شـمـال إلى جنوب يحـوم
فله حين يسـتـقـلّ (٢) وداع وله حين يقـبـل التـكـريم
خـذ من الطيـر كلّ يوم جـديداً فـسـواء جـديده والقـديم
كم مُـوَلٍ وصـفـوه لا يولى ومـقـيم وصـفـوه لا يقـيم

* * *

حديقة حيوانات آدمية (*)

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات . وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف فى أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغنى ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهى لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان :)

أورفـيـوس الفن سـوّى بينهـا فـتـلاقى الدُّبّ فـيـهـا والقـرودْ

(*) الطير المهاجر : أعاصير مغرب .
(١) يريم : يفارق .
(٢) يستقل : حين يبرح ويسافر .
(*) حديقة حيوانات آدمية : وحى الأربعين .

وتغَنّى فـــرَسُ البـــحــــر بهـــا | ياله من فـــرس طَلْقِ النشـــيـــد !
ومـــشى الأرنب والحـــوت لـهـــا | صـــاحـــبـــا القـــاعين من لُج وبيـــد
وتآخَى الجِـــدىُ والضـــبْع ومـــا | بين هذين ســـوى الثـــأر اللدود
وجـرى «السـيـسىُّ» فـيـهـا شـوطه | وهو ناهيك بســـيـــسى عنيـــد
ولغـا «البطريق[1]» فـيـهـا لغـوه | وهو من قطب جنوبىٍّ بعـــيـــد
وكـأنى بالزرافَى [2] اجـتـمـعتْ | وحمـيـر الوحش منها فى صعـيد
وأوى الـسـنّور والجـــــــرو إلى | نمر فـيـهـا ، على غـيـر الوصـيـد [3]
والسُّلَحـــفـــاةُ تجـــارى عندها | أرنب البـــيـــداء والكلب الصَّـيـــود
فُـتـحتْ أقـفـاصـهـا واخـتـلطتْ | لا ســدود ، لا قـــيـــود ، لا حـــدود
حـــيـــــــوانـاتٌ نماهـا آدم | وهـى مـن أبنـائـه نـسـلٌ فـــريد
حـــيـــوانـاتٌ ولكن بينهـــا | كلُّ ذى لب ســـمـــاوىِ رشـــيـــد
أورفـــيـــوس الفن ســـوّى بينهـــا | فـاسـتـوى المنشـد فـيـهـا والمعـيـد

* * *

رثاء كلب(*)

حـــــزناً على كـلـب طـاهـرٍ [4] | فـــــــإنه طـاهـر الـكـلاب !
تشـــابهـــا فى خليـــقـــةٍ | واتفـــقـــا - شـــيـــمـــةَ الصـــحـــاب
وربمـــا عَـــــىّ طـــــاهـــــرٌ | وكلبـــه حـــاضـــر الجـــواب
فليس يُوفـــيـــه حـــقـــه | من اكـــتـــئـــاب أو انتـــحـــاب
إلا إذا بـات نـابـحـــــــاً | نبح المســـاعـــيـــر فى الخـــراب
عـــوْعـــوْ ، عَـــوَوْوَوْ ، بلا وبىً | ولا انقطاع ولا اقـــتـــضـــاب

* * *

(١) البطريق : هو الطير المعروف فى اللغات الأفرنجية بالبنجوين .
(٢) بالزرافى : جمع زرافة .
(٣) الوصيد : العتبة ، وفى البيت إشارة إلى الآية «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .
(*) رثاء كلب : وحى الأربعين .
(٤) طاهر : هو الأديب طاهر الجبلاوى .

لا تســـــألوا رحـــمــــــة لـه
قـــد رحـم اللّه واســـتــجـــاب
لـعلـه مـــــات قــــانـطـاً
مـن «أزمــــة» الأكل والـشـــراب
منتـــحـــراً فـى شـــبــــابه
وهكذا يفـــعل الـشــــبـــاب
أراحــــــه الـلّـه مــن ضـنـىً
أنقـــذه القـــبـــر من عـــذاب
فـلـيـــحــــمـــد اللّه ربـه !
من جـــاع فليـــرضَ بالتـــراب

* * *

كلب ضائع (*)

أوديوجين الكلبى (*)

أمـــست كـــلابك شـــتى
وأنت يا صـــاح أنتـــا
كـلـبٌ نجــــا وهـو حـيٌّ
وآخـــرٌ فـــرّ مـــيـــتـــا
مــــا بـين تاركِ دنيــــا
وتـارك لـك بـيـــتـــا
قـل لـى بـربـك مـــــاذا
على الكـلاب جنيـــتـــا
حـتى «ديوجين[1]» ؟ قل لى
يا شـــيخُ مـــاذا صنعـــتـــا
واللّه مـــا كـــان يأبى
لو صـــادف الخـبــز بحـتــا
أو جَـــدتَ يومـــاً عليـــه
فـــصــــادف الأدْمَ زيتـــا
زعـــمــتَــــه راح يهـــوى
من قـــومـــه الغـــرّ بنتـــا
لا تـلـزم الحـب ذنبـــاً
من الـصـــيـــــام تأتـى
فـاحـمـل رغـيـفـاً تجـده
فـى أى صـــوب نـظـرتـا
مـصـبـاحـه [2] ليس يجـدى
فـــلا تُضع فـيـــه وقـتـــا
أنـعـمْ بـه مـن حـكـيـم
إلى ديوجين مـــتّـــا
رأى الســـلامـــة حـــقـــا
ومـن رأى الحـق أفـــتـــى

* * *

(*) كلب ضائع - أوديوجين الكلبى : وحى الأربعين .

(١) ديوجين : الكلبى فيلسوف يونانى . قد سمى الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية .

(٢) مصباحه : كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً فى النهار يفتش به عن رجل فلا يجده .

أمام قفص الجيبون (*)
فى حديقة الحيوان

(القـرود العليـا هى الشـمـبـانزى و «الأرانغ أتانغ» و الغـورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده فى رأى كثير من النشو ئيين ، لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف .

ومن هذه القرود العليـا مـا يصلح – من الوجـهـة الشـعـرية – أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزى» لتأمله وسكونه وإشمئزازه من الحياة !

ومنهـا مـا يصلح أبا لرجـال المطامع والوقـائع وهو «الغورلا» لبطشـه وهياجه وقوة عضله .

ولكن «الجـيـبون» وحـده هو الذى يصلح من الوجـهـة الشـعـرية أبا للفنانين والراقصين لأنه لعوب طروب ، رشيق الحركة خفيف الوثوب يقـضى الكثـيـر من أوقـاته فى الرقص والمناوشـة ، ويحب أن يعـرض للناس ألاعيبه وبرواته ، وإذا صعـد أو هبط فى مثل لمح البـصـر فإنما يصـعـد ويهبط فى حركات موزونة متـعـادلة كأنما يوقعهـا على أنغام موسيقية لا تخطئ فى مساواة الوقت ولا فى مضاهاة المسافة ، فإذا شهدته فاسأل نفسك :

مـا بال هذا القـافز الماهر قـد وقف حـيث هو فى «سلم الرقى» ولم يأت على درجات السلم كلهـا صعـودا ووثبا فى بضـعـة مـلايين من السنين ! هذا سؤال ، وسؤال آخر تعود فتسأله : ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد ؟ الطعام المطبوخ ؟ هو يأكل طعـامه الآن نيئا وذلك أنفـع ، أو يأكله مطبوخا على يد غيره وذلك أدنى إلى الراحة !!

أو يفـيـد العلم ؟ قصاراه إذن أن يقول «لست أدرى» كـمـا يقـولهـا الإنسان كلما واجه معضلات الوجود .

أو يفـيـد وزن الشـعـر ؟ هو الآن يزن الحركـة كـمـا توزن التـفـاعـيل والأعاريض . وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعانى ، وهو قاعد حسير ! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات :)

(*) أمام قفص الجيبون : عابر سبيل .

أيهذا الجيبون أنعم سلاما يا أبا العبقرىّ والبهلوان
كيف يرضى لك البنون مقاما مُزريا ، فى حديقة الحيوان ؟

* * *

إلعبْ الآن وانتظر بعدُ حقْبا ترقَ فى «سلم الرقى» وتعلُ
كيف لم تصعد السلالم وثبا أيها الصاعد الذى لا يمل

* * *

يا عميد الفنون صبراً ، ومهلا وارض حظ الهتاف والتهليل
مرحبا مرحبا ، وأهلا وسهلا والهدايا ما بين لب وفول

* * *

انتظر يا صديق شيئاً فشيئاً تطبخ القوت كله بيديكا
غير أنى أخال ما كان نيئاً منه أجدى فى الحالتين عليكا

* * *

انتظر يا صديق مليون عام أو ملايين ، لست واللّه أدرى !
إن تدانيت بعدها من مقامى فقصارى المطاف أن لست تدرى

* * *

واصطبر إن عناك نثر ونظم سوف تتلوا نثرا وتنظم شعرا
وغدًا يطفر الخيال ويسمو والذراعان لا تطيقان طفرا

* * *

وجمال الوجوه سوف تراه فى المرايا ، بعد الطواف الطويل
سوف تحلو فى ناظريك حلاه فتهيأ للضم والتقبيل !

* * *

وإذا مـــــــا درسـت أوزان رقـص بعـد لأى ، فـالرقص فـيك انطبـاع
هل تنال الكمـــال من بعـــد نقص إن أقـلـتّـك فـكـرة ، لا ذراع ؟

* * *

قـفص أنت فـيـــه أرحب جــدا من فـضـاء ، نقـيم فـيـه أسـارى
قـد ضللنا فـيـه وهيـهـات نهـدى ونجـوم الـســمـاء فـيـه حـيـارى

* * *

انتظر ! سـوف تفـهـم الشيء باسم بعــد رسم ، وغـــابر بعـــد حـــال
فــإذا مـــا طلبت باطن فـــهـم يا صــديقى ، طلبت أى مــحـــال

* * *

أين بـالأمـس كـنـت يوم ابتـــدأنا والتـــقـــينا بآدم فى الطريق
قـــد بلغنا . فـــأين تبلغ أينا حين تمضى وراءنا يا صـــديقى ؟

* * *

إلهُ والعب واضـحك كـمـا شئت منا أنت طفل الزمـــان ، والطفل غـــر
سـوف تبكى حـزنا وتضـحك حـزنا حـين يمضى دهرٌ ويقـــــبل دهر

* * *

عتب على الجيبون (*)

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة ، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو فى تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب ، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة ، كأنه هو الذى يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه ، وفى الأبيات التالية رجاء كذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء فى مدحه وتقريظه :)

أيها الجيبون لا تفـ ـضح تقاريظى وشكرى
أنت بعد اليوم محسو ب على نقدى وشعرى
أنت إن لم تحسن الرقـ ـص فمن يحسن عذرى ؟
أنت إن قصرت قالوا شاعر بالزور يطرى
ما لذا العقاد والتقر يد و «التقريظ» يغرى
أنه يهرف بالمد ح ولكن ليس يدرى
فاملأ الأقفاص يا جيـ ـبون طفرا أى طفر
وقل العقاد لا يخطـ ـئ فى تعريف قدر

* * *

(*) عتب على الجيبون : عابر سبيل .

بيجـــو (*)

رثـــــاء

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حـزناً على بيـجـو تثـور الضلوع
حـزناً عليـه جـهـدَ مـا أسـتطيع
وإن حـــزنـاً بعـــد ذاك الـولـوع
واللّهِ - يابيـجـو - لحزنٌ وجـيع

* * *

حـــزناً عليـــه كلمـــا لاح لـى
بالليل فـى ناحـــيـــة المنزل
مُـسـامـرى حـينا ومـسـتـقـبلى
وسـابقى حـيناً إلى مـدخلى
كـــأنه يعلـم وقت الرجـــوع

* * *

وكلمـا داريت إحـدى التـحفْ
أخـشى عليـهـا من يديه التلف
ثـم تنبـــهت وبـى مـن أسـف
ألا يصيب اليوم منها الهدف . .
ذلك خـيـر من فـؤاد صـديع

* * *

(*) بيجو : أعاصير مغرب .

حــزنى عليــه كلمــا عــزنى
صــدق ذوى الألبــاب والألسن
وكلمــا فــوجــئت فى مــأمنى
وكلمــا اطمــأننت فى مــسكنى
مــستــغنيــاً . أو غــانيــاً بالقنوع

* * *

وكلمـــا ناديتــه ناســيــاً :
بيــجــو ! ولـم أبصـــر به آتيــا
مـداعبـا مبتـهجاً صـاغياً . . .
قــد أصــبح البــيت إذن خــاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحــسبنى ذاكــره مـا حــيـيت
لو جـاءنى نسـيـانه مـا رضـيت
بيـجـو مـعــزىٌّ إذ مـا أسـيت
بيـــجـــو مناجىٌّ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيــجــو الذى أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصـيـاح
لو نبـحــةٌ منه ، وأين النبــاح ؟
ضيّعتُ فيـها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته . . . يا برحــهــا من ألـم
يخــدش بابى وهو ذاوى القــدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بـــنـظـرة أنـطـق مــن كـل فــم
يا طول مــا ينظر ! هذا فظيع !

* * *

ثم لا أرى النوم لعـــينى يطيب
أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب
يا آل قطمـيـر هواكم عـجـيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . ولا من طلوع

* * *

ثم واترك الأفـــواج يوم الأحـــد
والبـحـــر طاغ والمدى لا يُحـد
عـيناى فى ذاك وهذا الجسـد
بوحـشـة القلب الحزين انفـرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجـــزاء
يا واهب الود بمحض السـخـاء
يكذب من قـال طعـام ومـاء
لو صح هذا ما محضتَ الوفاء
لغـائب عنك . وطفل رضـيع

* * *

قصص وأماثيل

سباق الشياطين (*)

يا شـيــاطين الدجى حيّ هلا (١) | وتغنّى الآن بالفـعل الذمـيم
أيّكم في الناس أعلى منزلاً | فله عندي مقاليد الجحيم

* * *

رنّ في الندوة صوت الكبرياءْ | رائعَ الصيحة مرهوبَ الصدى
قال إني أنا داء الأعلياء | أنا داءٌ لهُم فيه الردى
مالئٌ بالغيظ قلب الضعفاء | تارك النابهِ (٢) فيهم أوحدا
رُب خير بت أجريه على | منهج الفتنة والشر العميم
ووضيع رحت أذروه إلى | مطلع النجم كما يُذرى الهشيم

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد | مشية الأفعى إلى وكر القطا
شاحبَ السحنة مهضوم الجسد | خائفاً في جبنه قد أفرطا
قال : لو شئت لما حاز أحدْ | منكم السبق وإن جدّ الخطأ
بذوي القربى ولُوعي والأولى | بينهم قربَى سهيم من سهيم (٣)
أجدر الناس بأن يتصلا | حائل بينهما كيدي العظيم

* * *

ونبري للقول يأسٌ معضلُ | كلما هم تولاّهُ الضجر
قال ما لليأس فيكم مأملُ | لا ولا يرجو مقاليد سقر
بيد إني قاتل لا يَعقل | ومن القتل حياة للبشر

(*) سباق الشياطين : جزء أول . ٥٠ (٣٥ فقرة ٥٦) .
(١) هلا : أي أقبلي وتعالى .
(٢) النابه : المشهور .
(٣) السهيم : الشريك والحسد موكل بالنظراء من الناس وهم أحق الناس بالمؤاخاة .

أنا إنْ أيأست من وِرد حـــلا	فكمـا ييـأس من ثدىٍ فطيم
فـذرونى ! كـيف أبغى مـؤئلاً	بين خنَّاس ووسـواس رجـيم ؟

* * *

ثم أبدى الليل شـيطانَ الندمْ	ضـارعـاً يفـرق من خـفق الهـواءْ
اخـرس المِقـوَل من غـيـر بكم	ولقـد ينطق حـيناً بالبكاء
يمقت الإثم ويغـرى من أثِم	بذنوب مـاله منهـا وقـاء [(١)]
يمقت الإثم ويغـرى بالطلا [(٢)]	وهو بالشـارب ينبـو والنديم
يغـفـر الموتور للجـانى ولا	يرحم الجـانىَ من وخـز أليم

* * *

ومـشى من جـانب الحب أنينْ	كـشـواظ النار يرمى بالشـرار
لفح القـومَ فـهـبوا صارخين	وهُم فى الخلق من مـارج نار
أنا شيطان الهوى أفرى الوتين [(٣)]	كل من أغشـاه مسلوب القرار
أنا للبـغض سـبـيل والقلى	وسـبـيل للرزايا والهـمـوم
ليس فى الكون مكان قـد خـلا	من صراعٍ أنا مـوحـيـه القديم

* * *

ودعـا الداعى بشـيطان الكسلْ	فـتـمطى سـاعـةً لا ينطق
قـال لو راودت نجـمـاً لأفل	وثوى في أفـقـه لا يشـرق
آفة القـول جـمـيـعـاً والعمل	وبلاء اللّه فـيـمـا يخلق
ورأى وجـه الرياء المقـبـلا	فـتنحى خلفـه وهو كظيم
مـذ رأوه هتـفـوا مـا أجـمـلا	وهو يزوى عنهمو الوجه الدميم [(٤)]

* * *

---

(١) وقاء : كم أدى ندم الجرم على جريمة إلى اقتراف جريمة أخرى !! .
(٢) بالطلا الخمر .
(٣) الوتين : عرق بالقلب .
(٤) الدميم : للرياء وجهان : وجه جميل يظهر به للناظرين ووجه يستره عنهم .

قـــال : إنى أنا شـــيطان الرياء — صــاحب الوجــهين أملود [1] اليــد
ألبس الأعــداء جلبـــاب الإخـــاء — وأعــيــر العــبــد وجــهَ السـيّــد
وأمــيت النفس فى طى الخــفـــاء — فــهى تحـيــا كــالرفــات الملحــد
أنا فـــيـــمـــا ابتلى صنو البلى — أبدل الأحـــيـــاء إبدال الرمــــيم
مــيتٌ من عـــاش يومــاً مــبــدّلا — ومــســيخٌ وجــهــه وهو وســيم [2]

* * *

أنصت الجــمع ولم يبق ســوى — حكم إبليس بســبق الســابق
رجع الأمـــر إليـــه فـــاســـتـــوى — يلحظ الرّهط بعـــينى حـــاذق
ثم نادى بالرياء الجـــتـــوى [3] — فــــــأبى الخب إباء المـاذق [4]
قـــــال تأباها ولولاك الجلَى — غــيــهب الأرض فكانت كــالنعـيم
دونك الدنيـــا اتخـــذها منزلاً — وتولَّ اليـــوم أبواب الجــحـــيم

* * *

كولمب فى الأقيانوس (*)

مــن لكولمــب والمخـــــاوف تثنيــ — ــه وتزجــيــه خــادعــات الغــرور
هام بالعـــالم الجــديد كـــمـــا ها — م تقى بالعــــالم المســـتـــور
مـــا ابتـــغى جــيـــرةً هناك ولا أهــ — ــلاً ولا عـــاذ عنده بنصـــيـــر
أى أهل وجـــيـــرة لهـــمـــام — أوْحَـــدىّ المنى قليل النظيـــر

من له فـــاتحـــاً . ومـــا فـــاتح المجـ — ــهــول يومـــاً كــفـــاتح المنظور
ضـاربـاً فى حـشا خضارة [5] تعلو — ه ســمـــاءٌ عـمـيـقـــه التـدوير

(١) أملود : ناعم .
(٢) وسيم : من أظهر شعوراً غير شعوره فكأنه ميت حرم الحياة لأن الحياة هى الشعور .
(٣) الجتوى : المكروه . (٤) الماذق : المتلون .
(*) كولمب فى الأوقيانوس : جزء أول .
(٥) خضارة : من أسماء البحر والمحيط الأطلسى كما لا يخفى لم يذلل للركوب قبل سفر كولمب فكأن ظهره ظهر الأوابد أى الوحوش والحيوانات التى يسلسها الركوب .

يعتلى صهوة الخِضَمّ خضمًّا   لم يوطأ ، كالآبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضاب   أين يمضى ؟؟ وعيلم تيهور
يذرع الليلَ والفضاءَ بطرف   شاخص لحظه ووجه وقور
ويضل الفجاج فى الصبح حتى   يسبلَ الليلُ خيمةَ الدَّيجور
فإذا النجم كالسفينة ركبٌ   ليس يدرى هناك عقبى المسير

من لكولمب لا السماوات تهد   يه ولا النور فى دجاهُ بنور
يسأل السحب أين مسراك غرباً   أين ترمين بالحيا المسجور (١)
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحيـ   ـين منه الثرى بصوب غزير
إنما يزجرُ السحاب وما كا   ن سحاب بالطائر المزجور (٢)
لو نعيبَ الغراب (٣) يسمع لاعتدَّ   نعيب الغراب صوت بشير
فى سماءٍ ما قط حوّم فيها   غير غادى سحابها من طيور
كلَّ يوم يرى بساطاً من المو   ج شبيهَ المطوى بالمنشور
فيرى الراكبوه أن لن يزالوا   راسياً فلكهم رسو ثبير (٤)
تظهر الشمس كل يوم ولا يأ   ذن للأرض حاجب بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً   مدها اللّه من وراء البحور (٥)

***

غرضٌ كان لم يصب منه خيراً   وتولى وليس بالمشكور
ذلكم آدم الذى أورث النا   س كميراث آدم المعمور !

***

لا تلوموا الكبير يركب هولاً   إنما الهول من مطايا الكبير
إن قلب العظيم بحر زخور   فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلال فى اليمّ أرهب منه   صراعاتُ الضلال فى التفكير

(١) الحيا المسجور : أى المطر المخزون .
(٢) زجر الطير : صناعة كانوا يزعمون فى الجاهلية أنها تكشف الغيب .
(٣) الغراب : الناس تتشاءم بنعيب الغراب ولكن كولمب لو رآه قبل وصوله إلى أميركا لعلم أنه طار عن البر الذى كان ينشده فكان له بشيراً .
(٤) رسو ثبير : المناظر متشابهة فى عرض البحر الفسيح فإذا أصبح السفر فرأوا السماء فوقهم والماء تحتهم كما كانوا أمس حسبوا أنهم أصبحوا بحيث أمسوا وإن فلكهم كالجبل الراسى الذى لا يتحرك .
(٥) الراح : جمع راحة اليد .

الأثواب الثلاثة (*)

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك ، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك بل هو فى الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير . فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأى نفس أخرى . فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمنى والعمل وهذا مثل تقسيم الأثواب فى القصيدة التالية فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحدا منها ، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه . فكيف كان الإنسان إذن يرضى عن نصيبه ؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط أو إذا تساوى الناس فى كل شىء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر .

ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطاع إرضاء الناس جميعا إلا بما فيه خراب الكون .)

ليلة العيـد أقبلت بالسعود ... فاكتسى بالجديد كل وليد
واكتست بالجديد كل فتاة ... لبست جدةَ الجمال الفريد
وتواصت على الثياب أخيّا ... ت ثلاث فتنٌ بالتقليد
يتسترن بالإخاء وتُزهى ... كل أخت بحسن وجه وجيد
لا تجل (العذراء) إن لم تجدها ... فى كساء من الطراز الجديد
فمن يقسمن بينهن شفوفاً ... غاليات من زاهيات البرود
لاحقاتِ الأثمان بعضاً ببعض ... واختلاف الألوان جِدّ شديد
فتنازعنها مليًّا وولت ... كل أخت بريبة المزؤد (1)
تنتقى الثوب ثم تزهد فيه ... ثم تُغرى بثوبها المردود
لم يكن غيره بأخلب وشياً ... لا ولا كان همها فى المزيد

(*) الأثواب الثلاثة : جزء أول .

(1) زأده : أفزعه .

حـــــداً والضـــئيل يبـــدو جليـــلا إن رآه الـفـــتى بعين حـــســـود

* * *

هكذا الخلق فى الحـــيـــاة تعـــادوْا فى حظوظ مـــقـــدورة وجـــدود
ظلمـــوا دهرهم ولـو بلغـــوا الســؤ ل لما كـــان عندهم بســـديد
لا تظنوا الشـــريد يرضى بأن يُبْـد ل من همـــه بهم العـــمـــيـــد
لو تمنى العـــروش لم يرض أن يخلـ ـع فـــوق العـــروش نفس الشـــريد
وأحب النفـــوس نفـــسك لكـــ ـنّ أحب الحظوظ حظ البـــعـــيـــد

* * *

غادة أثينا (*)

حـــــــدثى عن دولـة الإسـكـنـدر يا عـروس الشـعـر واروى واذكـرى (١)

* * *

كـــاعب كـــالظبى إلا أنهـــا دون نهـــديهـــا جنان القـــســـوَر (٢)
علّمـــتـــهـــا أمٌّ علـمت صِنوها البـــأس وقـــور الضُّـــمّـــر (٣)
رضـــعـــت ثـدى أثيـنا حـــرةً ونمت فى أمـــة لم تقـــهـــر
أمـــة حـــسب بنيـــهـــا سـوددًا أنهم رهطٌ عـــزيز العـنصـــر
وغـــزاها فـــاتح الأرض كـــمـــا تحـــدق النار بوكـــر الأنسُـــر
وابـتلـتـــــه بحـنـان صـــابـر وابتـــلاها بالعـــديد الأكـــثـــر
وسطا الجند عليـــهـــا كـــالدّبا (٤) بين ألفـــاف النبـــات المثـــمـــر

* * *

(*) غادة أثينا : جزء أول .
(١) هذه الحكاية مأخوذة من سيرة اسكندر فى تراجم فلو طرحش بتصرف كثير .
(٢) القسور : الأسد .
(٣) الضمر : المعنى أن الأمة التى تعلم بناتها العفة هى الأمة التى تعلم أبناءها الشجاعة وركوب الجياد .
(٤) كالدّبا : الجراد .

راود الغـــــادة منهم قـــــائد | ســيئ الخِـيم غَـــرىّ المنْظر (١)
أيهـــا الفـــاتك بالعـــرض الذى | صـــانه الطهـــر ترفق واحـــذر
أغـــمـــد السيف فـهـذى وقـعـة | لم تصب فــيــهـــا ، لَّما تظفـــر
خـــضت حـــرباً ليس من آلاتهـــا | منصل العـضب وسَـرْد المغـفـر (٢)
دون ذاك النصل ســـيف لهـــذَم | من شبـا اللحظ وقد سمـهرى (٣)
دون ذاك الســـور ســـد مـــحكم | من عــفــاف واضح للمـبـصـر
دون ذاك الحـصن قلب مـضـمـر | كـيف يُرمى حسن قلب مضمر ؟
تبَّت الحـرب فــمـــا فى غـيـرها | حل للجـيـش حـرام المِنْسَـر (٤)

***

أيأســتــه من رضــاها فــارتضى | من حلى الغـيـد بخط المشـتـرى
قـــال أين المال ؟؟ قـــالت هاكـــه | يَمم البـــســـتـــان وابحث وانظر
دونك البــســتـــان فـــانزل بئــره | والتـمس فـيـهـا نفـيس الجـوهر
إننى أحـــرزت فـــيــهـــا لؤلؤا | ليس يُلفى مـثله فى الأبحـــر
وأتى البـئـر فـــزجـتـــه يد | بضـــة بيـضـــاء مـــثل المرمـــر
فـتـردّى ، فـارعـوت تقـذفـهُ | برجـــوم كـــالغـــمـــام الممطر
واحـتـوته البـئـر فى أعـمـاقـهـا | كـــاحـتـــواء النفس ســر المنكر
إن من كـانت حـضـيـضاً نفسـه | لحـقـيقٌ بالحـضـيض الأكـدر

***

ورآها الجند فـــاجـــتـــازوا بهـــا | عند ذى القـرنين هوْلَ المحـشـر
لابس الغـــار عليـــه أخـــضـــرا | وهو مـــفنى كل زرع أخـــضـــر
وقـــفت وقـــفـــة لا مـــســـتـــعظم | عـــزةَ الملك ولا مـــســـتـــغـــفـــر
قـــال من أنت ؟ فـــقـــالت «إننى | أخت (ثيـجين) الأبىّ الشّـمـرى

---

(١) المنظر : الخيم الطبع وغرى أى يغرى بجماله .

(٢) المغفر : منصل العضب أى حديد السيف وسرد المغفر أى نسج الدرع .

(٣) سمهرى : اللهذم القاطع والشبا الحد .

(٤) المنسر أن ما يحرمه الناس على مناسر اللصوص يحللونه فى الحروب .

أخت (ثيجين) فسل مِن قومكم عنه مَن لاقاه تحت العِثْيرَ [1]
مات فى الحرب التى أرّثها [2] بغى فيليب أبيكَ الغَمشر
ذاد عن أوطانه ثم افتدى دوحة المجد بغصن «مزهر»

* * *

قال ذو القرنين إنى باسط لك فيْأ [3] فاسكنى أو فاهجرى
وخذى مما وهبنا أو دعى لن تُنالى بالأذى فى عسكرى

* * *

أورمزد واهرما (*) (٤)

أورمزد يا مخلفَ آمالى آمالى يا مخلقاً جدَّة سربالى
إذا تجهمت لأهل الثرى مزقت بالأضواء أوصالى [5]
وتمسح الأدمع من عينها حتى يبيت الصب كالسالى
الآن فلأحجبك عن أعين أحييتَها فى الزمن الخالى

* * *

مقالة فاه بها أهرما ثم مشى مشية مختال
لاقى بها الشمس وقد صدها بالغيم عن سهل وأجبال
يضحك بالرعد ويبدى لها بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت فى برجها لفتة وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبنى شانئ لولاى لم يلحق بأذيالى ؟

---

(١) العثير : غبار الوقائع .
(٢) أرثها : أوقدها .
(٣) فيأ : ظلا .
(*) أورمزد واهرما : جزء أول .
(٤) هما إلها الخير والشر عند قدماء الفرس وقد مثلت لأولهما بالشمس وللثانى الغمام .
(٥) الأوصال : هى الأعضاء .

تحجبني حيناً ولكنني   أزجيك للخيرات والنال (١)
لو علم الناس مصير الأذى   لنافسوا فى الشر بالمال

* * *

عند حلاق (*)

ما بالها تطفر كالغزال   ساحرةً بالتيه والجمال
هيفاء من أوانس الأندلس   ذات جبين كالنهار المشمس
قد أسفرت حاليةً بالنَّور   فى وجنة ومقلة وثغر
من كلِّ زهر ناضر الرواء   والزهر لا ينضر فى الشتاء
ثم استوت فى مجلس هناكا   تمد للخلائق الشباكا
أمامها المرآة فيها يظهر   ما ليس فى غير المرائى تبصرُ (٢)
تمثالها فى صفحة البلور   مرتسما بريشة من نور

* * *

وكان يرعاها أريب كيّس   فقرٌ فى موضعه لا ينبس
وصوّب الطرف إلى الرذيلة   يرمق تلك الصورة الجميلة
كمن يهاب الشمس فى السماء   فيرتضى بقرصها فى الماء
وساءها حتى إلى الطيف النظر !   أهكذا تبخل ربات الخفر ؟
الحسن إن ضن به المليح   كالمال إذ يدفنه الشحيح
والزهر إذ يزكو لغير ناشق   والبدر إذ يبدو لغير رامق
فأقبلت غضبى إلى قرينها   وأومأت سخراً إلى مجنونها !
قالت ألا تنظر للمغرور   حدّق فى المرآة كالمسحور
مازال يرنو نحوها بالطرف   حتى لقد أخجل فيها طيفى

(١) النال والنوال : بمعنى واحد .
(*) عند حلاق : جزء أول .
(٢) تبصر : المعنى أنها ترى أمامها فى المرآة ما لا تبصره هى إلا فى المرايا لندرة من يماثلها من الحسان .

فــأومـــأ الـقـــرين لـلـحــــلاق   يـبـــتـــسم ابـتـــســامــة الإشـــفــاق
وقـــال : قل لـلصـــاحب الصــديق   لا يـكـســـر المرآة بالـتـــحـــديق
مـن يـكْـثـــر الـلـمح لهـــا بـالـليل   قـــد يـعـــتـــريه خـــبـل فـى الـعـــقـل

* * *

فــأطرق الأديب كـــالمـســـتـعـــتـب   وقـــال «عـــفـــوًا» يا قـــرين الكوكـب
مـــــا فـى المرايا ثَـمّ من شــــيطان   يُخــــــاف منه المسّ لـلإنـســـــان
لكنّ فـــيـــهـــا ملكاً مكمّـــلا   يوحى لـنـا الحـــسن كـــمـــا تـنزلا
ملـكـتَ منه الـذات واســـتـــأثرتا   فـــفـــز بـهـــا مـــغـــتـــبطاً ، هنئـتـــا
ودع لـنـا هـذا الخــيـــال مـــغـنمــا !   لـيـس الخـيــال حــرمــاً أو مــحــرمــا

* * *

أمنـــا الأرض (*)

(مـغـزى هذه الـقـصـيـدة أن الخـوالج التى تحـرك الأطفـال هى الخـوالج التى تتـصرف بالرجـال ، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادّون بالحيل التى تخدع بها الأطفـال وهم لاعـبون ، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون) .

أســـــائلُ أمنا الأرضـــا   ســـــــؤال الـطـفـل لـلأم
فـــتـــخـــبـــرنى بما أفـضى   إلـى إدراكــــــــه عـلـمـى

* * *

جـــــــزاهـا الـلّـه مـن أمّ   إذا مـــا أنجـــبـت تـئـــدُ (١)
تُـغـــذّى الجــسم بالجـــسم   وتـأكـل لحـم مــــا تـلـد

* * *

(*) أمنا الأرض : جزء ثانى .
(١) تئد : تدفن أولادها .

ألا يـا أمّ كـم طـلـعـــــا عليك الشـــمس والقـــمـــرُ
وكـم أسـنـى وكـم وضـــعـــا على أرجــــائك القـــــدر

* * *

أقـــامـــوا أمسِ وانصـــرفـــوا فليس لفَلِّهِم [1] شـــمـــلُ
فـــأيـن نفس من سلفـــوا وأيـــن يـــكـــون مـــن يـــتـــلـــو

* * *

فـــقـــالـت فى مـــلامـــحـكم يـبـين الجـــــدّ والخـلَف
فـــجـــوســـوا فى جـــوانحكم فـــثمٌ يجـــوس من سلفـــوا

* * *

وأين عظام من نبـــهـــا [2] من الماضين فى السّـــيـــر
فـــقـــالت قـــد صنعت بهـــا لكم حلوى من الثـــمـــر !

* * *

ومـــا المجـــد الذى أضـــرى قلوب بنيك فـــاشـــتـــجـــروا ؟
فـــقـــالـت حلة كـــبـــرى يراها القلـب لا البـــصـــر

* * *

فـقلت لهـا : فـمـا العـمل ؟ فـــقـــــالـت خـــادم الحُلْم
ومـــا الأحـــــلام والأمـل ؟ فـــقـــــالـت حـــيلة الأم

* * *

وقـــد يُحـــتـــــال للطفل على خـــيـــر له مُـــجـــد
ألا يـنـبـــــو عن الأكـل إذا لـم يُغـــرَ بًالـوعـــــد [3]

* * *

(١) فل الجيش : هو ما تبدد منه . (٢) نبه : اشتهر .
(٣) بالوعد : الأمل كاللعبة التى توضع أمام الصبى ليمشى إليها حتى إذا بلغها أبعدت عنه وهكذا إلى أن يقوى على المشى وكذلك الأمل كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى فيبعثنا على العمل الذى يقدمنا ولولاه لما عملنا .

فقلت لها ما السَّقمُ / ومـا الآلام والبلوى
ومـا الآفـات تخترم / شبابَ الأحور الأحوى ؟

* * *

فقالت إنما البلوى / عقاب الطيش والنَّهم
فإن جرتم على الحلوى / هززت لكم عصا الألم

* * *

وقلت لها فما الذهبُ / وفيمَ طويته عنا
فماج الناس واضطربوا / فلا عطفاً ولا أمنا

* * *

فقالت لست أحسبه / سوى ضرب من الحجر
وإن الطفل مطلبُه / أشد لكل مستتر

* * *

يجد الطفل مفتتنًا / بما لم يُبدِه العلَنُ
ويحسب جهده ثمنًا / لشيء ما له ثمن !

* * *

لَزدت بقولها خُبْرًا / وزدت بقولها جهلا
فما ألفيته وعرًا / وما ألفيته سهلا

* * *

وصحت بها إلى أينا / إلي أين المصير بنا ؟؟
فغضّت عينُها الجفنا / وصدت عنّيَ الأذُنا

* * *

بنى الدنيـا لعـابِ بهـا ‏‏‏‏‏‏ ففـى الأبواب قـصّـاد
لكم يوم بملعـبـهـا ‏‏‏‏‏‏ وتحـت الأرض آبـاد

لهـا ملهىً تكرره ‏‏‏‏‏‏ إذا مـا انفضَّ لم يُعـقـدْ
نغـادية فنـنظره ‏‏‏‏‏‏ ويوصَـدُ بابُه السـرمـد

سيـان (*)

ياشمس ما ضرّك لو لم تشرقى ‏‏‏‏‏‏ يا روض ما ضرك لو لم تعبق
يا قلب ما ضرك لو لم تخفق ‏‏‏‏‏‏ سيان فى هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقًا ومن لم يخلق

المعرى وابنه (*)

قال المعرى :

وإذا أردتم بالبنـين كـرامـة
فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

(فهو والدرؤف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ! فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه ! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للآباء؟ والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم العدم) .

يا أبى ! طال فى الظلام قـعـودى ‏‏‏‏‏‏ فـمتى أنت مـخـرجى للوجـود ؟

طال شوقى إليك فاحلل قيودى

(*) سيان : جزء رابع .

(*) المعرى وابنه : جزء ثانى .

يا أبى عـــالمُ الظلام مـــخـــيف　　ليس يقـوى عليـه طفل ضـعـيف
فاجزنى من ظله المسدود

حَـدِّثونـا عن الحـيـاة العـجـاب　　فلهـــجنا بحـــسنهـــا الخـــلاَّب
وظَمئنا لحوضها المورود

حـدثونا عن الدجى كـيف يسطو　　وعن الصـبح بعـده كـيف يعطو
وعن النحس فيهما والسعود

حـــدثونا عن دارها وبنيــهـــا　　وجـهـادٍ يُمنى[1] به القـوم فـيـهـا
وعن الموت بعدها والخلود

أرنى الجـهـر يا أبى والخـفـاءَ　　أى شىء ذاك المسـمَّى شـقـاءَ ؟
أى سر يُراد بالمولود ؟

مـا الوجـوه الحـسـان ؟ ومـا النَّوار ؟　　ما الدرارىّ ؟ مـا الفلا ؟ ما البحار ؟
إن دأب الوليد حبُّ الجديد

لـى جـــدود وليس لـى أبـوان　　ولئـن شـــئت آن فـــيكم أوانـى
وتملَّيت قسمتى فى الوجود

* * *

ولـدى ! إننـى أبـوك الرحـــيـم　　أنـا بـالعـــيـش يابـنـى عـليـم
لا تصدق مقالةً من بعيد

مـا حـيـاةٌ تشـقى وتسـعـد فـيـهـا　　تتـــعـنَّى لكـن بما يعنيـــهـــا
فى عظيم تُبلى به أو زهيد

(١) يمنى : أى يبتلى .

يحسب الحى جهده لهواه ... جهل الحىّ جهدهُ لسواه
إنما المرء آلة للجدود(1)

إنّ غُنم الحياة من لم يجده ... لم يُمتّع به ، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود

شرها يا بنىّ شرٌ ثقيل ... خيرها يا بنىّ خيرٌ قليل
أهلها يا بنىّ أهل حقود

زعموها إلى الخلود تؤدى ... ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مُوْدٍ على تجاليد مُودى

قف بباب الحياة لا تدخلنها ... واعتصم يا بنىّ ما اسطعتَ منها
سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعرى الوليدا ... فتنحى عن الحياة بعيدا
والتفى الشيخ وابنه فى اللحود

* * *

بين الشاعر(*) وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالى ... وكذّبت أحلامى ، وأشمتّ عذالى
إذا ما وعدت أخلفت فى غد ... وهيهات لا تبقين يوما على حال
يظل غريرا من أعارك سمعه ... وإن عاش أجيالا عفتْ بعد أجيال

* * *

كفى يا صديق العهد هيجتَ بلبالى ... وما أنت بالسالى هواى ولا القالى
ملامك فيه الحق ، أو فيه بعضه ... وما غاب عن ظنى ولا بان عن بالى
إذا قلتُ زورا فهو من صدق شيمتى ... ومن يصف الدنيا يصف خيمَ(2) ختّال
إذا هزلت أمى الحياة فهل ترى ... من الصدق ألا يطرق الهزَل أقوالى ؟
بحسبك من عذرى إذا ما عذلتنى ... أمانة تمثيل ، وروعة تمثال !

---
(1) للجدود : الحظوط . والمعنى أن الإنسان مسخر فى الحياة وهو يحسب أنه خلق لنفسه وأن الحياة نعمة تعنيه هو وما نصيبه منها إلا أقل من نصيب الأقدار التى تسخره لغاياتها .
(*) بين الشاعر وعروس شعره : وحى الأربعين .
(2) الخيم : الطبع والعادة .

حانوت القيود(*)

(الحياة كالمرأة إذا أحبت امرءاً قيدنه بأحابيلها وعلّقته بهواها ، فمن كان حى النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائز والأهواء ، ولا تضعف هذه الغزائز والأهوواء فى الإنسان حتى يكون منبوذًا من الحياة كأنه عاشق لها مملول لا تبالى هى أن تطلق له القيد وترسله حرا متى شاء ، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود . ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها ، لأن قيودها تلك هى الأزمة التى تقودنا بها إلى حيث تريد) .

جزى اللّه حانوت القيود فإنه ... مناط الأمانى من بعيد ومُكثِب[1]
تزوّد منه الناس فى كل حقبة ... وحجوا إليه موكبًا بعد موكب
يصيحون فيه بالقيون[2] كأنهم ... سراحين[3] فى واد من الأرض مجدب
فمن قائل عجل بقيدى فأننى ... طليق ، ومن عان كثير التقلب
إذا أخطأ الأغلالَ قطّب وجهه ... كئيبًا ، وإن أُثقلته لم يقطب
يطوفون بالمغلول طوفة عاطل ... فقير بموشِىّ الطيالس معجَب
فهذا إلى قيد من العقل ناظر ... وما العقل إلّا من عقال مؤرّب(٤)
يخفّض من أهوائه كل ناهض ... ويغلب من آماله كل أغلب
يمشى بأغلال التجارب معجبًا ... على غبطة منه لمن لم يجرب
وهذا إلى قيد من الحب شاخص ... وفى الحب قيد الجامح المتوثب ففى
ينادى : أنلنى القيد يا من تصوغه ... القيد من سجن الطلاقة مهربى
أدره على قلبى وعقلى ومهجتى ... وطوّق به كفى وجيدى ومنكبى
ورصّعه بالحسن المسوَّم وأجلُه ... بكل سعيد فى المناظر طيّب

(*) حانوت القيود : جزء ثالث . ٢٠٤ (٥ فقرة ١٤٤) .
(١) المكثب : القريب .
(٢) بالقيون : جمع قين وهو الحداد .
(٣) سراحين : ذئاب .
(٤) مؤرب معقد .

عـــزيز علينـا اليش حــرا وحــولنا		أسـارى الهـوى من فـائز ومـخـيّب
ورب رخـىّ البــــال تمت حظوظه		يقــيــد دنيــاه بعنقـــاء مــغـــرب
أمـــانىّ يقـــفــوها فـــتـــربط خطوَه		رباطَ الـدياجـى خطوة المتــــشكب
وآخــــــر أضنتــــــه الملالة باسط		يديه إلى الأعـمـال فى غـيـر مـأرب
إذا مــا رأى المكدود يمقت عـيـشـه		تمنى على الأيام شــقــوة مــتــعـب
وكم طامع فى الجاه والجاه عـصـمـة		ولكنه كـــالمعــــقل المتـــأشب
يصــــد العـــدى عن ربه ويصــــده		عن الناس صــد المحــجم المتــرقِّب
ورب عــقــيم حطم العــقم قــيــده		يحن إلى القـيـد الثقـيل على الأب
إذا منّت الدنيــا عليـه أجــابهــا		بلعنة مـــوتور وعـــولة مـــتــــرب(١)
يرى أن حــال المفــتــدى من إســاره		لديهـا كـحـال المجـتـوَى المتـجنِّب
ومن لم تعلّقـه الحــيــاة بقــيــدها		فـيا سـوء مـا اختـارت له من تقرّب

* * *

بنى آدم لا تـنـكـروها فـــإنهـــا		مـــيـــاسم من أرواحكم لم تُغـيّـب
فـمـــا تكرهون القـيــد إلا لأنكم		تتــوءون منه بالثــقــيل المشــعَّب
أعـــزكم من لا مـــزيد لوقـــره		ولا فـضل(٢) فى أغــلاله لمعــقّب
وقــد زعــمــوا أن القـيــاد قـيــادة		لمن كـان يمشى فى مـجاهل غـيـهب

* * *

(١) مترب : فقير .
(٢) فضل : بقية .

أكاروس(*)

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة فى الأساطير اليونانية القديمة . وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية ، وهذه هى خلاصتها : ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة فى الصناعة وحسن الحيلة فى تذليل المصاعب والخروج من المآزق ، وزعموا أنه غار من ابنه أخته الذى كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته ، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب فى البلاد برا وبحرًا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة . وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته فى تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام .

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورًا فى الأساطير «منوطور» . فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان ، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه فى غفلة من زوجها المخدوع ، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبنى لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة . فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسيسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب ، ولكن الملك علم به فصارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه ، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة ، ونصح الحكيم الصناع ولده ألا يعلو فى السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبللهما الرشاش الكثير . ولكن الولد نسى النصيحة وهو فى نشوة الطيران والوثوب ، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه ، إذ سقط هالكا على صخرة فى البحر يبكيه من حولها بنات الماء ، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح) .

(*) أكاروس : وحى الأربعين .

«أكاروس هذا مسبح الطير فاركب ... وتلك المهاوى من خُضارةَ(1) فاجنب
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه وظن ... ونادى ، فنحّى جنده كلّ مركب ؟
بنا عجزاً ، فيا سوءَ رأيه ! ... متى حيل ما بين السماء وكوكب
أدر مركب الريش الذى ما استقله ... أَنيسٌ ولا جنٌ ولا ذات مخلب
وطر نلتمس عِبْرَ(2) الشمال ونرتحل ... على سنة الطير التى لم تُهذَّب
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها ... على أهبةٍ فى جوها المتقلب»

«ألا وادّخر عزمًا يقودك شرخه ... إلى الأوج ، فاحفظه لشوط مغيّب
وسر قدُمًا . إن المطار لواحدٌ ... ولكنْ سبيل الأوج ليس بمقرب(3)
أكاروس ! إنا هاربان من الردى ... فلا تجعل العقبى إلى شر مهرب
توسّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدا ... ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلب
فإنك أن تغترّ بالشمس ينخذلْ ... جناحاك ، أو تبتلّ بالماء ترسب
هنا لافح يوْهى اللحام ، وها هنا ... لريشك وهيٌ من رشاش مرطِّب
أكاروس ، إنى باذل لك من يدى ... ومن خبرتى ذخرَ الصنّاعِ المجرب
تذكر عظاتى واعلم اليوم أنه ... صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبى
ولا تتخذ ريشى وتنس نصيحتى ... يخنْك جناحُ الرأى يوما فتعطب
جناحك من ريش إذا لم يُعنهما ... عديلان من رأى ، كأغلال مُتعَب
أقلّ من الصخر امرؤٌ ضم جسمهُ ... أمانة روح لم يصنها لمأرب
ولى فيك أعمارٌ طوال واللذْنى ... فأسند إلى عزّم الصبا حزم أشيب
حياتك من بعدى معادى ، ولن ترى ... فتى صالحا يجنى الفناء على أب
وللأمس شوقٌ أَنْ يرى الغد طالعا ... فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب(4)
بُنَىّ استمع قولى فما بعد نَسْيه ... سبيلٌ إلى تكراره لمعقب
إلى الجو ! هذا يا بنى وداعنا ... وللأرض منا لهفة المتغرّب
فإما لقاءٌ بعد فوق صعيدها ... وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب

(1) خضارة : اسم معرفة للبحر . (2) العبر : الشاطئ .
(3) بمقرب : أى إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام .
(4) لا يحب الأب أن يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذى غرب قبل أمسه .

وصــــاةٌ لـديدالوس وصَّى بهــــا ابنه … ونعم الموصّى من حكيم مــــدرَّبٌ
صنـاعٌ لـه كف كــــأنّ أكـــــفّنا … من العجز - إن قيست بها - لم تُركّب
علـيمٌ بأســــرار الـفنون ، وإنهــــا … لتـقـبس من ســر الحـيــاة المحجَّب
ومن يُؤتَ تصـريف الجـماد يُضب به … أكــفًــا وأعــضـــادًا إلى كلٍّ منكب
وناهيك ديدالوس من ذى حـصـافـة … قدير على فعل الأعاجيب معجب
يعـيـرك من يمناه صـولة قـشـعم[1] … وخلســـة ثعـبــــان وحـيلة ثعلب
ويبنى فـــمــبناه عــمـــادٌ لأمــة … وبيتٌ لأجــيـــال وزينٌ لمنصب
ولكنه بئس الغـيــور على اسـمــه … وقـد يحـمـل الغـيــرانُ أوزار مـذنب
تغـــيَّظ لما بزه فــــرع صنوه … ولم يرع حق الأخت فى ابن محبَّب
فأصماه ، لم يشفق عليه من الردى … وواراه ، لم يندم ولم يتــحــوَّب[2]
ومــا كــان إلا أن نبــا بكليـهـمـا … فـضـاء أثينا من مـقـيم ومُـعـزب
فـهـذا مـسـجًّى فى ثراها مـتـرِّبٌ … وهذا مُــزجى دونهـا كـالمتــرب
تشـرّد واسـتـعـدى لإخـفـاء أمـره … ذكـاءً يريك النجم فى جنح غيـهب
ووارتـه من عين الـغـــريم فنونهُ … وكــانت منارًا بين شــرق ومـغـرب
ومـا زال يَعْـرَورى البـلاد ويتـقى … تصـعُّـدَ أثناء الذرى بالتـصـوُّب
إلى أن تلقَّـتـه «كــريت» وربهـا … على خيـر أهل فى حـمـاها ومرحب
وأمَّل «مــينو» منه حـصـنًا لملكه … فـحـصنه «مـينو» بملك مـؤشّب[3]
ومــا مَلِكٌ إلا لـه من صنـاعــةٍ … مـعـاقلُ يبنيـهـا ليـوم عَـصَبْـصَبِ

* * *

هنالك كــان الأمن لو يأمن امـــرؤٌ … يُخــاف ويرجى للمـخُـوف المؤرَّب
تحــيَّـــر ديدالوس مـا بين مُنكر … وشكر ، وغبٌّ اثنيـهـمـا غيـر طيِّب
أيحمـل شكر الملك أم كيـد عـرسـه … وأنجـاهـمـا فى طيّـه سمُّ عـقـرب
غوتْ عرس مينو واشتهت ، ساء ما اشتهت … من الناس ، لا بل من بهـيم مـذنَّب
تحنُّ إلى ثور وتهـوى اقـتـرابه … وليس ولىّ العـهـد منه بمعـجب !
فـأولدها طفـلا له مـثـل ظلفـه … إلى شـــر وجـــه آدمىّ ومنكب
ويا رُبَّ أنثى تعـشق الثـور كلمـا … سباها فتى بالجسم لا الروح يستبى

---

(١) القشعم : المسن من النسور ومن كل شىء . (٢) تحوب : أى تجنب الحوب وهو الذنب .
(١) مؤشب : متشابك ملتف .

فَـمَنْ غـيـر ديدالوس يخـفى شنارها ... ويرعى مـهـاد الطفل رعىَ المؤدِّب ؟!
أهابت به أمـا وأنثى حـريصـةً ... ومـالكة حـيـرى ، فلم يتـهـيب
بنى لسليل الثـور حـرزا ، وليـتـه ... تلمّس حـرزًا من غـوائل مُـغـضَب
غـوائل «مـينو» حين ثارت ظنونه ... وضـاجع أشـجـانَ المعنَّى المعـذَّب
وأقـسـم لا واقٍ من الموت عـنده ... ولا وائلٌ من سـخطه المتلهِّب
وأهولُ من هول الخـضـارم فى الدُّجى ... ضـراوة مـهـتـوك وغـيظ مـخـيَّب

* * *

فلمَّـا تنادى الجند وارتجَّت القـرى ... وخـيف الأذى من حـاضرين وغُـيَّب
وقـالوا : أمَنْ ربُّ الجـزيرة حـربه ... يوقيـه عرض البـحر أو طول سـبسب
أهاب الصَّناع العـبـقـرى بفنه ... فلباه ، فـاسـتعلى به متن أشـهب[1]
تسـربل من ريش وسـربل نجله ... خـوافق لوِّى بينهـا ألف لـولب
فـحلّق مـزهوا وفـرّ مظفّـرا ... وأغـرى لسـان السـخـر بالمتـعـقِّب

* * *

مضى ناجيًا من بأس «مينو» فهل نجا ... فـتـاه من البأس الذى فـيه يختـبئ ؟
بلى ! قـد نجا لولا طمـاحٌ سـمـا به ... إلى الشمس فى ثوب من النار مُذهَب
تعـشّـقـهـا مـفـتـونةً فـتـقلبتْ ... هواه بوجـه صـادق النور خلَّب
وأسكره الشـوق الجـديد فـمـا ارعوى ... لنصح نصـيـحٍ أو لزجـر مـؤنّب
ومـا هى إلا وثبـة بعـد وثبـة ... إلى الشـمـس حـتى عـزّه كل مـوثب
تعـشّـقـهـا نارًا ، فـإن جـاءه الأذى ... من النار ، فليعتب . فلا حين معتب

* * *

عـلا بدم حىّ وخـرّ مـضـخـمًـا ... به فى جناحى أرجـوان مـخـضَّب
طريحًـا علَى صـخـر تُغـشّـيـه رغـوةٌ ... من العيلم[2] الغضبان فىٍ غير مَغْضب
وراحـت بنات الماء يندبن حـوله ، ... ومن يرَ أنقـاض الصـبـا الغض يندب
ومـا من عـزاءٍ للشـبـاب علمـتُـه ... سوى مـدمع من أعين الحسن صيِّب
إذا جـال فى حـسـبـانه هان عنده ... دموع ذراها[3] الحزن من طرف أشيب

* * *

(١) الأشهب : الأمر الصعب وقد يطلق على الطير الجارح الأشهب .
(٢) العليم : البحر .   (٣) ذرا : الشيء فرقه وبعثره .

كعبة الأصنام(*)

بعد الزلزال

كـانت الكعـبـة والأصنام فـيـهـا ... زينةً تأخـذ قلب الصبّ تيـهـا
حـلـفـتْ فـى كـل ركـن بـالـدُّمـى ... والدمى مـسـتـعـبـداتٌ صـائغيـهـا
ّهى أصنامٌ لمن يعـبـدها ... أو تماثيلُ تناجى عـاشـقـيـهـا
عظـمتْ حـيـنا فلمـا زُلْزلت ... كـاد من صلى إليـهـا يزدريهـا
كـان فـيـهـا صنم الحق نبـيـ ... ـها[1] تداعى ، فبدا مِسْخا كـريها
نزع الـزلـزال عـيـنى رأسـه ... فـاحـتـوته ظلمـاتٌ غـاب فـيـهـا
وارتمت سـاقـاه فى جـانبـه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهًـا ؟!

* * *

كـانت النخـوة فـيـهـا صنمـا ... صاغىَ السمع ، كـمـا شئت نزيها
يخلب الـطَّرف بحـسن واضح ... وسـمـاتٍ تزدهى من يجـتليـهـا
فـارتمت أذناه فى الأرض لَقىً ... ومـضت كَفٌّ بال كف تليـهـا
يطلب الغـوث ولا غـوث له ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟!

* * *

والإخـاء المحض كم أبصـرته ... حـيث لم أبصـر له قط شـبـيـهـا
قـائمًـا يفـتـرُّ عن مـبـسـمـه ... واسع الصـدر ، يحـيـيك وجـيـهـا
شـقـه الزلـزال فـانجـاب لنا ... عن حنايا صـدره لا قلب فـيـهـا
خـيـر مـا فى وجـهـه ظاهرُه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟
وتراءى الحب فـيـهـا فـتـنةً ... مـا اجـتـواها زائرٌ من زائريهـا
ضـرب الزلـزال فى أصنامـه ... فـهـوت أشـلاؤها تنعى زويهـا
مـا الذى أبقـاه من أشـلائهـا ؟ ... سـوأة يعـرض عنهـا مشـتـهـيـهـا

* * *

(*) كعبة الأصنام بعد الزلزال : وحى الأربعين .

(١) النبيه من النباهة وهى الظهور والشهرة .

وهوى تمثـــال مــــجـــــد لامع يخطف العين بنور يعـــتليـــهـــا
مــــلأ الدار علينا جـــوهرًا زائفًـــا ينطق بالزيف بديهـــا
وقـــشـــورًا لا تســـاوى وزنهـــا من تراب ، لن ترى من يشـتـريها
هى إن قـــامت جــمـــالٌ فـــإذا سـقطتْ ، لم تكد العين تعـيـهـا

* * *

هكذا أقـــوت زوايا كـــعـــبـــتى وثوت خـــاويةً من ســاكنيـــهـــا
غـــيـــر أنى طائفٌ من حـــولهـــا لم أشـــأ أهجـــرها أو أبتنيـــهـــا
لا طوف المتـــملِّى[1] حــسنهـــا أو طواف المهـــتـــدى من عـــابديها
بل كـــمن نقب فى جـــوف الثـــرى يجـــمع الآثار فى شـــتّى سنيـــهـــا
من فـــراغ لا من الرغـــبـــة فى تلكم الآثار ، أمـــسى يقـــتنيـــهـــا
أو هى العـــادة كـــالطيف إذا هام بالأجـــداث يبكى نازليـــهـــا

* * *

(١) تملى الحسن : نظر فيه واستمتع برؤيته .

إبليس ينتحر (*)

(الاستعباد هو الجو الذى تعيش فيه الشياطين لأنه و الخوف والإغراء ، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء) .

هاتو لى الخير والهدى جُرَعا ... أبخع نفسى حزنا كمن بخعا
حريةُ القوم أفسدت خُدَعى ! ... لم تبقِ لى فى الأنيس منخدعا
إن مُنعتْ لذةٌ حفزتُ لها ... فكيف حفزى من لم يكن مُنِعا ؟
لو حُجبتْ شهوة أُزيّنُها ... فكيف تزيين ظاهرٍ سطعًا ؟
وإن طغى ظالم له خنعوا ... فكيف يطغى إن عَزّ من خنعا
لو دام هذا البلاءُ واتسعتْ ... حريةُ القوم ضاق ما اتسعا
واستغنتْ الأرض والسماء معًا ... عن الشياطين فانطووا جزعا
ما حاجة الأرض للأبالس فى ... عهد نضا الخوف عنه والجشعا ؟
وكيف تغذوهُم بلا عمل ... وهى على السعى شأنها اجتمعا ؟
وأين يأوونها إذا قشعتْ ... عنها ظلام الدهور فانقشعا
أتى زمانٌ أموت فيه أنا ... إبليس يأسًا ، وفى يدى صُنعا
ودعتُ ملكَ الدنيا وودعنى ... ملكٌ إذا همّ قلما رجعا
هاتوا لى الخير جرعة فإذا ... ضعفتُ عنه شربته جُرَعا
سأسبق الموت حين يتبعنى ... فإنه لاحقٌ إذا تبعا

* * *

(*) إبليس ينتحر : وحى الأربعين .

بيت يتكلم(*)

(كل بيت من البيوت التى تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان ، ولسمعت عجبا لا تسمع الآذان أعجب منه ، وليس الذى يتحدث به «البيت» فى القصيدة التالية إلا قليلا من كثيره) .

جـــمـــيـع الناس سكانى فـــهـل تدرون عـنـوانى ؟
ومـــا للناس من ســـر عـــدا آذان حـــيطانى
حـــديثى عـــجب فـــيـــه خـــفـــايا الإنس والجـــان
فكم قـــضـــيت أيامى بأفـــــراح وأحـــــزان !
وكـــم آويـــت مـــن بـــر وكم آويت مـن جـــان !
فـــإن أرضـــاكم ســـرى فـــهـــا كم بعض إعـــلانى

* * *

بنى الإنســـان لن أحـــفـــل فى دهرى بإنســـــان
ألـم أعـــــرفكم طـرا فلم أســـعـــد بعـــرفـــانى
أتـــانـــى أول الـــسـكْـن(1) ومـــا اســـتـوفـيت بنيـانى
ومـــــــا أرهـفـت آذانـا ولـــم آنـــس بـــقـــطـــان
وأصـــغـــيت على مـــهـل فـــطـــاشـــت كـــل آذانـــى
همـــا زوجـــان ، أو شـــيطا نـة لاذت بشـــــيطـان
وقـــد عـــاشـــا وفـــيين بتـــقـــدير وحـــســـبـــان
وراحـــــا - هـكذا يحـكو ن - فـى روح وريحـــــان
ومـــا أبصـــرت من هذا ولا مـــن تـــلـــك فـــى آن

(*) بيت يتكلم : عابر سبيل .
(1) السكان .

سـوى خـوانة خـر قـاء تفـرى عـرض خـوان
إذا مـا ضـحكا يومـا على غش وبهـتـان
حـسـدت البـيـد والأطلا ل فى غـيظى وكـتـمـانى
وأشـفـقـت من النقـ ـمـة أن تهـتـز أركـانى

* * *

وجـاء السـاكن الثـانى وبئس السـاكن الثـانى
يـراه الـناس ذا مـال وأفـراس وغـيطان
وقـد شـوهنى بخـلا وأعـرانى وأعـيانى
وقـد صـيرنى سـجنا ومنه كـان سـجانى
فلمـا طال بى عـهـدا ولم أسـعـد بهـجـران
وددت لـو أن لـى فـى كل جـحـر ألف ثعـبان
بـديلا مـنـه أرضـاه وأحـبـوه بغـفـرانى
وأنفث سـمـهـا أو يتـ ـقى شـرى ويخـشـانى
إلـى أن آده[1] أجـرى ولم يظفـر بنقـصـان
فـأخـلانى ولن أنسـ ـى سـرورى يوم أخـلانى

* * *

وكـان السـاكن الثـا لـث ذا عـز وسلـطـان
فـمـا ارتبت بأن العـ ـز والذلة سـيـان
ومـا ألفـيـتـه إلا لئـيـمـا جـد غـفـلان
ضـعـيـفًـا يسـتر الضعـ ـف بطغـيـان وعـدوان
وكـم أذعـن لـلـطـاغـى عليـه شـر إذعـان
إذا مـا لـقى الـنـا س بـكـبـر مـنـه طنان
فـمـا أصـغـر مـا ألقـ ـاه منه بين جـدرانى

* * *

وأمـا رابع الـقـوم فـذو علم وتبـيـان
حـشـا بالورق اليـا بس والأخـضـر حـيشـانى

(١) آده : أثقله .

فـمـا لى مـوضـع فى الأرض … رض أو من فـوق عـمـدان
ومـالى مطبخ أو مـخـد … ع أو بهـو ضـيـفـان
ولا زاويـة إلا … وفـيـهـا الكتب تلقـانى
أبـى للـنـفـس دعـواهـا … لـم يـسـمـع لجـثـمـان
فـلا سـهـرة أحـبـاب … ولا جلسـة نـدمـان
فـمـا أجـهـلـه بالحق … ذاك الـعـالـم الـعـانى !
أبين الـنـاس يـحـتـا … ج إلـى عـلـم وبـرهـان ؟
وهم عـمـيـان ظلمـاء … سـروا فى أثر عـمـيـان ؟
كـثـيـرٌ لك يا إنسـا … ن فى دنيـاك عـينان !!

* * *

وأمـا الخـامس الجـانى … فناهيك بشـهـوان
فـمـا زودنى إلا … بـإثـداء وأعـكـان
وهُتّـاف بـألحـان … وسُـمـار على ألحـان
إذا أمـسـيت مـسـانى … بـأشـكـال وألـوان
على الأبواب مـا يرضـ … ـيك من حـسـن وإحـسـان
ومن صـون لأسـمـاع … ومن غـض لأجـفـان
فـلا تـنظـرهـم ثـمـة … وانظر بين أحـضـانى
فـيـا للّه كم فى الأ … رض من غى وغـيـان
وكم فى الـقـوم من مـخـد … وع آبـاء وإخـوان
وأزواج وأصـهـار … وخـلان وأخـدان
لـو أنى قـلـت مـا أدرى … لـهـدوا كـل أركـانى
فنعم الـصـمـت والحكمـ … ـة يا صـخـرى وصـوانى !

* * *

وكم صـاحـبـت من أصـ … ـحـاب آداب وأديـان
تجـافـوا وصـمـة الـعـاصى … وعـافـوا شـهـوة الزانى
وبـاتـو بـين قـربـان … وتـرتـيـل لـقـرآن
ولـم يـأسـوا من الـد … نيـا على غبن وحـرمـان
إذا مـا شـرفـتنى زمـر … ة منهم بصـحـبـان

حـسـبت الأرض تجـفـونى		فـــأنـســـاها وتنســـانى
وقـــالـوا الجـــان لا تـقــر		ب من مـــجلس فـــرقـــان
فـقـــد ألـفــيت بعض الأنــ		ـس فى العنصـــر كـــالجـــان

* * *

ولـكـن شــــــر مــــــا آو		يت فى لؤم وعـــصـــيـــان
رياء الخـــائن الـعــــادى		عـــلـــى أهــل وأوطـــان
تـلـقّـــاهـم بتــــمــــويـه		ولا قـــــــــوه بـإيمـــان
وفى حــــجــرة أســـرارى		وفى ظـلـمـــــة أوكـــانى
يبـــيع الحـــوزة الـكـبـــرى		بربع أو ببــــســـتـــان
ويـعــطـى الحق والـذمـــ		ـة والفـــتـــيـــا بأثمـــان
ويُـفـنـى أمــــة تحـــيـــ		ـيـــه وهو الزائل الـفـــانى
ويمشى بين قـــتـــــلاه		رفـــيع الـذكـــر والشـــأن

* * *

ولـم أحـــمــد من الضـيـــ		ـفـان ضـيـفـا مـثل فنان
تـــولانــى بــإبــداع		مــن الـفــن وإتـقـــــان
وغـطـى كـل جـــدرانى		بمـنـضـــور ومـــزدان
وأوحى الحـسـن واسـتـــو		حـــاه من جنات رضـــوان
فـــحـــينـا حــسـن مكسـوٌّ		وحـــينا حــسـن عـــريان
بريئـــا فـى ســــمـــاء الفـ		ـن مــن عــــبـــث وأدران
وفــــتـــانا على الحـــا		لـين لـكـن أى فــتـــان
كـــمــــا تفــتـنك الزهــ		رة فى أعطاف أغـــصـــان

* * *

جــمــوع لست أحـصـيـهــا		لـــو دونـــت ديـــوانـــى
ومــــثـل كـل جـــاراتـى		ومـــثلى كل جـــيـــرانى
عـــرفت الناس أشـــتـــاتا		بلا عـــد وحـــســـبـــان
فلم أعـــــرف أأعــــداء		هـم أم جـــمـع أقـــران ؟
إذا مــــا اخـــتـلـفــوا فى		سـيـمــة تبـدو وشـغــلان
فـــهم فى الموت أشـــبــاه		وفى ســـقـم وأشـــجـــان
ومـــا منهم فـــتى إلا		بكـى حـــينا وأبكـانى

مســـــاكين فــلا تحـــفل 	من الـنـاس بإنـســــــــان
ولا تحـســــــد فــتى منهم 	عــلـى بـأس وإمــكـــان
فــأعــــــلاهـم وأدناهـم 	أمـــــام الـغــــيـب صنوان

* * *

نـزيـل المـنـزل الخـــــــالى 	ألا تـعـــــــرف عـنـوانى ؟
إذا مـــا طفت حــولـيــــه 	فـــشق أنك تـلـقـــــانى
فــــمـــــا من منزل إلا 	وفــــيـــــه بعض ألوانى
تـأمـل فى نـواحــــيـــــــه 	وراقــــبـــه بإمـــــعـــان
ولا يخــدعك صـمت فـيـ 	ـه أو تفـــتـــيح بيـــبــان
ولا تحــســـبـــه خلوا من 	مـــغــــــاليق وأكـنان
إذا مــا كنت مـسـتـحـضـر 	أرواح وحـــــــــــدثـــان
فـــقف فى المنزل الخـــالى 	وأرهـف ســـــمع يقـظـان
وأغـــمـض فــيـه أجـفـــا 	نك وانظر غـــيـــر وسـنـان
تر الأطـيـــاف أفـــواجـــا 	وتســـمع مـــوج طوفـــان
وتجـــمع كل مـــا يُجـــمع 	من ربـح وخــــســـــــرن
ولا يـخـــطـئـك تـاريـخ 	ولا دارس أزمـــــــــــان

* * *

بعد صلاة الجمعة(*)

على الوجـــوه ســيـــمـــة القلوب 	فـــانظر إلى المســـجــد من قـــرب
وقف لـديه وقـــفـــة اللـبـــيـب 	فى ظهـــر يوم الجـــمـــعـــة المحـــبـوب

إنك فى حـــشـــد هنا عـــجـــيـب

* * *

(*) بعد صلاة الجمعة : عابر سبيل .

هـــذا الـــذى يمـــشـــى ألا تـــراه   كـــأنما قـــد حـــملت يداه
ســـفـتـجـةً[1] صـاحـبـهـا الإله   ذاك هو الدّين ، وقـــد وفـــاه

فـلـيس لـلـدائـن بـالمـطـلـوب

* * *

وذلك المبـــتـــســم الرصين   كـــأنه بـــســره ضـنـين
أصـــغى إلـيـــه ســـامع أمين   فـــهـــو إذا صلى كـمن يكون

فى خلوة النجـوى مع الحـبـيب

* * *

وانظر إلى صـــاحـبنا المختـــال   فى حلة ضـــافـــيـــة الأذيال
أكـــان فى حـــضـــرة ذى الجـــلال   أم كـان فى عـرض أو احـتـفـال

يُزهى على المحـــروم والمسلوب

* * *

وكم مـــصلّ خـــافت الدعـــاء   كـــأنما نصٌّ إلى الســـمـــاء
رســـالة فى عـــالم الخـــفـــاء   فـــلا ينى يبـــدو لعين الرائى

كـــالمتـــرجّى أوبة المكتـــوب

* * *

ورب شـــيخ من ذوى الخـــلاّق[2]   فـــرحـــان بالجـــمع وبالتـــلاقى
كـــأنه التلمـــيـــذ فى انطلاق   بين تلامـــيـــذ له رفـــاق

عـــادوا إلـيـــه عـــودة الغـــريب

* * *

تجـــمـــعـــوا فى بيـــتـــه تعـــالى   وافـتـرقـوا فى جـمـعـهـم أحـوالا
وهل نســـوا فى أرضـــه النضـــالا   فـــيـحـتـويهم بيـتـه أمـثـالا

على اختـلاف السَّمت والنصيب ؟

* * *

(١) السفتجة : هى ورقة التحويل المالى .   (٢) الخلاق : الخير الوافر .

لعلهم صلوا له ارتجالا — فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا — صب على رءوسهم وبالا

وألحق المخطئ بالمصيب

* * *

الدينار (*)
فى طريقه المرسوم

لما بدا الدينار من — باب الخزانة فى السماء
نادى الموكّل ثم بالأ — رزاق : أين ترى الثواء ؟
قال انطلق فى الخافقـ — ـين إلى فتى جم الشقاء
قد بات ممنوع الغذا — ء وراح مقطوع الكساء
فاذهب إليه ومنّه — بعض السعادة والرجاء

* * *

فأجابه الدينار وهـ — ـو يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدعـ — ـنى استطيب هنا البقاء
سيطول بحثى عنه فى — وادى الخمول ، ولا لقاء

* * *

قال الموكّل ثم بالأر — زاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقـ — ـيرَ ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ — ـض كما تشاء لمن تشاء

* * *

فاستقبل الدينارُ وجهـ — ـته وهمّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعا — لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا — بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحا — م كالطريق على اهتداء

(*) الدينار فى طريقه المرسوم : عابر سبيل .

نداء طفل(*)

أرسلت إلى عروسين :

سـرى إلى الآذان — فى غفـوة الوسنان
نـداء طفـل جـرىء — مستعجل لهفان
عجبت منه صغيرا — يقول طلق اللسان :
«أبـى كـريم وأمـى — كـريمة فى الحسان
كـلاهمـا فى رواء — من الصبا وازديان
كـلاهمـا ذو فـؤاد — مجمّل بالحنان
كـلاهمـا يتمنى — بين الصغار مكانى
فـلى أحق رجاء — فى عالم الإنسان
وفـى ولادة يمن — تزف بالمهرجان
وفى احتفال ختان — وفى احتفال قران
وفى احتفال نجاح — ويجوز كل امتحان
هيـا ادعوانى سريعا — إليكما واهديانى
وقـربا لى ضياء الشمو — س والأكوان

* * *

قالوا : انتظر ! قال لا لا — هيهات لست بوان
قالوا تعقل قليلا — يا أعقل الفتيان
فكل شىء لدينا — موكلٌ بأوان
أتحسب العيش رهنا — بما قضى الأبوان
فصاح صيحة سخط — وقال فى عنفوان
مالى أنا ؟ أنا مالى ؟ — هيا ادعوانى ادعوانى
أتأبيان لقائى — ما أنتما منصفان

* * *

(*) نداء طفل : عابر سبيل .

لا تعـــــذلوه إذا مـــــا أطال فى الهــــــذيان
فــالطفل غـيــر صـبــور على الحــجى والبـيـــان
والطفل هيــــهـــات يدرى يومــــا بحكم الزمـــان
فــاســتــمــهـــلاه برفق وحــــيـلة وافـــــتنان
ولا تطيـــــلا عليـــــه فى الغـيب عـد الثـوانى
فـكـلـنـا نـتــــرجـى قـــــدومــــه فى أمــــان

* * *

جواب جميل(*)

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهـــا النـوام ويحكم هبـــو أســائلكم هل يقـتل الرجل الحب

وأجيبَ بلسان أحد النوام :

بـربك دعـنـا راقـــــدين فلـو درى بنـا الحب لم يرقـــد لـنا أبدًا جـنب
وسل راقـدى الأجـداث عنهم فـإنهم مـجـيـبـوك عن علم بمن قـتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهـــا الأمـــوات ويحكم هبــوا أســائلكم هل يقـتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مــزعجَ الموتى فلو كنت قـــادرًا على أن تهب اليـوم من صـرعـة هبـوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصور سـامـعًا هنا سـر مـقــتـول يبـوح به صب !

(*) جواب جميل : أعاصير مغرب .

جنة الخيام(*)

رغــــيف خـــبــــز ووجــــهٌ حلو ، وكــــأس مــــدام
وتــلــك جنــة عــــــدن فى مــــذاهب الخـــيّـــام(1)

* * *

قــــالوا : ونُودىَ يومــــا : مــــا تشــتــهى فى يديكا
دع مطلبـًــــا منه فـــردا والبــــاقـــيـــان لديكا

* * *

فـــحــــار بين رغـــيفٍ إنْ فــاته مــات جــوعــا
وبين وجــــــهٍ منيـــــر إن غــاب غـابت جــمــيـعًـا

* * *

وبين كـــــأس مـــــدام على الشـــــقــــاء تعين
لولا خــــــداعُ مناهـاً أفــــــاق وهو غــــــبين

* * *

طال التــــردّد فـــيــــهـــا فـــمـــا ل عنهـــا كظيـــمـــا :
ســــــألت جنــةَ خــلــد ومـــا ســألت جــحــيــمـــا

* * *

قــــالوا : فناداه صـــوتٌ يقـــول فى غـــيـــر رفق
كـــصــــوت إبليس لولا مـــا فـــيـــه من فَـــرط صــدق

* * *

«أتــلــك جــنــة خــلــد تهـــذى بهـــا يا حكيم
يـطلبٍ إن عـــــــداهـاً ترتدّ وهى جـــحـــيم ؟»

* * *

(*) جنة الخيام : أعاصير مغرب .

(1) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسى وله رباعية بهذا المعنى .

مادى يعلل الربيع (*)

رفيق أول : إن الربيـــع جـــميـل
رفيق ثان : صـــه ! ذاك قولٌ دخـــيلُ

ألــســت تـعـلـم أن الـر — بيع شــيىء ثقـــيل
وأنـــه مـــن صـــنـيـعٍ — للغش فـــيـــه أصـــولُ

رفيق أول : مـن غـشه يا صـــديقى ؟
رفيق ثان : حـــقا لأنـت جـــهـول

قـــد غـشـــه الأغنيـاء المـ — ـســتــأثرون الـقـليـل
أليس فـــيـــه مـــتـــاع — لـهـم وظـل ظـلـيـل ؟

رفيق أول : لكنْ بعـــيـــشك قل لى — وذاك منى فـــضـــول
بـأى بـرهانِ صـــدق — وأى شـــــرح يـطـول
قـد أقنعـوا الأرض حـتىً — باتـت إلـيـــهـم تميل ؟

رفيق ثان : حـقـــا لأنت عـجـيبٌ — فـيــمـــا أراك تقـــول !
بـرشـــوة دفنتـــهـــا — فى جـوفـهـا يا زمـيـل
ألا ترى الـتـبـر فـيـهـا — منهـــا إلـيـــهـا يؤول ؟
فـافـهم إذن يا صـديقى — فـــقـــد أتاك الـدليل
وأيـدتـه شـــهـــود — وأكـــدتـه عـــقــــول
الأرض والـشـــمـس والـنـا — س والـدعـــاة الـعـــدول
لـهـم ضـــمـــائر ســـوء — مـــرضـى ، وطبع وبيل
بذاك «مـــاركس» أفـــتى — ونقـضـه مـسـتـحـيـل !

(*) مادى يعلل الربيع : عابر سبيل .

عيد ميلاد فى الجحيم(*)

(دخل شقى الجحيم فحسبوه مولودًا جديدًا فى ذلك العالم القديم . ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده :)

صُـفّـوا الموائد وامـلأوا الأكـوابا ... وادعوا الصحاب ، وبشروا الأحبابا
قـولوا مـضى عـامٌ ليـوم هبـوطه ... هذا الجحيم ، فـقـرّ فيـه وطابا
وبلا المقـامَ فـراح يحـمـد شـرَّ مـا ... فـيـه ، وآدب باسـمـه إِيدابا
هذا الجحـيم أحبُّ لى من عـالم ... مـا كـان لى إلا رجـاءً خـابا
الشر ثمـة كـان شـرا كـاسـمـه ... والخيـر كـان كـمـا علمت سـرابا
يشقى بنوه ليعـمـروه ويجـشـمـوا ... فيـه الشـقـاء ليـرجـعـوه خـرابا
لا يعـرفـون الحق إن سـمـعـوا به ... إلا ليلقـوا فى الحـقـوق عـذابا
أهونْ بصـاب فى الجحيم أذوقـه ... قـد كـان ثمـة كلُّ شىء صـابا
صـابًا إذا ارتوت الشـفـاه شـربتـه ... بالناظرين ، وسـاء ذاك شـرابا
ولربَّ وجـه يومـذاك شـهـدته ... فكأن سـمًّـا فى العـيـون انسـابا
وجـه اللئـيم إذا اسـتـهلْ ومـثله ... وجـه الكريم إذا اضـمـحـل وذابا
ورضى الظلوم وحـيـرة المظلوم فى ... بـلـواه يـطـرق كـل يـوم بـابـا

* * *

يا صحب حيـوا النار فى ويلاتهـا ... واحـثـوا على ذاك التـراب ترابا
مـا كـان فى حُـسن هناك فـجـهـده ... أن يخـدع الأبصـار والألبـابا
أو كـان من فـضل هنًاك فـحـسـبـه ... أن يملأ الدنيـا عليك صـعـابا
ياصـحـب هاتوا من عـلاقـمـهـا لنا ... وادعـوا الأحـبـة واشـربوا الأنخـابا
من عاش عاما فى الجحيم فلا اشتهى ... أبـدًا إلـى ذاك الجـوار مـآبـا

(*) عيد ميلاد فى الجحيم : وحى الأربعين .

ترجمة شيطان

ترجمة شيطان(*)

(نظمت هذه القصيدة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهى تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق . وإن شيطانا يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير . لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى فى هذه التجربة ، ولكن الشيطان الذى يزيف الحق بيديه ، ثم يكفر بالشر يخبط فى حياة ليس لها معنى على الحالين ، ويمضى غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين ، وغير مكترث لهم ولا لنفسه فى هداية ولا ضلالة) .

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم — غسقَ الظلماء فى قاع سقر
ورمى الأرض به رمَى الرجيم — عبرة . فاسمع أعاجيب العبر

* * *

خلقة شاء لها اللّه الكنود — وأبى منها وفاءَ الشاكر
قدرَ السوء لها قبل الوجود — وتعالى من عليم قادر

* * *

قال كونى محنة للأبرياء — فأطاعت ، يا لها من فاجرة !
ولو استطاعت خلافا للقضاء — لاستحقت منه لعن الآخرة

* * *

سُنةٌ للّه فاقفوا إثرها — عصبة السواس وامضوا راشدين
علّم الأقيالَ قدمًا سرها — فأقاموا دينه فى العالمين[1]

* * *

(*) ترجمة شيطان : الجزء الثالث .

(1) إشارة إلى كلف أكثر الملوك ببناء المعابد تعزيزا لقوتهم بقوة العقائد .

سنة اللّه ومـــا أوســـعـــهـــا | رحـــمـــة منه بجـــبـــارى الأمم
ويحـــهـم ! لو لـم يكن أبدعـــهـــا | كـــيف يدرون بأســـرار النقم ؟؟[١]

* * *

فله الحـــمـــد على مـــا فـــقـــهـــوا | من دهاء الملك والكيـــد الحـــذر
فـــإذا رامـــوا نكالا شـــبـــهـــوا | مـن أرادوه بشـــيـطان قـــذر

* * *

قـــال : كـــونى مـــحنة للأبرياء | واخـــســـأى أيتـــهـــا النفس العـــقـــيم
أيهـــا الشـــيطان اضلل من تشـــاء | ســـوف تأويك وتأويه الجـــحـــيم

* * *

فـــهـوى الشـــيطان صـفـــر الراحـــتين | خـــاوىَ الزاد ويا بئس الســـفـــر
أيـن يمضـى ؟ أيـن أفق الأرض أيـن ؟ | فـــرحـــاب الكون مـــلأى بالأكـــر

* * *

بيـــد أن الشـــر مـــا زال أريبـــا | وســـبـــيـل الغى ممـــهـود الجناب
لن تراه حـــيـث تلقـــاه غـــريبـــا | أبـد الـدهر ولا نـزر الصـــحـــاب

* * *

هبط الشـــيطان فى وادى القـــرود | أوْهمُ الزنج كـــمـــا قـــد خُلقـــوا
أمـــة من صنعـــة الخـــلائق ســـود | أخطأوا الصـــبـــغـــة أو قـــد حـرقـــوا

* * *

أرضـــهـم أنجب من أبنـائهـــا | وحـــصـــاد الزرع فـــيـــهـــا دائم
لا ينـام الـظـل فـى أرجـــائهـــا | وهُم ظلٌّ عليـــهـــا قـــائم

* * *

واســـتـــوى بين رباها والحـــوافى | فـــإذا الســـمت بهـــا ســـمت الســـبـــاع
ســـيـد القـوم كـسِـيـد[٢] القـفـر حـاف | وهمـــا بعـــد ســـواء فى المتـــاع

* * *

(١) أى أن الأقيال إذا أرادوا أحد أتباعهم بنقمة أخرجوه حتى يزل أو تمحلوا له العلة ليأخذوه بها .

(٢) السِيد بكسر السين هو الذئب .

وإذا الكعبة فى الأرض الشّرى ... ورسول العلم ضاريها الشروط
بين قنص أو هراش أو كرى ... يذهب التاريخ فيها ويعود[1]

* * *

ولقد همّ وما أعجله ... يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادى الوحش لو أصغى له ... ألكم فى القوم صهر وبنون ؟؟[2]

* * *

سخر الشيطان من قسمته ... ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجس فى محنته : ... «ألهذا تُستذَل الكبرياء ؟»

* * *

أن يكن أغوائىَ الزنج لزاما ... فمن العُجم الضوارى عجبى
ماله يأنف إن يغْوىَ حامًا ... ذلك الغوى ذوات الذنب[3]

* * *

ومشى ينغم فى غير طربْ ... نغم الغبطة باليوم العبوس
نغما يرصد من خلف الحقب ... يومَ تندك على الأرض الشموس

* * *

لا نطيل القول فالخطب يسير ... وحياة الإنس والجن هدرْ
خرج الشيطان فى الأرض يسير ... ومن اللّه إلى اللّه الصدَرْ

* * *

لمحة جازت به مشرقها ... ثم ردته حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها ... فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقامًا رغَدا ... حول بحر الروم أو بحر العجمْ
يتلهّى فى مغانيها سدى ... أو لأمر خفيت فيه الحكمْ

---

(١) الشرى مأسدة أو مسبعة المعنى أن آداب المعيشة والأزياء فى ذلك الوادى الذى نزل به الشيطان من مجاهل إفريقية هى آداب السباع وأزياؤها فأقدس مكان هناك هو أوجرة الوحش ومكامنها وكل ما يعرفه أهلها من العلم هو ما يصدر من شهوات الحيوانات وحركاتها من عفو الطبيعة فكأنما هى القائمة هنالك برسالة العلم وفريضة المعرفة .

(٢) هم الشيطان المتهم أن يسأل الوحش أى قرابة لكم بأهل ذلك الوادى لأنه رآهم جميعا متشابهين .

(٣) يقول الشيطان : إذا كانت الضوارى لا تحتاج إلى من يغويها فما حاجة أبناء حام إلى شيطان لإغوائهم .

ورمى أول فخ فأصابا ودعاه الحق واستلقى فنام
وأناب الحق عنه فاستجابا فإذا الحق لجاج واختصام[1]

* * *

وإذا الحق طلاء الخبثاء ، رسن الواهن ، سيف المعتدى ،
ضلة الجهال ، لغز الحكماء ، ذلة العبد ، غُرام السيد

* * *

وإذا الحق طعام ووكون وإذا الحق بريق الذهبِ
لو يموت الناس أو لو يشبعون ذهب الحق ذهاب السغبِ

* * *

يا لها من لفظة زوّقها آض فرضًا بعدها الفعل الذميم
ويحه ! فى نأمة أطلقها غلب النحسُ ولم يُغن النعيم

* * *

نام لما صنع الحق وأغضى ولو اختار لأغضى أبدا
غير أن الشر لا يألف غمضا ربحت صفقته أو قد فقدا

* * *

فأطارت سنةً فى هدبه بهجة الزرع الذى كان بذر[2]
كان أن يشكر نعمى ربه لو يسيغ الشكر شيطان كفر !

* * *

وتمادى بعدُ فى شرّته كلما أنبت زرعا ينعا
فرأى الشوكة فى دولته وجنى الوفرة مما زرعا

* * *

ألفُ جيل بعد ألف غيرت صاحبَ الأباءَ فيها والبنين
ورأى منها فنونًا ورأت منه فى صحبته أى فنون

* * *

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئا دعاه الحق فكان علة خصامهم وإنقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وأغوائهم بالمنكرات وفى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .
(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المصنوع .

أتلفـــتـــه مـــثلمـــا أتلفـــهـــا عـــجـــبًـــا ! لا بل عـــلام العـــجب ؟
أترى الشـــيطان يدرى ضـــعـــفـــهـــا وهـــو مـــن ذاك بـــرىء أجـــنـــب ؟[١]

* * *

فـــاشـــتـى الخـــمـــر ورنات المثـــانى وأحب الغـــيـــد عـــذرىَّ الهـــوى !
لعـــبًـــا ينـهـل أنّا بعـــد آن نُهَـــلا منهـن ينعـــشـن القـــوى

* * *

لا نطيل القـــول فـــالقـــول هذرْ وحـــيـــاة الإنس والجن هبـــاءْ
إن يدمْ لـلنـاس سلطان القـــدرْ فـعليـهم بل على الكون العـفـاءْ !

* * *

أنف الشـــيْطان من فـــتـنتـــه أيما يأنف من إهلاكـــهـــا
ورأى الفـــاجـــر من زمـــرته كـعـفـيف الذيل من نُســاكـهـا

* * *

مـــا له يفـــســـد خلقًـــا عـــدمـــوا آية الرشـــد ، وهبـــهم رشـــدوا
وعـــلام السلب مما غنمـــوا وهُمُ لو غنمـــوا لم يُحـــســـدوا

* * *

كلهم طالبُ قـــوت ، والثـــرى ذل قـــوم أو تعـــالوا ، مـــخـــصب
وقـــصـــارى الأمـــر فى هذا الورى راسبٌ يـطـفـــو وطاف يرسب

* * *

مـــذ رأى الشـــيطان عـــقـــبى شـــره كـــفـــر المسكين بالشـــر العـــقـــيم
وأراها بـدعـــة من كـــفـــره دونهـا الكفـران بالخـيـر العـمـيم[٢]

* * *

يا إلـه الكون يا خـــيـــر إلـه أين من قـــدرك أصنام القـــدم
من كـــربّ الكون لا بل من ســـواه عـــادلٌ فـى الخـلق بر بـالأمم

* * *

أنتَ يا رب لطيف فى القـــضـــاء فـــاصـــعق اللهم من يجـحـد لطفك
قـــســـمًـــا باســـمك يا رب الســـمـــاء مـــا رأى فى الناس من يدرك وصـفك

---

(١) لا عجب فى أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف فى نفوسهم فلابد أن يكون فى نفسه شبيه تلك المواطن الضعيفة وإلا لما عرفها .

(٢) أى أن كفر الشيطان بالشر إنما هو ضرب من الكفر أسوأ من الكفر بالخير لأنه يرى الخير أهون من أن يستحق العناية بإزالته ورصد المكائد له ، فالراشد والغاوى عنده سيان .

يكفـر الشـيطان بالشـر العـقـام	فـتـعـد الكفـر منه ندمًـا
وتنجّـيـه إلى دار السـلام	وقـديمًا قلت لا يغـشى الحـمى[1]

* * *

فـضلك اللهم من غـيـر حـسـاب	وكـذا اللـهم آلاء[2] العـليـم
فاعـجبـوا من نعـمـة الله العـجاب	وانظروا كـيف تلقـاها الرجـيم

* * *

نزل الشـيطان من جنتـه	منزلا يرضى به الفن الجـمـيل
ومـشى فـاخـتـار فى مـشـيـتـه	هضـبـةً عند مـصب السلسـبـيل

* * *

هضـبـة فـيـهـا نخـيلٌ وثمـر	وبراكين خـبـا منهـا الضـرام !
وحـلاها دون أنماط الصـوَر	قـالب الحسن كـمـا شاء التـمـام[3]

* * *

قـالب الصنع الذى ينقل عنه	كلُّ ذى فن أعـاجـيبَ الفنون
شـركٌ لا تفلت الألبـاب منه	حـفظتـه روضـةٌ تسبى العـيـون

* * *

كـملت زينتـهـا من كل فن	وكـسـاها الزهو ولدان وحـور
وعلى أحـواضـهـا الطيـر تغنى	يا كـريمٌ ، ياحليمٌ ، يا غـفـور

* * *

وحـواليـهـا على رحب المدى	زُمَـر الأمـلاك من خلف زمـر
كلمـا راح عليـهـا أو غـدا	شـيّـعـتـه بنشـيـد مـبـتكر

* * *

ونُفـيـض الوصـف لولا أننـا	نصف الدار لكم يا داخليـهـا[4]
فـاصـبـروا فـالصـبـر مـفـتـاح المنى	واسـمـعوا كـيف غوى الشيطان فيـها

(١) يؤخذ من هذا البيت إن هذا الشيطان لما كفر بالشر نقله الله إلى دار السلام أى النعيم وعد ذلك الكفر منه ندما لعله يكون سبيل الهداية والإيمان من جهة أخرى .

(٢) الأفضال .

(٣) للجمال مثل أعلى ينقل الشعراء أخيلتهم والمصورون صورهم فتلك البقعة التى اختارها الشيطان من دار النعيم كانت مزدانة بقالب المثل الأعلى نفسه لا بالصور والأخيلة المنقولة عنه كما هو الشأن فى قصور الدنيا وبقاعها .

(٤) لا حاجة إلى الإطالة فى الوصف فإننا نرجو أن يكون القارئ من أهل الجنة فيراها بعينه .

أزفت ساعته ذات شتاء — أو على قول مضت حين مضى
وإذا حدثتْ فى أمر السماء — فاترك التاريخ سطرًا أبيضا

* * *

وقُبيل الصبح أو نحو الأصيل — عند باب القدس أو باب الحرم !
ركب الشيطان فوق السلسبيل — مركبًا يزجيه سلسال النغم

* * *

وفشت حوليه أرواح السلام — كلُّ زهر باعثٌ منه شذاه
ساريات مثلما تسرى المدام — أو كما رقّت على الخد الشفاه

* * *

وهو ما بين وصيف وملكْ — فى رواق من رضى لو كان يرضى
سبّحوا اللّه وقالوا الملك لكْ — وهو يزداد على التسبيح قبضا

* * *

نظرت صحبتُه الوجهَ العبوس — فرأوا فى الخلد شيئًا عجبا
ما رأوا من قبل ما لون النحوس — لا ولا يدرون إلا الطربا

* * *

والتقت أعينهم فابتسموا — كابتسام الطفل فى مهد الرخاء
وتمادى الأمر حتى سئموا — فتمشت فى الخليط الثؤباء

* * *

قال أدناهم إلى مجلسه — وهو لا يعلم أنْ قد أغلظا
ما لمولاى أرى فى نفسه — بعضَ ما خُبِّرت عن وادى اللظى

* * *

أترى الويل إذن والشجنا — فترةً تُطبقُ أهدابَ الرقود[1]
أكذا الوادى الذى قيل لنا — فى صبانا أنه مرعى الجحود ؟

* * *

فانثنى العابس وقّادَ الجبين — صارخًا صرخة مقضىّ الهلاك :
أى واد ؟؟ قال وادى الكافرين ، — قال دع هذا فما أنت وذاك

---

(١) سئم الملائكة منظر انقباض الشيطان فناموا كما ينام الأطفال إذا غلبت عليهم السآمة ولهذا يتساءل الملائكة لطهارة قلوبهم : هل الويل والشجن الذى يصيب أهل جهنم هو هذه الفترة التى تجلب النعاس للعيون .

قل لنا كيف ترانا ها هنا ؟ ... قال : ماذا ؟؟ إننا لَلْفَائزون
قال لكنى أرانا كلنا ... وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

أيها القارئ وُقِّيتَ العثار ... وبلغت الخلد موفور القدم
هل شهدت الجيش فى هول الفرار ... أو رأيت الطير راعتها الديَم(1)

إن تكن لم ترها فارصد لها ... تدر ما فزعة أملاك السماء
فزعةٌ للّه ما أجملها ... صانها الرحمن عن سفك الدماء

ساءهم فى الخلد ألاّ يُحسدوا ... وم الحسّاد من تطلبه
راعهم فى الخلد أن لا يسعدوا ... منكر السعد كمن يسلبه(2)

ولقد علّمهم شيطانه ... علم ما لم يعلموا من غضب
ما لهم قد فاتهم شكرانه ... أو ليس الغيظ بالمكتسب ؟؟

لو تراخى خطبهم لاحتملوا ... عُدد الرجم لذاك المعترك
لطف اللّه فلو قد عجلوا ... لخلا من نجمه هذا الفلك(3)

منّ للّه لا يحصرها ... صيرفىّ رُوِّضت أعداده
خفراتٌ لم يزل يظهرها ... كلما هام بها عباده

هو أوحى الوحى فى جنته ... فسرى فى الملأ الأعلى الصدى
حين نادى قرّ فى وقفته ... كلُّ غضبان ولبى واهتدى

---

(1) الأمطار .
(2) إذا أريت سعيدا من الناس أنه لا يستحق أن يحسد فكأنما جعلته كمن لا يتمتع بنعمة من النعم المرموقة فسلبته تلك السعادة التى أنكرتها ، وكذلك الملائكة فى النعيم ساءهم من الشيطان أن ينكر عليهم ما يعرفونه لأنفسهم من النعمة ورأوا أن إنكار السعادة وسلبها على حد سواء .
(3) المعروف أن النجوم هى رجوم الشياطين يرجمهم بها الملائكة فلو أن أملاك النعيم اقتصوا من ذلك الشيطان برجمه لخلت الأفلاك من كواكبها لعظم جريرته عندهم .

فـــــــــإذا الجـنـة أمنٌ وسـكـون كـسكون الليل فى ضـوء القـمـر
خشعت حتى الشوادى فى الغضون وصـغت حـتى وريقـات الشـجـر

* * *

سـاعـةٌ ثم انجلى مـوقـفـهـا عن جـلال اللّه فـردًا فى عـلاه
غـابت الأمـلاك لا تعـرفـهـا وبدا الشـيطان مـعـروفـا تراه

* * *

وبدا الشـيطان مـعـروفـا ترى كـبـرياء الكفـر فى وقـفـتـه
عـالىَ الجـبـهـة يأبى القـهـقـرى وتـوّج الـنـار مـن نـظـرتـه

* * *

وتَنحّى كلٌّ مـشـهـود فـمـا ثَـم إلا الـلّـه والـطـاغـى المـريـد
ويكاد الكون مـا بينهـمـا يغلب الشك عليـه فـيـبـيـد

* * *

سـاعـةٌ أخرى وقـد حُم القـضـاء وانقـضى العـفـو وحق الغـضبُ
سـاعـة للنحس حلت والبـلاء ومـتى حلت فـأين المهـربُ ؟؟

* * *

حـاقت اللعنة . حـاقت كلهـا وقـضـاها المنعم المنتـقـم
وجناها وهو لا يجـهـلهـا ذلك الجـانى الذى لا يندم

* * *

هاتفٌ فى الخلد لما هتـفـا نفـذ السـهم فـمن ذا الهـاتف ؟
إهو الرحـمـن ؟؟ لا وا أسـفـا بل هو الروح العـصىّ العـاصف

* * *

هو روح يجـحـد اللّه ومـا أعـجب الحـاسـد للّه الصـمـد
كلمـا أبصـره مـحـتكمًـا أصـغـر الكون وأزرى بالأبد

* * *

هو ناع سـمـجت فى عـينه نعمُ اللّه فـأمـسى يجـتـويهـا
حـبـة يزرعـهـا فى كـونه تلكم النعمى ، فأين الجود فيها ؟؟[1]

(١) يجحد الشيطان جود اللّه وكرمه ويقول : إذا كان تنعم اللّه إنما هى كالحبة التى يزرعها الزارع فى أرضه فأين الجود فيها ؟؟

هو طاغ يأنف الصغو إلى ... سائل يسأله عما جنى
يحسب الصغو عقابا قد غلا ... كيف لو أعذر أولو أَذعنا ؟؟[1]

* * *

فرمى بالهُجر لا يحفله ... حيث لا يبدأ خلق بالكلام
ويجدّ القولَ أو يهزله ... ولعينيه وميضٌ وابتسام

* * *

قال : سبحانك يا مولى الموالى ... وتعاليت ولسنا نعتلى !!
لا سلامَ اليوم يقريه مقالى ... أيها المولى فهل تغفر لى ؟؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاءْ ... ويُعزّى سيدٌ يفقد عبدا
فاقد العبدان أولى بالرثاء ... مِن فتى يألم للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على ... عبدك العاصى إذا لم تُرضه
عبد سوء رفض الخلد فلا ... تَبلُ بالجود قصارى رفضه !!

* * *

لا تعالجنى بلوم إننى ... قائم عنك بلومى وانتقادى
أنا من ينصف من يقرفنى ... ونَجىٌّ بالذم منى لا يُصادى[2]

* * *

لائمى أنت على كفر النعم ... وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتنى ذاك الكفور المتهم ... إنما الكفر أخو الخير القديم[3]

* * *

آخذى أنت بقوم شكروا ... بعضَ ما قيضتَ لى من نعم
كذف لا يشكر قوم ذكروا ... لك بالحمد حلول النقم

* * *

(١) إن الشيطان لتجبره يرى أن إصغاءه إلى من يلومه هو العقاب أشد العقاب فكيف به لو قبل ذلك اللوم أو أذعن له ؟؟

(٢) يصف الشيطان نفسه بأنه لا يصادى أى لا يجامل فى ذم نفسه لأنه يرى أقصى الذم كالثناء .

(٣) ينكر الشيطان إنه أصاب أى خير فهو لذلك ينكر أنه كفر لأن الكفر لا يكون إلا مع الخير .

تهب العـــشب لآســـاد الشـــرى وتعــــــد الجـــــوع منهـن كنودا
فـــازت الشـــاء فـــلا غـــرو تَرى أنهـــــــا تـبـلـغ بـالأكـل الخـلـودا

* * *

كم عـــهـــدنا عـــاهلاً فى ملكه يحكـم الناس بما لا يفـــقـــهـــون
يوبق الســـــائلَ عن مـــسلكه ويبـــــيح الأمن من لا يســــألون

* * *

هكذا ملكك يا رب القـــضـــــاء دولةٌ تحـــمـى على الطرف النظر
حظ من يدنو من الســتــر الشــقــاء وسـعـيـدٌ من لهـا عـمـا اسـتـتـر[1]

* * *

فـــاغـن بالراضـينَ عن أقـــدارها أنهـم نـعـم عــــتـــــاد المالكين
واجـــعـل الفـــردوس من أقطارها حـيـث يرضـون ، ومـا هـم سـاخطين

* * *

وإذا مـــــــارئم[2] الضـب الـكـدى فـقل الكدية فـردوس السمـــاء
أو لـيس الخلد يـا رب الـهـــــدى منزلا لا يتــخطاه الرجـــاء ؟؟[3]

* * *

لا تعـــاجلنى فـــقـــد لا يتـــقى ســــيـــــد الكون لسنا يكذب
أن يكن وزر ضـــلالى مـــزهقى آخـــر الأمـــر ، فـحـتـفى مكثب

* * *

لا لعـــمـــرى بل هو الصـــدق ومـــا أجـمـل الصـدق بشـيطان غـوى
إنما الصـــــدق نبـــــات مـــــا نما قط بالخـيـر ، وقـد ينمـو الهـوى

* * *

(١) يقول الشيطان أن الشقاء نصيب كل من يحاول الكشف عن حكمة الإقدار كما أن التنكيل نصيب من يحاول إزاحة الستر عن سياسة الدول الخفية .
(٢) ألِفَ .
(٣) يستصغر الشيطان الفردوس التى وهبها لأنه له رجاء فوقها ولذلك لا يسميه فردوسا ولا يعد الرضى به نهاية السعادة كما أن الضب يرضى بكديته أو جحره وليس جحره بأقصى ما ترتقى إليه الآمال .

إنما الصـــــدق وبال يُفـــتـــرى　　　وأحق الحق مــــا يوحى الرجـــيم
أبـطـل الـبــــاطـل لا يؤذى الورى　　　وأحق الحق يودى بالصـــمـــيم[1]

أمـــجـــيـــبى أنت أم عند الصـــدى　　　أبـدا الـدهر ســــؤالى والجـــواب
أهى الراحــــة فى الخلد ســـدى　　　ثمـر الكون جـمـيـعًـا واللبـاب ؟؟

كـــيف يرضى خـــالدٌ يفــصله　　　أمـــدُ بينكمـــا لا يُعــبـــر
ايعــــاف الشـــأوَ أم يجـــهله　　　أم يرجـــيـــه فـــلا يقــتـــدر

عـــــفــــوك اللهم لا خلد هنا　　　ومـــتى كـــان خلود فى قـــيـــود ؟؟
ســـيظل الخلد وســـواس المنى　　　وصـــدى الليـل وأحــلام الرقـــود

وســـيــبــقى الكون فى جـــوهره　　　أبدًا شـــيـئين مـــهـــمـــا اقــتـربا
خـــالقٌ قـــام على عنصـــره　　　ومـــخــاليق رأوه احــتـجـــبـــا

صـــانع يحـيى البـــرايا منعـــمـــا　　　وبـرايا صنعـــــا منٌّ وجـــــود
وكـــلا هذين مـــوجـــود فـــمـــا　　　أبعـد البـون لعمـرى فى الوجود !![2]

أيهـــا الفـــانون فى هذى الدنى　　　خلدكم يا قـــوم آجـــال تَوالى[3]
تحــســـبـــون الخلد فى نيل المنى　　　قـد خُـدعـتم ! فـاشكروا اللّه تعـالى

(١) من رأى هذا الشيطان أن الناس إذا وصلوا إلى الصدق قد تجردوا عن الأهواء ونزعات الطبائع ومطالب اللحم والدم وهذا نذير الهلاك فى عزمه .

(٢) تطمح كبرياء الشيطان إلى أعلى منزلة فيرى وراءها منزلة أعلى منها وهى منزلة الإلهية فيسخط على قسمته ويقول كيف يرضى بهذه القسمة الخالدون ؟؟ أيعافون ذلك الشأو الذى فوقهم وهو لا يعاف أو يجهلونه والجهل نقص فى مرتبة الخلود أو يطلبونه فلا ينالونه فيكونون من المحرومين ؟؟ – وفى هذه الحجة موضع ضعف لأنها تفترض التماثل التام بين حالة الخلود وحالة الفناء فى هذه الدنيا المحدودة .

(٣) المعنى أن خلود الفانين فى رأى الشيطان إنما هو آجال محدودة متعاقبة ليس إلا فكأنهم لا يزالون فانين مع خلودهم وهو إنما يريد الخلود المطلق الذى لا تحده الآجال .

قـد خُـدعـتـم فـاسـألوا الدود أمـا يبلغ المأمـول من شـهـوته
واغـبطوه فـهـو أرقى سلمـا ، أو مـا يوغل فى حـمـأته ؟؟

* * *

اسـألوا يا قـوم أن لا تسـألوا وتمنوا للأمـانى الكمـالا
وإذا أعـجـزكم أن تفـعلوا فـاشكروا من يحرم الخلق السؤالا[1]

* * *

عـفـوك اللهم أو لا عـفـو لى طال بى حلمك فـابعث وجلك
أنـت لا تـخـطـر لـى فى أمـلـى لا تكن توبة نفـسى أملك

* * *

وادع فى خلقك يسـجـد من رجـا خلدك الأعلى فـمـا نحن سجـود
لـنـكـونـنَّ إذا صح الحـجـى ، حـجـرًا صلدًا ولا هذا الوجـود

* * *

لا نطيل القـول . أمـا المنتـهى فـقـريب ، وجرى مـا قـد جـرى
السنى أظلم والنجم سـهـا ولهـيب النار أمـسى حـجـرا

* * *

لا انتـقـامًـا حـبطت فـتنتـه حـاشَ للّه ولا الحلم نفـد
إن تكن قـد خـمـدت جـذوته فـمن الرحـمـة بالخلق خـمـد

* * *

حين جـارت فـتنة الغـاوى على عـصـمـة الأمـلاك فى غـرتهـا
عـجّل اللّه به مـا أجّـلا وحـمى الدولة فى بيـضـتـهـا

* * *

قـال كن عـبـدى فلمـا أن أبى قـال كن صـخـرًا كـمـا شئتَ فكان
لـهـبٌ طار فلولا أن خـبـا لتـغـشّى الكونَ نار ودخـان

* * *

ولقـد قـال أناس شـهـدوا مـصـرع الشـيطان هل طبع يزول ؟؟
ناره تخـبـو فـلا تتـقـد وهو فى الصخـرة يستـهـوى العـقـول

(١) يقول الشيطان إذا طلبتم أمنية تستحق الطلب فلتكن أمنيتكم أن تصبحوا من الكمال بحيث لا تطلبون شيئًا ، وهذه أمنية لا يقل اللّه منكم أن تطلبوها فاشكروه لأنه يحرمكم السؤال .

فـــإذا أبصـــرت من صـــخـــرته دُمـــيـــةً ســـاحـــرة أو صنمـــا
فـــابتـــعـــد منه ومن رقـــيـــتـــه واتق اللّه وحـــوقل نـدمـــا

وتعـــجّـبْ من شـــواظ[1] رده طارقُ اليـأس صـفـاة جلمـدا
وتدبّر كـــيـف أبقى كـــيـــده ومـــحـى روحًـــا وأفنى جـــســـدا

ولقـد أسـمع فـيـمـا زعـمـوا نبـأً من نحـــو إبليـس أتـى
قـــال لا تأســـوا ولا تنتـــقـــمـــوا مـــعـــشـر الجن فـمـا برّ الفـتـى

مـــا أرى هذا الفـــتـى من دمنا ومتى استغوى الشياطين الشرك ؟
أترى شـــيطانه من قـــومنا أغـوت الأمــلاك فـهـو ابن ملك !

ذاك أو كـــيف أطاشت فـــمـــه غـيـرةٌ منه على القـول الصـراح
أكـــبـــا الثـــرثار أم أســـقـــمـــه أرجُ الجنة أم مـل الكـفـــاح ؟؟)

فتلاحَى القوم[2] ثم استضحكوا ودعـــا مـــازحـــهم شـــر دعـــاء
قـــال فلتـــسلكه فـــيـــمن سلكوا أيهـــا المولى ســـبـيل الشـــهـــداء !

وتقـــضتْ بينهم ســـيـــرته ومـضى كـالطيف أو رجع الصـدى
باءَ بالســخط فـــلا شـيـعـتـه رضـــيـت عنه ولا أرضى العـــدى

وكـذا العـهـد بمشـبـوب[3] القلى[4] عـــارم[5] الفطنة جـيـاش الفـؤاد
أبدًا يـهـــتـف بالقـــول فـــلا يعـــجب الغىّ ولا يرضى الرشـــاد

---

(١) شواظ النار اللهيب . (٢) تلاحى القوم : أى تنازعوا .
(٣) المشبوب المتقد .
(٤) القلى : الكراهية .
(٥) العارم الذى اشتد وجاوز حده .

قوميات

هيكل إدفو(*)

. . . .

يا دار بطليموس حسبك رفعةً ... وصيانة بين البِنَى وجمالا بالشامخات
حرصُ الزمان عليك وهو موكّل ... يحيلها أطلالا
أبقاك فى فك الزمان مصونةً ... جيلان يبنيك الملوك وِصالا(1)
لم يبصروا بك موضعًا لزيادة ... إلا استزادوه علاً وكَمالا
غدروا ذوى القربى ودكوا دورهم ... وتلاحقوا عمًّا إليك وخالا
واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا ... بين العباد ثوابًا ونزالا !
وضعوك أم رفعوك لما صوروا ... فيك السلاح أسنة ونبالا !
وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا ... زلفى لديه وقوة ونوالا ؟
ضلّ الذين تطاولوا فتوهموا ... أن الأوائل دونهم أفعالا
حسبوا المعابد أرضَها وسماءها ... كونين من حكم الطبيعة حالا(2)
هبطتْ من الملأ العلىّ فأصبحت ... فيها الذئاب الضاريات سخالا
ننسى العداوة والصداقة والهوى ... فيها وننسى الخوف والآمالا
كذبوا فما تغنى الأنام عبادةٌ ... تذر القلوب فوارغا أغفالا
لا ربٌّ إلا من يمالئ شعبه ... عند الكريهة إن جفا أو مالا
لا تعبدنَّ إذا أردت سيادةً ... ربًا يُعين الصيد والأنذالا
واعبد إلهًا يصطفيك بعونه ... ويذيق خصمك ذلةً ونكالا(3)
من ظنَّ أن ولاته كعداته ... عند الإله . فكيف يسعد حالا ؟؟

* * *

الناس يغتال القوىّ ضعيفهم ... والدهر يغتال الفتى المغتالا
قهار كل القاهرين تقاصرت ... عند مكائد من طغى واحتالا

(*) هيكل إدفوا : جزء ثانى .

(1) وصالا : أى متواصلين .

(2) حال : أى اختلفت .

(3) هو الإله العادل الذى يعين الأخيار ولا يسوى بينهم وبين الأشرار .

ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم ... أسفًا وما نقص الثرى مثقالا
مَلكَ الفراعنة الحماة وخلّفوا ... للملك أعلامًا بمصر طوالا
وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم ... عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه ... مصر يزيد شبابها إقبالا
تتقوض الأوطان وهى كدأبها ... من عهد نوح تربة ورجالا
عهدٌ على الله القدير وذمة ... ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا ... قسط البنين معارفًا وخصالا
إنا لنرجوها ونوقن أنه ... ما كان يومًا لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا إنها ... صمد الهوان بها فلا استقلالا

* * *

تمثال رمسيس(*)(١)

رمسيسُ أين جنودك البُسَلاء ... ومواكبٌ لك فى البلاد وُضاء
وبشائر بك كلما طال المدى ... وتقدمتْ بإيابك الأنباء
والجيش حولك كالغمائم فوقهم ... للمُلْك والفتح المبين لواء
متهللين غداةَ أطفأ شوقهم ... نيلٌ أتوه وهم إليك ظماء
فنىَ الجنود فهمْ عِثيرٌ(٢) ... سافٍ وأنت جلامدٌ صماء
مُتخيّرَ الصحراء دار إقامة ... إن الليوث ديارُها الصحراء
وتكنّفتك(٣) من الخلود مسافةٌ ... لا يستبيح ذمارها الأحياء

. . . .

رمسيس أيةُ صخرةٍ بين الصفا(٤) ... قد شرّفتها هذه السيماء
رجحتْ بها التبر السبيك نفاسة ... ما التبر والذكر المقيم سواء
حفظت سماتك بيننا وتطلعت ... تبغى علاك فعازها الأجواء
وشكت مواقفة الزمان ولم يكن ... يعروك أنت بموقفٍ إعياء

(*) تمثال رمسيس : جزء ثانى .

(١) لرمسيس الثانى : أكبر فراعنة مصر تمثال ضخم على مقربة من البدرشين وهو التمثال الذى كانت الحكومة قد عزمت على نقله إلى القاهرة ونصبه فى ميدان باب الحديد .

(٢) العثير : التراب الثائر . (٣) وتكنفتك : أحاطت بك . (٤) الصفا : الحجارة .

إلى متطوعى مشروع القرش (*)

. . . .

يا فـــتـــيـــة الـقـــرش وروّاده ... علـى ســـــواء المنـهـج الـواضـح
خـــذوا هبـــات الجـود حـــتى إذا ... فـــرغـــتم من فـــيـــضـــهـــا النافح
طوفـــوا على الدور ولا تتـــركـــوا ... بابا قـــد اســتـــعـــصى على فـــاتح
وحـــاصـــروا الراكب فى ركـــبـــه ... واسطوا على الســـانح والبـــارح
وراقـــبـــوا الجـــو ولا تتـــقـــوا ... غـــوصًـــا وراء الغـــائص الســـابح
وعلّمـــوا من ضـن بالقـــرش أن ... يخـــجل من عـــدوانه الفـــاضـح
فـــمن أبى قـــرشًـــا على أمـــة ... فـــذاك كـــالجـــانى وكـــالجـــارح

* * *

عيد الاستقلال السورى (*)

(ألقيت هذه القصيدة فى احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال فى سنة ١٩٣٠) .

ربعَ الشـــآم أعـــامـــرٌ أم خـــال ... اليـوم عـيـدك عـيـد الاسـتـقـلال
إنـى لأرجع بـالســـؤال أطيـلـه ... لو يملك الشـهـداءُ رجع ســؤالى
سكتـــوا وأقـــفـــرت المنازل منهمُ ... إلا منازل من صُـــوى(١) ورمـــال
بوركت من وطنٍ يُجلُّ شـهـيـده ... فى حـيـثـمـا ألقى عـصـا الـتـرحـالٍ
وطنٍ تضـــيـــقٌ الأرض عن أبنائه ... وإليـــه مَـــوْئلهم مع الآمـــال
يستـبـدلون الخـافـقين ببضـعـة ... منه ، ومـا قنعـوا بالاســتــبـدال
ذهبـوا بأفـــئـدة تفـرّق شـمـلُهـا ... شـيـئـًا ، ومـا فـيـهـم فـؤادٌ سـال

* * *

(*) إلى متطوعى مشروع القرش : عابر سبيل .
(*) عيد الاستقلال السورى : وحى الأربعين .
(١) الصوى : القبور والحجارة التى تتخذ دليلا على الطريق .

يرتاد راحلُهم وخلف ركابه   حُلُمٌ يبت به مع الحُلاّل
يصحوا على «الشاغور» من لبنانه   وينام من «بَرَدَى» على السلسال
وتهزه من «عشتروت»[1] خميلةٌ   تلتفُّ بين جداول ودوال
وتليه من وادى العرائش نسمةٌ   سكرى الضُّحى رفّافة الآصال
أنّى استقرّ وحيث سار هفا به   همسٌ من الجبل الأشمِّ العالى
أين السلوّ ؟ ولا سلو لعابرٍ   فيه ، فكيف بمولد وفصال
هذى مواطنكم وتلك قلوبكم   وشُجتْ[2] على الأهواء والأهوال
ما فى المدامع من شعار كنيسةٍ   يوم الحنين ، ولا شعار هلال
فيمَ اختلافُ مصفَّدين تضمهم   - قبل الوفاء - سلاسلُ الأغلال
أمنازعون على السماء وأرضُكم   نهبٌ لكل منازع ومُوال ؟
كونوا - ولا نصحٌ لجيل نبوة -   فى العالمين هدايةَ الأجيال
من بعلبكّ خذوا المثال لرأيكم   يوم الخلاف ، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمدٍ   أثرٌ وللوثن القديم البالى

* * *

أنتم بنو ماض على أحزانه   نعْمَ البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل   ومن التجارب حكمة الأمثال

* * *

النشيد القومى(*)

قد رفعنا العلمْ   للعلا والفدى
فى ضمان السماء

* * *

حىّ أرض الهرم   حىّ مهد الهدى
حىّ أم البقاء

* * *

(١) عشتروت : هى قرية شتورة الحديثة فما يقال .
(٢) وشجت : اشتبكت .   (*) النشيد القومى : عابر سبيل .

كـــم بـــنـــت لـــلـــبـــنـــيـــن مـــصـــــــر أم الـبـنـاة

من عـــريق الجـــدود

* * *

أمـــــــة الخـــــــالـديـن من يهـــبـــهـــا الحـــيـــاة

وهبـــتـــــه الخلود

* * *

تحت أصـــفـى ســـمـــاء فـــوق أغنى صـــعـــيـــد

شـعـب مـصـر مـقـيم

* * *

قـــد حـــوى مـــا يشـــاء من زمـــان مـــجـــيـــد

ومـكـان كـــــريم

* * *

نيلنا خـــيـــر مـــاء كـــوثرٌ من نـعـــيـــم

فـــاض بالسلسبـــيل

* * *

فى العـــروق الدمـــاء شـــعـلة من حـــمـــيـم

للعـــدو الدخـــيـل

* * *

إن يـكـن أمـــــــسنا فـى حـــــــمى الأولـين

فلـنعـش للـغـــــد

* * *

لا ترى شـــمـــــــسنا غـــيـــر فـــتح مـــبين

مـــــا يـدمْ يـزدد

* * *

فـــارخـــصى يا نفــوس كـل غـــال يهـــون

كـل شـىء حـــسـن

* * *

إن رفـــــعـنا الرؤس فـلـيكـن مـــا يكـون

ولـتـــــعش يا وطـن

* * *

يوم الجهاد(*)

أجل هو يوم الفدى والذمْ — ويوم الجهاد ، ويوم القسَمْ
ويوم الذين دعَوا أمةً — ونادوا بدعوتها فى الأمم
ويومٌ له غده المرتجى — ويومٌ له سرّه فى القدم
هنا حرمٌ فى جوار الزما — ن فحيوا الزمان وحيوا الحرم
هنا فليقم عهده من أقا — م ، ويعزمْ على أمره من عزم
ويستقبل الهول من راضه — ويرتد من خافه فانهزم
تعز الصفوف بنبذ الجبا — ن كعزتها بشجاع هجم
وتُحمى الحقوق بدفع الضعيـ — ـف كدفعك عن حوضها من ظلم
فليست تصان الحقوق التى — حمى جانبيها ضعاف الهمم
وهيهات تعلو لنا شوكة — بشكوى الذليل ، ونجوى السأم
إذا كرمتْ أمة لم تكن — كرامتها من هبات الكرم
إذا استرحمت أمة خصمها — فلا رحمتها عوادى النقم

* * *

. . . .

كفى لعبا أيها الهازلو — ن ، فقد ملأ الخطب مصرًا وطمْ
لئن أسأمتكم كبار الأمو — ر لقد أسأتنا صغار اللمم
وقد أسأمتنا رعاة تسا — ق ، فأين الرعاة وأين الغنم ؟
أأصنام باغين تبغونها — وأنتم تذلون ذل الخدم ؟

* * *

أأطلب حرية للعبيد — وألقى بحريتى عن رغم ؟!
فماذا أقول لهذا الجبين — وما عابه عائب أو وصم
وماذا أقول لهذى اليمـ — ـين . وإنى بها قد صنعت الصنم
معاذ الفتوة . أنى لكم — على رصد ساهر لم ينم
هو الحق ما دام قلبى معى — وما دام فى اليد هذا القلم

(*) يوم الجهاد : عابر سبيل .

عيد بنك مصر(*)

ألقيت فى الاحتفال بمضى خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر

بلغتَ الشـبـاب ، فـعش وازدد — وأوح التـهـانىءَ للمنشـد
نما بك جَـدُّك فى المعـجـزا — ت ، فـيالك من معـجـز مـفـرد
أفى السن كـالـيـافع المرتجى — وفى المجـد كـالهـرم المخلَد ؟
وما هرم الصـخـر فى مـجـده — نظيـرك يا هرم العـسـجـد
وما بنيـةٌ حـرةٌ فى الرضى — تقـام ، كـبنيـة مـسـتـعـبـد
بنو مـصـر فى كل عـهـد لهم — بنـاء علـى سُنَّـة الموعـد
فـحـينًا مـعـابدُ فـوق الذُّرى — وحـينًا مـصـارف كـالمعـبـد
بهـذا وهذا نجـارى الزمـا — ن ، ونسـبق فى شـوطه الأبعـد
ونـدرك فى يـومـنـا أمـسـنـا — ونرفع شـأويهـمـا فى الغـد

* * *

. . . .

فـيـا قـائمين على (حـصـن مـ — ـصـر) سعدتم برضوانها الأسعد
إذا قـيل (بنك) فـقـد قـيل حـصـ — ـن ، نجـا بالعـتـاد والمُعـتـدِ
ومَن قـال يا أمـتى وفـرى — فـقـد قـال يا أمـتى جنِّدى
هنـيـئًـا لكم قـادة ذادةً — يصـولون صـولة مـسـتـشـهـد
هنـيـئًـا لكم (حـربكم) أنه — من الحـرب فى وصـفـهـا الأحـمـد
لكم راية النصـر مـرفـوعـة — على سـاحـة الزمن السـرمـد
تعـود لكم كل أعـيـادكم — بأجـمـل مما به تبـتـدى

* * *

دار العمال(*)

ألقيت فى دار العمال عند افتتاحها فى صيف سنة ١٩٣٥ .

حىِّ «دار العـمـال» بالإقـبـال — وترقَّبْ لهـا بلوغ الكـمـال
وانتظر رافـعى الدعـائم حـتى — يرفـعـوا بينهم عـزيز المثـال

(*) عيد بنك مصر : عابر سبيل .

(*) دار العمال : عابر سبيل .

رفعوا أمس ما علا من صروحٍ ... ولهم فى غد صروحٌ عوالى
ولهم فى غد من الأمر قسطٌ ... من يكن مؤمنا به لا يغالى
أيها العاملون لبيكم اليو ... م ، ولبيكم غدا فى المجال
نعم جيش السلام أنتم إذا ما ... جرّد البغى جيشه لاغتيال
لَكُم العدة التى ما استطاعت ... أمةٌ قط تركها فى نزال
ولكم أذرع شداد ، وأيد ... من حديد ، وأظهر من جبال
ولكم فى اتحادكم رأس مال ... إن فقدتم ذخائر الأموال
ولكم صيحة يهاب صداها ... سادة فى نفوسهم كالموالى
فابلغوا بالوئام والصبر ما لا ... يبلغ المرجفون بالأهوال
لا يسخّركم المسخر جهلا ... وانبذوا كل عاطلٍ مكسال

* * *

(١١)

. . . .

أيها المنقذون بنية مصر ... من فتور ومن ضنى أو كلال
أنتم الكف والذراع وأنتم ... قوة فى يمينها والشمال
حظكم حظها من العلم والصـ ... ـحة والبأس والحجى والخصال
كلما نالها نصيب من الخيـ ... ـر فأنتم لكم نصيب تالى
أعجب الناس عامل فى بلاد ... صاح فيها : ما للبلاد ومالى ؟
لا تقولوا العمال حسْبُ ، وأنتم ... فى بلاد تموج بالعمال
إن مصرا تنال من غاصبيها ... أجر بخس وخدعة ومطال
وهى أرض للواغلين عليها ... سطوة أشعبية الإيعال
كل من فى جوانب النيل عانٍ ... مستغل الجهود والآمال
كلهم غارس لآخر يجنى ... ثمر الماء ، والثرى ، والرجال
وإذا ما تفرقوا طبقات ... جمعتهم جوامع الأغلال
وإذا قيل موسر وفقير ... فقصاراهما إلى استغلال
حققوا الأمر ما قضية مصر ... بعدُ إلا قضية العمال

عيد الجهاد(*)
«١٣ نوفمبر»(١) بعد ربع قرن

جـددوا آل مـصـر عـيـد الجـهـاد ... بجـهـاد على المدى فى ازدياد
إنما قُـدّر الجـهـاد عليكم ... يوم كـان «اسـتـقـلال» هذى البلاد
والذى أوجب الحـراك على الأ ... يدى انطلاق الأيدى من الأصـفـاد
ليس كل الأعـيـاد ندحـة لهـو ... قـد تكون الأعـيـاد لاسـتـعـداد
وقـضـايا السـلام أطول عـهـدًا ... من قـضـايا الخـصـام بين الأعـادى
قـادنا مـعـشـر فلمـا تولوا ... أسلمـونا أمـانةَ القـوّاد
مـا إخـال الروّاد قـد سـرّحـونا ... بعـدهم نحن مـعـشـر الأجناد
سـبـقـونا ممهـدين وقـالوا ... دونكم فـانهـضـوا بغـيـر رقـاد
قـد حـملنا وديعـةَ الأجـداد ... فـاحـملوها أنتم إلى الأحـفـاد

* * *

. . . .

صـدقـونى فـرب صـدقٍ نذيرٍ ... حـاط قـومًـا من صـادق الإيعـاد
لغـدٌ - فـارقـبـوه - أحـوج منّا ... لاجـتـهـاد فى أمـرنا واتحـاد
قـد بدا حـولنا مـدى الحـرب فـينا ... ومـدى السلم حـولنا غـيـر باد
إنما الهـول فى غـدٍ فـاتقـوه ... واسـتـعـدوا لـه بأطيب زاد
مـا الوغى والسـيـوف مُشـتـجـرات ... كـالوغى والسـيـوف فى الأغـمـاد
من حـروب على اللسـان صـراح ... وحـروب مكنونة فى الفـؤاد

* * *

(*) عيد الجهاد : بعد الأعاصير .

(١) يتشاءم الناس من رقم ١٣ ولكن ذكرى الجهاد قد أسقط أن تجعل من هذا الرقم يوم عيد .

وأبـاطيـل فـــــتنـة وضــــلال | وعـــقــابيل مـــحنة وفـــســـاد
كم تلاقـــون فى غـدٍ من دعـــاوى | صـــبــغـــوا لونهــا بكل حـــداد
ووبـاء الأخـــــــلاق مـن كـل فـج | وبـــــلاء الأرزاق فــــى كـــــل واد
قـــسم للحطام فى غـــيــر عـــدل | وادّخـــــار له بغـــيـــــر ســــداد
بين كظّانَ أثقلت جـــانبـــيـــه | تُخمٌ جـــمـــة ، وجـــوعـــان صـــاد
إن وقـــــيـــــتم بلادكـم من أذاها | فـانعـمـوا بعـدها بعـبـقى الجـهـاد

* * *

عيد النيروز(*)

أهلا بنيــــروز وليــــــد | أهلا بميـــلاد ســـعـــيــــد
يومٌ جـــديدٌ . قلت بل | عـهـدٌ على مـصـر جـديد
عـــهـــدٌ تصـان كـرامـــةٌ | فيـه ، وتتـبـعـهـا جـهـود
لا تســـتــذل ولا تســـا | م على الهـوى سوم العـبـيـد
وغـــداً ســتنقــشع الغـيـــو | م فــــلا بروق ولا رعـــــود
مـــا كـــان غـيـــر الصــالحــ | ـين لهم قــرار فى الوجــود

* * *

مـــصـــر الكنانة كـــعـــبـــة | قـــرت على حــصـن وطيـــد
لا تلبـث الأصـنام فـــــيـ | ـهــــا أن تنكّسَ أو تميـــد
كم ذا أراد بهـــــا الأذى | باغٍ ، وكـــاد لهــا حــســـود
يمضى يعـــــدد مـــا يريدْ | واللّه يفـــعــل مـــا يريد
حـــــوض له من قـــومــــه | ورد ، ومـــــا أحلى الورود
إن لـــم يــذد أبـــنـــاؤه | عنه ، فـــمـن عنه يذود ؟
ســـمـــرٌ وســـودٌ أين من | صـبـغـيـهـمـا حـمـر الجلود
شـتــان مـا هم فى الأصـو | ل ، وفى المهـود وفى اللحـود

* * *

(*) عيد النيروز : الاحتفال بعيد النيروز نشرت بالعدد ٧٣ من الأخبار الجديدة بتاريخ ١١ من سبتمبر ١٩٥٢ .

يا صحبة التوفيق وُفـ ـقتم إلى النهج السديد
حييتم النيل المبا رك واحتفيتم بالصعيد
عيد الوفاء إذا استعيـ ـد فمن وفاء المستعيد
عيدٌ له فى ذمة التا ريخ توفيقٌ حميد
عيد الأوائل والأوا خر ، والخمائل والورود
العالَمية وصفه المعـ ـهود فى كل المعهود
من فارس عنوانه وصداه فى الدنيا بعيد
كم صان مصريون ذكر اه وحياه هنود
وترنَّمت فيه العرو بة بالقصيد وبالنشيد
ما بين شعر البحتر ى وبين نثر ابن العميد
أم يؤلف بينها من حيث فرقها الجدود
ما أحوج الدنيا إذا اختلفت إلى عيد وحيد

* * *

فى كل عام تحتفو ن بمولد اليوم الجديد
بالنيل غير مقسم فرد له ملك فريد
ملك على دين الإخا ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه يسا د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنُّه ألا يضيع ، ولا يبيد

* * *

يا مصر يا بنت الخلود يا معقل المجد التليد
أين الدين جزوك جا زية الخيانة والكنود
من كل مسخ هازل فى زىٍّ جبار عنيد
يحكى الأسود تجبّرا وكذاك عربدة القرود
طاغ عليك ، ومنك لا منه الصوالج والبنود
وكأنما فى جوفه نار تلظّى بالوقود

أبـداً تـنـادى كـلـمـــــــا أطعـمـتـهـا هل من مـزيد
لا نصح يجـــدى فى هـذا يتـــه ولا عـــتبٌ يفـــيـــد
أيـن الـقــــرار بـه ، وأيـن الـيـوم مـوكـبـه المجـيـد ؟!
ولّى وولىّ صـــحـــبـــه لا غـــائبين ولا شـــهـــود
من كل مـــغلوب على كـمـــد ومنبـوذ شـــريد
الـلّـه أقـــوى قـــوةً من كـل شـيـطان مــريد
كم ذا اسـتـعـز ببـأسـه فـــأذله البـــأس الشـــديد
بأس الجنود الـعـــامـلـ ـين يقـــودهم رب الجنود

* * *

النيـل أقـبـل من بعـــيـد وكـــأنه حـــبـل الوريد
مـــتـــدفقٌ بـين الســـدو د ، ولا حــدود ولا قـــيــود
فــيض من الســودان مـــو رده وقـــبلتــه رشـــيـــد
مـــتـــجـــدد فى كـل عــا م عـنـد مـــوعـــده يعـــود

* * *

الفالوجة(*)(١)

. . . .

أجل هى مـصـر التى نعـهـد إذا نفـــد الـدهر لا تنفـــد
لهـا مـورد من حـمـاة الذّمـا ر . يسـعـفـه أبداً مـورد
فللّه مـصـر ومـا جـددتْ وأبناء مـصـر ومـا جـددوا
إذا مـا ارتضى الموت أبطالهـا فـرضـوانهم أنهـا تخلد

(*) الفالوجة : بعد الأعاصير .

(١) تحيـة لأبطال «فـالوجـة» الذين قـاوموا الحـصـار فى مـعركـة فلسطين على قلة الموارد والذخائر والأسلحة والحصون .

أعـــادوا لـهـــا ســـيـــرة الأولـ ـــين ، والعود من مثلهم أحمد
تحن الرمـال التى خـضّبـوها وينبض فى جـوفـهـا الجلمـد
فكم لـعـلىّ ، وكـم لـصـــلا ح جنودٌ بساحتها استشهدوا
وكم قـبل ذاك لرمـسـيـسـهـا كُـمـاةٌ على صخرها وُسّـدوا
مـــعـــودةٌ أن تجـيـب الـدعـــا ء إذا مـا دعـا المجـد والسـؤدد
. . . .
بيوم مجيد ، لأمس مجيد وإن غـــداً بعـــده أمـــجـــد

* * *

بنو مـصـر للّه مـا جـاهدوا وفى الحق والخير مـا أعـتـدوا
أولوا البـأس لكنهم عـصـبـة إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا
ومنهم لكل ضـعـيف حـمـى وفـــيـــهـم لكل أخ مُنجـــد
أغـاثوا العـروبة فى مـحنة رمـــاها بهـــا الزمن الأنكد

* * *

تقدير

شكسبير (*)

بين الطبيعة والناس

أبا القـــوافى ورب الطرس والقلم ... مـاذا أفـادك صـدق العلم فى الأمم ؟
لم يعرفـوك ولم تجـهل لهم خلقـا ... هذا نصيـبك من دنيـاك فـاغـتنم !
قضّيت دهرك تلهيـهم وتضحكهم ... يا للعجـائب من أضحوكـة القسم
لا يوثق الهـر رئبـالا ليضـحكه ... فاعجب من الناس ، لا تعجب من البُهم
هلا رأوك على قــرب بنظـارة ... ترى الحجى رؤية الأسـوار والأطُم ؟
ولو رأوك بتلك العين لانخلعت ... رقـابهم دون أدنى تلكم القـمم

* * *

شـرعتَ للناس وِردًا لا انقطاع له ... يوم انقطعت عن الآفـات والنعم
والميت قد ينفع الأحياءَ ما عَمروا ... وليس ينفعـه الأحيـاء فى الرَّجم[1]
إنْ يذكروك فـما جاءتك ذكرتهم ... فى الغـابرين ، ولا سرتك فى الرمم
أو يكبروك فـماذا قول مسرجة ... للشمس : هذا ضياء الكوكب العلم
أو يشكروك فـمـا بروا ولا ندموا ... أين الجـهـالة من بر ومن ندم ؟
ارجعْ إليهم ، وقل فيهم ، وغنّ لهم ... أينظرونك إلا نظرة القـدم ؟
مـا أكـثـر البـر باسم لا غناء به ... وأندر البـر بالأرواح والنسم
لا يقدر الناس يومًا أجر سادتهم ... وإنما يقـدرون الأجـر للخـدم
أجـر العظيم زَمـاع[2] فى جوانحه ... يجـزيه بالأمن أحـيانًا وبالألم

* * *

وصاحب لك أرخصتَ الفؤاد له ... والحبُّ أقـرب من إلّ ومن رحم
فـرد من الناس لو شـد الوفـاء به ... أهونتَ غدر جميع الناس بالذمم
فـقـدته وهو موجـود على كـثَب ... يا موجد الحسن أسرابًا من العدم
لم يُغن قلبك عنه مـا يزخرفه ... عن صورة الحسن فى الأوصاف والشيم

(*) شكسبير بين الطبيعة والناس : جزء ثالث . ٣٣ (٤٢ فقرة ١٥٥) .

(١) الرجم : القبر . (٢) زماع : عزم وبأس .

بل زاد شــجـوك أن تلقى لـهــا مـثـلاً ... حيًّـا ، على أنه فى البـعـد كـالحلم
أُعناه باللهـــو عـــمـــا أنت ضــامنه ... من ليس يغنيك عنه بالنهى العـمـم
هلا سلكتَ إلى قلب الحـبـيب وقـد ... عـــرفتَ ســـر قلوب الناس كلهم ؟
هيــهـاتَ لا تملك الألبـاب مـا عـرفت ... أين المنجم مـن شـــهب ومن رُجُم
أرضٌ تراها ولـم تملك مــــقــــالـدها ... لتلك أقـصى لعــمــرى من ذرى إرم

* * *

أبا الـقـريض وحـسـبُ القول مـعـجزة ... بشكسـبـيـر وحـسب العـرب والعـجم
لو فـــــاخــــر الـكون أكــــوانًا تناظره ... كنت الـفـخـــار فـأبدت ذلك العـقـم
مـــا الـفـخــر للكون إلا بالحـيلة ومــا ... من بضعة هى أحيا منك فى الأدَم(١)
لما رأت بك عــمــيــاءُ الحـيــاة جلت ... مـــاليس يجلوه نور الصـبـح من ظلم
(حـتى الخرافات تزجيـهـا فنحـسـبـهـا ... من خلقة اللّه لا من خلقة الوهم)(٢)
نكاد إن لـم يجـــدها الطرف مــاثلة ... فى الأرض نقـدح فـيـه قـدح مـتـهـم
تقـاربت عندك الأقـدار والتــهــمت ... حـــيـــاتُك الخلق طرًا كل ملتــــهـم
فــمـــا احـــتـفلت بأمـــر هائلى جلل ... صـــــعـب المرام ولا أزريت باللـمم(٣)
(مثل الطبيعة تذكى الشمس ساطعةً ... فى عُلْو ، إذكـاءها للنار فى السلم)(٤)
كم ترجم الناس عن فحوى حقائقها ... أنت تنقلهـــا نصًّـــا إلى الفـــهـم

* * *

أبا الـقـــــريض ألا بوركت من رجل ... إن الرجـــولة فى الأقـــوال والـهـــمـم
لقـد خـدعت خـداعًـا لن يضل به ... إلا الذكى الفـــؤاد الصـــادق الحكم
وقـــد خلدتَ ولكن مـــثلمـــا خلدت ... تلك الشـخـوص التى أنشـأتَ بالقلم
هذا قـصاراك فى الدنيا وأحـسـبـهـا ... تلهـــو بنا ، بيـــد هوجـــاء ، لا بفم
مـالت على القـوس ترمـينًا على غـرر ... مـــن الـظـلام ، بـلا وَرى ولا نـغــم
يا ليـــتـهـــا كلمـــتنا وَهى رامـــيـــة ... أو غلّهـــا شـلل أحـــرى بذا البـكم

---

(١) الأدم : جمع أديم وهو الجلد .
(٢) الوهم : هذا المعنى لها زليت الناقد الإنجليزى .
(٣) اللمم : الصغائر .
(٤) هذا المعنى مقتبس من أمرسون .

مـجـاورَ الموت هل ألقـيت فى يده ... بقـيـة منك لم تُقـرأ ولم تُشم ؟(1)

ألقيت فى الأرض جمرًا لا ذكاء له ... فـأين أفلت ذاكى ذلك الضـرم ؟

أمنت قـرب ثراها واتقـيـت يدًا ... تمس منك بقـايا الأين والسـقم

والأرض أمك والإنسـان بعـدُ أخ ... وقـد يمد شـقـيق كف منتـقم

لقـد لحـقت وكم فى ذاك من عـجب ... بزمـرة الصـخـر ، فـانزلْ ثم فى حـرم

مـا أبلغ الموت فى صـمت رمـاك به ... يا أبلغ الناس فى صـمت وفى كلم

* * *

ذكرى سيد درويش(*)

فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكـروا اليـوم سـيّـدا ... واحـفظوا الذكـر سـرمـدا

وتـغـنـوا بـحـمـد مـن ... قـد تـغـى فـاسـعـدا

مـن يـكـن ذاك أمـسـه ... يـبـتـدئ مـجـده غـدا

* * *

كـان لـلصـوت مـالـكا ... كـيف لا يملك الصـدى ؟

قـد حـوى الـسـمع شـاديًا ... وسـيـحـوبه مُـخْلَدا

أخـلـد الـنـاس مـن إذا ... قـيل تاريخُـه شـدا

عـاش لـلـفـن ، والـفـنـو ... ن مـصـابيح لـلـهـدى

مطلع النور ، تـبـعـهـا ، ... جـاوز الشـمس مـصـعـدا

من يعش فى السـمـاء هيـهـ ... ـات لا يـعـرف الـردى

* * *

جـددوا اليـوم ذكـر من ... قـد تـغنّى فـجـددا

الـذى صـوّر الحـيـا ... ة هـتـافًـا مـرددا

علّم الـنـاس كـيف يعنـو ... ن بالـلحن مَـقـصِـدا

مـا ابتـغـوا قـبله المعـا ... نىَ فى القـول مـسندا

وانثنـوا يَعـجـبـون للطـ ... ـيـر لما تـغـردا

---

(1) تشم : شام البرق نظر إليه أين يذهب وأين يمطر .

(*) ذكرى سيد درويش : عابر سبيل .

ولهـــــمس النســـــيم فى الـ ـــغـــــــــــــصـن لما تـأوّدا
والـــــدراريّ والـــــســــنـــا والأزاهـيـــــــــــــــر والـنـدى
ســـمـــعـــوا كل مـــا انطوى مـن ســــــرار ومــــــا بـدا
ســـمـــعـــوا الكون بيّنا والمقـــــــادير شـــــهّـــــدا
فُـــــتح البـــــاب كله بعـــد أن كـــان مـــوصـــدا
ربما جـــــاز فـــــاتح فى المدى مـــا تعـــمـــدا

* * *

إنما الفن فى الشـــعـــو ب شـــبـــابٌ له الفـــــذى
فـــيض مـــا زاد من شـــعـــو ر ومـــا هام مـــبـــعـــدا
ســـورة فى عـــروقـــهـــا يتـــقى بأســـهـــا العـــدَى
لا أنـــينٌ ولا طـــنـــينٌ ولا ضـــجـــة ســـدى
أو نـديم لـشـــــــــارب بـالـطـلا قـــــد تـزودا
أو بكاء كـــمـــا بكى ســـائل يطلب الجـــدى
رحم اللّه ســـيـــدا كـــان للفن ســـؤددا
ليت أحـــيـــاءنا الأولى ســـبـــقـــوا الموت مـــوعـــدا
لحـــقـــوا – وهو فى الثـــرى منـــه روحـــــا تمـردا
وارتـأوا مـــــثـل رأيـه واقـــتـــدوا مـــثلمـــا اقـــتـــدى
أكـــبـــر الظن أنه جـــاور البـــحـــر فـــاهتـــدى(١)
مـــفلحٌ من يكون أســـتـــا ذه البـــحـــر مـــزبـدا
إنما اللحن ترجـــمـــا ن عن النفس مـــا عـــدا
مـــبـــدع وهو ناقل كلمـــا قـــال أوجـــدا
واصـــف لـــن تـــرى لـــه عـــاذلا أو مـــفـــنـدا
هكذا كـــان ســـيـــد صـــادق الوصف مـــرشـــدا
مـــا ســـمـــعنا لشـــعـــب مـــصـ ـــر على مـــا تعـــددا
واصـــفـًا كـــان مـــثـله مـــســـتـــجـــابا مـــؤكـــدا
كـــل رهـــط أعـــــــاره لحنه أسلم اليـــــــدا

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير فى ثغر الإسكندرية .

وحــــبــــــاه بـســــره نــاطـق الــوسـم مــنــشـــــــدا
لـيـس مــن عـــــــامـل ولا عــــــاطـل راح أو غـــــــدا
أو ســــــــرىٍّ مـــــــجـلـل أ وفـــــقـــــيــــر تجــردا
أو قــــوى مــــزمـــجــــر أو ضـــعـــيـف تـنـهــــدا
أو دعــــــــاء دعـــــــاه إلا عــــرفـنـاه جــــيـــــدا
هـكـذا يـســــمـع الخلـيـــــقــ ــة من يـســــمـع الـصـــــدى

* * *

إنمـــا الـــلـحـــن مــنـطـق وحـــــدّ الـكـون إذ حـــــدا
فــيــــه ، لا فى الـلـغـــان ، يبــ ــدو نـظـيــــمـــا منـضَّــــدا
اســمـــعــوا منه فى الضــمـــا ئـر وحـــــيًّـــا مــــؤيـدا
حـــيـــثـمــــا يقـصــر الكلا م ويمـشى مــــقــــيـــــدا
وارفـــعـــوا الـفـن واحـــذروا مـــهــــبـطـا منـه أو هـدا
واجــــــعـلـوا مـن تـراث درو يش لـلـفـن مــعـــبـــــدا
إنـه مـــــهـــــد الخـطـى فــــابـلـغـــــوا أنـتـم المـدى
رحـم الـلّـه ســـــيـــــدا كـــــان فـى الـفـن ســــيـــــدا

* * *

تكريم عامرٍ (*)

بـلـدة الـشــــمـس والجـــبــــال كـــيـف لا تـنـجـب الـرجــــال ؟
أنجــــبـت مــــثـل عـــــامــــر وهـو فـى الـهـــمـــــة المثـــال
الـذى فـى جـــــهــــاده ســـبـق الـقـــولَ بـالـفـــعـــال
والـذى كــــــان أول الـصــ ـف فى حـــومـــة الـنـضـــال
عـنـد مـــــا نـودى «الـدفــــا ع» بـدا فـــــارسَ الجـــــال
وتـلا مـن تـلا وصـــــــا ل بـنـو الـنـيـل حـــيـث صـــال
أشــــــــجـع الـنـاس بـاذل هـــزم الـــشـــح والمــطـــال
كـــرم الـنـفـس كـــالـشـــجــا عـــة من أنـدر الخـصـــــال

(*) تكريم عامر : عابر سبيل - أنشدت فى احتفال أقيم لتكريم السرى الأسوانى الكبير إبراهيم عامر «باشا» .

. . . .

كـرمـوا الـذروة الـتى — رفـعت هامـة الـهـلال
رفـعت أرؤسًـا وطـا — لت مع المجـد حيث طال
واحـمدوا فى احـتفالكم — أجـدر الناس باحـتفال
الـعـصامى فى الغنى — والـعظامى فى الخـلال
والـذى جـدّ وحـده — فـشـأى عـصـبة الرجـال
والـذى كـل درهـم — فى تجـاراتـه حـلال
زانـه الـلّـه بـالأمـا — نة والـصـدق فى المقـال
والمضـاء الـذى يجـدّ — ولا يـعـرف الـكـلال
والـنـظـام الـسـوىّ فـى — غـيـر ضـيق ولا اخـتلال
يـتـبع المال صـاغـرًا — مـن لـه الـعـزم رأسُ مـال

* * *

لـقـب حـازه وكـم — حـاز مـن قـبلـه ونـال
لـم يـزد فـضـلـه بـه — فـهـو ذو الفـضـل لا جـدال

* * *

كـرّمـوه تـكـرّموا — خـيـر دار ، وخـيـر آل
إن أسـوان مـا خـلـت — قط من مـعـدن الكـمال
صـخـرها جـوهر الخلو — د وأنموذج الجـمـال
وبـنـوهـا ، وأنـتُـم — مـن بنيـهـا – بخـيـر حـال
لـكـم المجـد لا يـزا — ل مـن الأعـصـر الخـوال
إنما المجـد بـالـعـلا — لا جنـوب ولا شـمـال

* * *

يـا صـديقى ويـا ابن قـو — مى ، وجـارى على اتصـال
أقـرب الـقـرب بيـنـنا — شـيـمـة فـيـك لا تنـال
شـيـمـة النبل فى اسـتـقـا — مـة طبع وفى اعـتـدال
شـيـمـة الـعـزة التى — لا يغـالى بهـا اخـتـيـال
إنهـا جـيـرة لـهـا — أبعـد الـنـاس مـسـتـمـال
لا تـزال غـانما بـهـا — هـانـئًـا فـى هـدوء بـال
وحـواليـك دولـة — مـن مـحـبـيـك لا تـدال
تـتـلـقـاك نـعـمـة — أبـد الـدهـر فـى اقـتـبـال

ثناء على ماهر (*)

ثناء الكرام على ماهر[1] ... ثناءٌ على الرجل القادر
على رجلٍ زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسيرٍ بأعماله ... فيقبل فى جحفل زاخر
ومن كلِّ أيامه صالحا ... تٌ لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائحه الصادقا ... ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه فى ثنايا غدٍ ... كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه فى مواعيدهٍ ... كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه ... تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمن للعدى ... وإِخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو ... ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب ... فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكى يومكم ... وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا ... بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا ... مدى الحمد من وطنٍ قادر

* * *

(*) ثناء على ماهر : أعاصير مغرب .
(1) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر (يوليو ١٩٣٩) .

الغزالى والخيام(*)(١)

نكرِّمه ، نكرِّمه … وما نرويه نعلمه
ولم ننشئْ له فضلا … ولكنّا نترجمه
ومن ذا مثل إبرا … هيم ذو فضل نعظِّمه
وذو سمت نوقِّره … وذو رأي نقوِّمه
فتى ترضى سجاياه … ويصدق قلبَه فمه
تساوت عند مطريه … مزاياه وأنعمه
وحب الخير فى دمه … فكيف يخونه دمه ؟
له مجدٌ يؤثِّله … بمسعاه ويدعمه
فقد يغنيه أحدثه … وقد يغنيه أقدمه
ولكن ، ليس يستغنى … بحظٍ لا يتممه
تكنى بالغزالى(٢) … فلم يتعب منجمه
ولو مال إلى الخيّا … م لاقاه مخيِّمه
أديبٌ ينشر التبيا … ن آيات وينظمه
عماد الجمع منبره … وزين الطِّرس مرقمه(٣)
وللفنان فى ناد … يه مغناه ومغنمه
علت فى السعد أنجمه … وفى العلياء أسهمه

* * *

تعالى اللّه هاديه … إلى النعمى وملهمه
ونعم الفضل فضل اللـ … ـه بالقسطاس يقسمه

* * *

(*) الغزالى والخيام : بعد الأعاصير .
(١) ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بتكريم الأديب السياسى الأستاذ إبراهيم الدسوقى أباظة .
(٢) نسبة إلى غزالة اسم بلدته .
(٣) المرقم : القلم .

فى محراب المطران(*)(١)

يومٌ تـألّق واســـتـــضـــاء ... يـــوم تـــعـــطّـــر بـــالـــثـــنـــاء
يوم أطـلّ عـلـى الحـــمـــى ... والفـــضـل مـــرفـــوع اللواء
هـذا وفـــــاء العـــــارفـ ... ـين لشـــاعـــر عـــرف الوفـــاء

* * *

«مطران» مـــحـــراب القـــر ... يض ، خليلٌ ناديه الحـــمـــيم
قـــدسٌ يـزيـن وقـــاره ... أنـــس يـــهـــش لـــه الـــنـــديم
خلقـــان لـم يتـــجـــمـــعـــا ... إلا لـذى فـــضـل عـــمـــيم

* * *

مـــاذا أعـــدّد من ســـجـــا ... يـاك الحـــســـان ، وهنّ شـــتـى
أدبـا وعـــــرفـــــانـا وآ ... لاءً مـــحـــبّـــبـــة وســـمـــتـــا
وإِذا أطـلـتُ فـــغـــايـة الإ ... طـراء أنـك أنـت أنـتـــــا

* * *

نـاداك أبـنـاء الـعـــــرو ... بة باسم شـــاعـــرها المجـــيـــد
فـــألٌ تُـجـــــدده الـطـوا ... لـع كـل يوم فـى ســـعـــود
الآن فـــاهـنـأ بـالعـــرو ... بة وهى «جـــامـــعـــة» تســـود

* * *

أنطقت بالعـــربيـــة الفـــصـ ... ـحى أعـــاجم شكـــســـبـــيـــر
ونـقـلتـــهـم نـقـل الأمـــا ... نة فى الكبـــيـــر وفى الصـــغـــيـــر
بـدّلت فى لغـــة اللســـا ... ن ولم تبـــدّل فى الضـــمـــيـــر

* * *

ودعـمت للـتـمـثـيل كـعـبـ ... ـتـــه فـــعـــاودها المزار
صـــفـــرت فـــحين حللتَـــهـــا ... حـــفـلت بحج واعـــتـــمـــار
لقـنتـــهـــم فـــتـلـقـنوا ... مـنك التـــلاوة والحـــوار

(*) فى محراب المطران : بعد الأعاصير .

(٢) فى تكريم الشاعر الكبير خليل مطران .

وجمعت فحوى «الاقتصا	د كما تنزّل فى كتاب
قلمٌ يعلّم علمه	ويدٌ تجود بلا حساب
فى العُرف والعرفان سا	ئلك المؤمّل مستجاب

* * *

ذمّ اليراع قضيتها	فى كل ميدان دعاك
ليس النظيم أو النثير	قصار ما استرعى هواك
إن «الجوائب» و«الجـ	ـلة» فى الصحافة شاهداك

* * *

لما سبقت إلى الجد	يد سبقت منه إلى كمال
أتعبتَ خلفك من عدا	فى العدوتين على ضلال
لم يدركوك وإن جروا	من بعد شوطك فى المجال

* * *

حررتَ أوازن القصيـ	ـد فزاد فى الميزان وزنا
وتوسّعتْ فيه البحو	ر فأرسلت دُررًا ومُزنا(1)
هذى الثلاثيات حقـ	ـك من لدنك ومن لدنا

* * *

وأقمتَ فى ديوانك العا	لى أميرًا لا تُجارى
أولى الربوع بشاعر	آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغى سكنًا سوا	ها حيث حلّ ولا مدارا

* * *

واللّه لو وفّوك بالتـ	ـجديد حقك من ثواب
لم تُوف عهد كهولة	إلا رددت إلى الشباب
متجدد الريعان فى	ظل الخلود المستطاب

* * *

لكنّ حقك فى الشبيـ	ـبة شائعٌ بين القلوب
يدعو بشعرك من شدا	أو عنك فى النجوى ينوب
هبةٌ قضوك ديونها	والحر سدّاد وهوب

---

(1) المزن السحب . وهذه القصيدة المنظومة «ثلاث ثلاث» حق للشاعر الذى سبق إلى هذا النوع من التجديد فى القوافى وتقسيم المقطوعات .

أنعم بمحفلك الذى وسع العروبة فى مكان
كرمتْ بإكرام النُّهى وعلت بإعلاء البيان
هى ترجمت بك عن فضا ئلها ، فنعم الترجمان

* * *

عيشا معًا متعاهد ين وأبلغا العهد التمام
منها لك الآذانُ صا غية ، ومنك لها الكلام
متقابلين على الرضى متلازمين على الدوام

* * *

كوكب الشرق(*)(١)

هلّل الشرق بالدعاء كوكب الشرق فى السماء!
عاد فى حلة الضيا ء ، وفى هالة البهاء
لم يَغب هاجرًا ولـ ـكنْ كما غرّبت ذُكاء
لا تخافوا على مطا لعه سطوة المساء
واهبُ النور لا يدا ريه عن نوره عشاء
كوكب الشرق فى أما ن من الليل لامراء

* * *

يا عروس السماع لبا ك من يسمع الدعاء
وشفى أنفسًا لعينيـ ـك تسترخص الفداء
انظرى فى وجوههم تعرفى نضرة الوفاء
كلهم ود لو يُغنى من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشـ ـدو غلبناك بالغناء !

(*) كوكب الشرق : بعد الأعاصير .

(١) تحية لمطربة الشرق الآنسة «أم كلثوم» لمناسبة شفائها وعودتها من الأقطار الأوروبية .

أم كلثـــــوم يا بشـــــيـ ـــرًا من اللّه بالرجـــــــاء
أنت من وحـــيـــــه ، وللـ ـــه فى الفن أنبــــيـــــاء
ذلك الصــوت - صـــوتك الـ ـعـــذب - من عـــرشــــه نداء
فــــيـــــه ســـرٌّ من جنة الـ ـخلد لكنه ضـــيـــــاء
فــيــــه مـــا يرفع الحجـــا ب ومـــــا يكشف الغطاء
فــــيـــــه أنس لمن يشـــا ء وسـلـوى لمن يشـــــاء
فــيـــــه للمـــرتجى ســـلا م وللمـــشــــتكى عـــزاء
فــيـــــه حـــرز من الهـمــو م وعـــونٌ على القـــضـــاء
أى نــــفـــس إذا تـــــر نمت لا نهـــزم الشـــقـــاء ؟
إنــــه قــــــــــوةٌ إذا عـــــز من قــــوة نجـــــاء
إنـــه مـــن غـــنــــى إذا حُـــسب الصــوت من غناء
إنـــه ثـروة لمـصـــــــر ومــــا أجـــزل الثـــراء
مـــهـــرجـــان لعـــيـــدها حـــيـــشـمــــا رفـرف اللواء
وعـلـى الجـــــرح إن شكت بلسم ناجع الشـــفـــاء

* * *

أيـهـــــا الكوكب الذى أســـعـــد الأرض باللقـــاء
ر َددى الطرف فى الفـــضـــا ء ، ومـــا أرحب الفــضـــاء
واســــألـيــــه ســــؤال من يلحن الطيـــــر فى الهـــــواء
هلى ســرى فــيـــه مـثل صــو تك فى الحـــسن والنّقـــاء
فى قـــديم من الزمـــان أعـ ـنى وفى حـــاضـــر ســـواء
لا أحـــــاشى من الرجـــا ل قـــبـــيـــلا ولا النســـاء
لا تجــيــــبى . أنا المجــيـ ـب ، ولـم أغـلُ فى الثـنـاء
أنت كـــالشـــمس لا تُعـــدّ د فى هذه الســـمـــاء

موسيقى خالد(*)(١)

أبناء مصر تذكروا ، وتذكروا .. ما مصر خالدةٌ لمن لا يذكر
وإذا جرى ذكر الفنون فميزوا بالحمد فنا بالجمال يُبشّر
ذهب الزمانُ زمانُ من لم ينعتوا بالمجد إلا من يصول ويقهر
إن الذى يُعطى النفوس عزاءها لأحقُّ بالذكر الجميل وأجدر
ليس الغناء صدًى ، ولا أنغامه خفقات أصوات ، تمر وتعبر
إن المغنّى – إن علا استقلالكم – بين البناة مؤسسٌ ومعمّر

* * *

للّه «سيد» الذى غنّى لكُم زمنًا ، فقال العارفون «مصوّر»
وصف ابن مصرَ فليس يدرى سامعٌ أصغى إليه : أسامعٌ أم مبصر
إن تسمع الحوذىَّ منه رأيته عجلا ، فتُيْمن فى الطريق وتيسر
أو تسمع النوتى منه حسبته فى النِّيل يُقبل بالشراع ويُدبر
أو تسمع الريفىّ منه لمحته فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسمع الجندىّ منه نظرته وعلى أسرّته الشعار الأخضر
وإذا «المسارح» راجعت أيامها لاذت بفرد منه لا يتكرر

* * *

قالوا تفرنج بالغناء وإنما هو مؤثر فى الفن لا متأثر
عرف الأغانى واللحون كما جرت فى عُرف من نطقوا بهنّ فعبروا
أم إذا غنَّت فليس غناؤها لغو المجانة ، بل معان تؤثِّر

* * *

قل «سيدًا» فإذا ذهبْت مترجمًا علموا هنالك أنه «المايسترو[٢]»
هى من مصادفه الحروف وربما سبقَ الحروفَ بها دليلٌ مضمر
سمةٌ على كل اللغات سميُّها للسبق فى الفن الجميل ميسّر

* * *

يا نخبةً قدروا الجميل لأهله دوموا على عهد الوفاء وقدّروا

. . . .

(*) موسيقى خالد : بعد الأعاصير .

(١) نظمت هذه القصيدة لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الموسيقى المجدد الشيخ سيد درويش .

(٢) المايسترو : الإيطالية «ترجمة سيد أو أستاذ» .

تـــأبيـن

ذكرى الشهيد(*)

(رثاء محمد فريد)

. . . .

دنيا نزاولها ونحن كأننا ... من غير طينتها نصاغ ونخلق

محجوبة المرمى ، فما لشرورها ... تعتاد حاسره الوجوه وتبثق

تمشى على الأبدىّ من أشواكها ... ونتاجها الأبدى عنا مغلق

وكأنما الدنيا سرابٌ سرمد ... لا يُرتوى منه ، ولكن يُغرق

سلواك فيها حين يخفق عامل ... ترجوه ، أن صداه قد لا يخفق

* * *

أفريدُ لا يلمم بسيرتك الردى ... أبدًا ولا يبرح سلاحك يُمشق

ما كان ذاك العمر إلاّ وقعة ... الدهرُ حومة حربها لا الخندق

والناصرون الحقّ جيش واحد ... متجمعٌ فى مدّه متفرق

الأنبياء الصالحون جنوده ... والحق بيرقه ونعم البيرق

لا ييئسنك أن قضيت فإنه ... جيش بموت غزاته لا يُمحق

ما زال مطّردا فقِبلك فيلق ... شراعوا لهاذمه(1) وبعدك فيلق

خير الجوانب أن تكون بجانب ... أضداده أسرى وإن لم يوثقوا

. . . .

* * *

(*) ذكرى الشهيد «رثاء محمد فريد» الجزء الثالث . ٢٢٨ (٣٤ فقرة ١٥٣) .

(١) اللهاذم : السيوف القاطعة .

ذكرى الأربعين (*) (١)

الأربعون

أمضيت بعد الرئيس الأربعون؟   عجبًا كيف إذن تمضى السنون
فترة «التيه» تغشّت أمة   غاب موساها على «طور سينين»
كل يوم ينقضى نفقده   وهو ملء الصدر من كل حزين
تكبر البلوى به حين مضت   والبلايا حينما تمضى تهون
كيف ينسى الناس من لم ينسهم   يوم تُنسى النفس والذخر الثمين
لم يزالوا كلما قيل لهم   ذهب الموت به ، يلتفتون

. . . .

خرج المدفع يطوى مدفعًا   الأساطيل اتّقته والحصون
ساكنًا بين يديهم بعد ما   زلزل الشرق على المغتصبين
حوله من عسكر أو عزّل   جيش أجناد له متبعون

. . . .

ليس يبكى خطب سعد يائسٌ   أين من سعد ضعافٌ يائسون ؟
إنما يخلق أن يبكيه   من أصابوا منه عزمًا لا يلين
لم يصب منه نصيبًا من هوى   خائنَ العزم ، فما كان يخون
أىْ نذيرَ الحق من وادى الردى   قم فأنذرهم عساهم يعلمون

. . . .

ألق للتاريخ ما يكتبه   أنت لا يلقى عليك الكاتبون
صفحة سطرتها أنت فما   فى ثناياها سطور يمّحين

(*) ذكرى الأربعين : الجزء الرابع .
(١) نظمت هذه القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم العظيم سعد زغلول .

قل لـه ، والـدهـر يحنـى رأســــه والطوايا شـــاهدات والعـــيــــون
أنا مــصــــر ، وهى فى ســؤددها أنا مـصـر ، وهى فى الأسـر سـجين
أنا نجّــيت لمصـــر نفـــســهـــا ضـــيّــعــتــهـــا بين كـفـران ودين
أنا ألـقـــيت على عًـــاتقـــهـــا حـــملهـــا المطروح بين الآخــرين
فــاســألوا عن صِيـدها أو غـيـدها وعن القـــبط بـهـــا والمسلمين
وعن الموســـر والـعـــافى بهـــا وعن الآباء فـــيــهـــا والبنين
واســـألوا عن عـــالم أو جـــاهل وأصــيل من بنيــهـــا أو هجين
تجـدوا مـصـرًا ولا تستـمـعـوا غــيــر مــصـــر فى دعــاء وحنين
جُـــمّـــعت فىّ نفــوس فــوقت فى النبـيين الهــداة المصلحين

. . . .

يوم منفـــاك وهل كـــان ســوى يوم بعث لبنيــهـــا أجــمـعين
ضُــربت مــصـــر فكانت ضــربة ذادت الـنـوم وطـاحـت بـالسـكـون
أيهـــا الغـــادرون بالقـــيـــد لهـــا قـــيــدوا الآن ! ألســتم قـــادرين ؟
الـرحـى دارت عـلـى أقطـابهـــا واسـتـوى الطاحن فـيـهـا والطحين
بأسكم مـــا عـــهـــدت أحـــرارها من قـديم ، وهى مـا لا تعـهـدون

. . . .

إن بكت مـصــر عليـه شـجـوها إننى بالشـجـو وحـدى لقـمين
رزئتـــــه الـنـفـس واللب ومـــــا يشـتـهى الراوى ويبـغي الدارسـون
لـــم يـــكـــن بـــالأب إلا أنـــه كـــــان نـعـم الأب فـى رفق ولـين
كم ســـعى ســـاع إليـــه ووشى ومـــقـــامى عنده العـــالى المصـون
يا هدى الأمـــة يا نعم الهـــدى يا خـدين الصـحب يا نعم الخدين
أنا جـبـــارك[1] لا تعـــهـــدنى ذلك الجـبـــار فى الدمع السـخين
لست أنسى فى «وصـيف» سـامـرًا لك كـالطيــر أظلتــهـــا الوكـون
إذا تُلاقـــينا على مـــهـــد الرضى والأحـــاديث مع الليل شـــجـــون
نحـــقـــر الداء وترعى أمـــرنا إن غـفـونا أو غـدونا مـصـبـحين

. . . .

(١) كان رحمه الله يلقب صاحب الديوان بالجبار .

يوم ودعـــــتك ودعت أمـــــرأ ... يملؤ الدنيــــا ويقــــضى ويدين
وأحـــيـــيك لألقـــاك غـــدًا ... حـــجـــرًا يعلوه نوار الغـــصـــون !
عـــجـبًـــا لا ينقـضى من عـجب ... وفـــتـــونا ليس يبلى من فـــتـــون
أهو ســـعـــد ذلك الشـــاوى هنا ... أهو ســـعـــد ذلك القـــبـــر السـدين ؟
عـــجــــبت بادرتى ثم وعت ... فـــيــــه رمـــز الموت أعلى الرامـــزين
هو صـــخـــر ورياحين مـــعـــا ... بين عـــزم وخـــلال يســـتـــبين
فـــاعـــرفـــوا فى قـــبـــره تمثـــاله ... وأخفضوا الصوت ، وحيوا خاشعين

* * *

فـاز سـعـد(*)

عـــرف النـفى حـــيـــاة ومماتا ... وأصـــاب النصـــر روحـــا ورفـــاتا
كـلمــــا أقـــصـــوه عن دار له ... رده الشـــعب إليــهـــا واســـتـــمـــاتا
كـــيف يجـــزيه افـــتـــيـــاتا وهو من ... كـان لا يرضى على الشعب افـتـيـاتا
أصـــبـــحت دارك مـــثـــواك فـــلا ... تخش بعـد اليـوم يا ســعـد شـتـاتا
حـــبـــذا الخلد ثـمـــارًا للذى ... غـــرس المجـــد ونماه نبـــاتا

. . . .

* * *

جـــيـــرة الأحـــيـــاء أولى بالذى ... بعث الدنيـا حـيـاة أن تبـيـد
مـــعـــشـــر الأحـــيـــاء أنتم لكم ... مـــدد من ذلك الميت مـــديد
مـــســـتـــعـــيـــدين رجـــاءً كلمـــا ... جـــزتموه ، وهو منكم مـــســـتـــعـــيـد
إنـه فـى كـل جـــيـل ذاكـــر ... من بنيـــه ، أبد الدهر وليـــد
تلك يا ســـعـــد مـــغـــانيك فـــمـــا ... فى ســواها يسكن اللحـد شـهـيـد

* * *

(*) فاز سعد : عابر سبيل . نشرت يوم نقل رفاته من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجواره داره .

اعـــبــــر القـــاهرة اليـــوم كـــمـــا ... كنت تلقـــاها جـــمـــوعًـــا ونظامًـــا
ســـاعـــة فـى أرضـــهـــا عـــابرة ... بـين آبـاد طـوال تـتـــــــــرامـى
ســـاعـــة من عـــالـم الفـــردوس لا ... تشـبـه السـاعـات بدءًا وخـتـامـا
كل من شـــــاهدها زيد بـهـــــا ... من مـــعـــــانيك جـــلالا ودوامـــا
قـل لـهـم أبـلـغ مـــــا قـلت لـهـم ... أيهـــا الواعظ صـمـــتـا وكـلامـا

***

جـــردوا الأســـيـــاف من أغــمـــادها ... ذاك يوم النـصـــر لا يوم الحـــداد
ارفـــعـــوا الرايات فى آفـــاقـــهـــا ... أين يوم الموت من يوم المعـــاد ؟
لا يُـلاَقـى الخـلـد بـالحـــــزن ولا ... يكتـــسى الفـتح بجلبـاب السـواد
ذاك يـوم مـــــا تمناه العـــــدى ... بـــل تمـــنـــاه ولاء ووداد
فـانفـضـوا الحـزن بعـيـدًا واهتـفـوا : ... فـــاز ســـعـــد وهو فى القـــبـــر رمـــاد

تمـــثـــال ســـعـــد (*)

الـروح فـى وادى الـكـنـانـة حـــائـم ... وجـلال شـخـصـك فى النواظر قـائم
مـــا غـــاب منك مـــثـــال عـــارض ... يمضى ، ويخلفـــه المثـــال الدائم

. . . .

تمثـــال ســـعـــد فى الجـزيرة ســـاهرًا ... هيـــهـــات يغلف منك لحظ صـــارم
النيل حـولك لا يغـيـب هنيـهـةً ... عن ناظريك ، وأنت عنه صـــائم
شـأنٌ لربك فى الحـيـاة حكيـتـه ... فـــالظل للغـــصن الوريف مـــوائم
كم صـام سـعـد عن مناهل حـوضـه ... ويعبٌ مـغـتـصب وينهل غـاشم
كم بـات يرعـــــاه ، وليس بمرتع ... من خـيـره مـا يرتعـيـه الحـاكم
كم غـاب عنه ولم يغب عن همـه ... والبـحـر دون طريقـه مـتـلاطم

***

(*) تمثال سعد : أعاصير مغرب .

بك زادت الأهرام ركنا والتقت … منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها … فى الجيزة الفيحاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا … يعيى بنقض بنائهم الهادم

. . . .

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولة … يروى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومئ فأين من … إيمائها الصوت القوى الناغم ؟
عجبى لشىء فيه منك ملامح … أن ليس يُسمع منه قولٌ حاسم !
عجبى لشىء فيه منك ملامح … أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة … والصخر بأسا يتقيه الصادم
وتشابهت ثم الأسارير التى … قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التى … ضاق الصنّاع بها وعىّ الراسم
أن لم تصورها اليدان فربما … خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدّثنا فكلّ محدّث … من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظٌ فدون الوحى من … معناك - كلّ اللافظين أعاجم

تحية زعيم راحل(*) (١)

أكبرت فى غيب الزعيم محمد … من كان يكبر حاضرًا فى المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم … يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص مجادة … للسيد بن السيد بن السيد

. . . .

* * *

عزّ الكنانة فيه فهى فجيعة … تبلو الكنانة فى الضمير وفى اليد
ما فى مروءات الشعوب مروءة … إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه … بين المحافل دون ما لم يشهد

(*) تحية زعيم راحل : أعاصير مغرب .
(١) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

ومعاهد التعليم بين مشجع ... للعاملين بها، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف، وإن تشأ ... سردًا، فعدد ما بدا لك، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية ... للمهتدين، وقدوة للمقتدى
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على ... مستغلق فيها، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها ... كالشاهق الخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادى، ولم يك رابحا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عزّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُتْهم قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بين مشرّد ومبدد

. . . .

* * *

سمحٌ على ما فيه من عصبية ... سهل، وإن أعيى قومى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد، ولو نماه معشر ... للأزهر المعمور لم تستعبد
فيه محافظة، وفيه طرافة ... وأراه فى الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابرًا عن كابر ... والأريحية منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما ... سقياه من أصليه أعذب مورد
فإذا بكت مصر فغير ملومة ... وإذا الحجاز بكى، فغير مفند

* * *

آه من التراب (*)(1)

أين فى المحــفل «مىّ» يا صــحــاب ؟ عــــوّدتنا ها هنا فــــصل الخطاب
عــرشُــهــا المنبــر مــرفــوعُ الجناب مسـتـجـيبٌ حين يدعى مسـتجـاب

أين فى المحفل «مىّ» يا صحاب ؟

* * *

ســـائلوا النخـــبـــة من رهط الندىّ أيـن مى ؟ هل علمـــــتم أين مـى؟
الحـــديث الحلو واللحن الشـــجى والجـــبين الحـــرّ والـوجـــه السنى

أين ولى كوكباه؟ أين غاب ؟

* * *

أسـف الـفـن عـلـى تـلـك الـفـنـون حـصـدتهـا ، وهى خـضـراءُ ، السنون
كلّ مـــا ضـــمـــتـــه منهن المنون غـــصـصٌ مـــا هان منهـــا لا يهـــون

وجراحات ، وبأس ، وعذاب

* * *

شـــيمٌ غـــرٌ رضـــيّـــات عـــذاب وحـــجى ينفـــذ بالرأى الصـــواب
وذكـــاءٌ ألمعىّ كـــالشـــهـــاب وجـــمـــال قـــدسىٌّ لا يعـــاب

كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

(*) آه من التراب : أعاصير مغرب .

(1) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

كل هذا خـــالدٌ فى صـــفـــحـــات عطرات فى رباها مـــثـــمـــرات
إن ذوت فى الـروض أوراق الـنـبـــات رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهرات

وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حـسن تشـتـهـيه مـتـعـة الألـبـاب والأرواح فـيـه
سـائغ مُـيّـز من كل شـبـيـه لم يزل يحـسـبـه من يجـتـنيه

مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقـــاليم التى تنمـــيـــه شـــتـى كل نبت يانع ينجب نبـــتـــا
من لغـات طوّفت فى الأرض حـتـى لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا

وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يا لـذاك الـلـب من ثروة خـــصـب نيّـــر يقـــبس من حس وقلب
بين مـرعى من ذوى الألـبـاب رحب وغنى فـيـه وجـود مـسـتـحَب

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

* * *

طلعـه الـناضـر من شـعـر ونثـر كـرحـيق النحل فى مطلع فـجـر
قـابل النورَ على شـاطئ نهـر فله فى العين سـحـر أى سـحـر

وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حىّ «مــيّــا» إن من شــيع مــيــا　　　منصــفًــا حــيّــا اللســان العــربيــا
وجــزى حــواء حــقــا ســرمــديا　　　وجــزى مــيّــا جــزاء أريحــيــا

للذى أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذى أسـدت إلى الفصحى احتسابًا　　　والذى صــاغــتــه طبــعــاً واكــتــســابا
والذى خــالتــه فى الدنيــا ســرابا　　　والذى لاقت مــصــابا فــمــصــابا

من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعـــد فـــقـــد الأبوين　　　سلمت فى الدهر من شــجــو وبين
وأسى يظلمــهــا ظلم الحــسين　　　ينطوى فى الصمت عن سمع وعين

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراها بعـــد صـــمــت وإباء　　　سلمت من حــســد أو من غــبــاء
ووداد كلٌ مـــا فـــيـــه رياء　　　وعـــداء كل مـــا فـــيـــه افــتــراء

وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحـــمـــة الله على «ميّ» خــصــالا　　　رحـــمـــة الله على «ميّ» فــعــالا
رحـــمـــة الله على «ميّ» جــمــالا　　　رحـــمـــة الله على «ميّ» ســجــالا

كلما سُجل فى الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعة ما زلت أراها غضةً تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءت فى سناها وفروع تتهادى فى دجاها

ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

* * *

غاب والزهرة تؤتى الثمرات ثمرات من تجاريب الحياة
خير ما يؤتى حصاد السنوات بعثرتهن الرياح العاصفات

ورمتهن ترابًا فى خراب

* * *

ردّ ما عندك يا هذا التراب كل لب عبقرى أو شباب
فى طواياك اغتصاب وانتهاب خُلقا للشمس أو شم القباب

خلقا لا لانزواء واحتجاب

* * *

ويك ! ما أنت برادّ ما لديك أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد «ميّ» غير موكول إليك مجد «ميّ» خالص من قبضتيك

ولها من فضلها ألف ثواب

عبد القادر(*)

جلّ المصاب بفقد عبد القادر(١) ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق فى تاريخه ، الملبس الماضى لباس الحاضر
الناقد الأنباء نقد صيارف ، الوازن الآراء وزن جواهر

(*) عبد القادر : أعاصير مغرب .

(١) هو فقيد الكتابة والصحافة عبد القادر حمزه صاحب «البلاغ» .

المستعين على السياسة بالحجى والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت يوما لمنتقم ولا لمناظر

. . . .

عرف الحقائق فاستراح جنانه من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره بغضًا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده علمٌ على بعد ، وعلم معاشر
كم مرّ من يوم ضحوك بيننا أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معًا فى حلبة عزت على غير الطمرّ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا نعم العتاد لذاكر ولعابر

شهيد الوطن(*)
أحمد ماهر (١)

لم أصدق وقد رأيت بعينى وسمعت الطّق المريب بأذنى
«ماهرٌ» فى الندىّ يُجنى عليه ويدٌ - قيل من بنى مصر- تجنى؟
أشبه الصدق بالأباطيل هذا . . . ويك أمسك ! جاوزت غاية ظنى

* * *

لم أصدّق ، وما لحى دوامٌ والمنايا تطوف فى كل ركن
غير أنّ الكيد الذى كاده الجا نى - له الويل - لا يُطيف بذهن

(*) شهيد الوطن أحمد ماهر : بعد الأعاصير .
(١) قيلت هذه القصيدة فى رثاء . الزعيم الوطنى الشهيد الدكتور أحمد ماهر وقد اعتدى على حياته شاب مفتون بدار النيابة سنة (١٩٤٥) وكان الناظم فى تلك اللحظة بمجلس الشيوخ فى انتظار بيان من الزعيم الفقيد .

أى رأس رمـى ؟ وأى فــــــــؤاد   نال منـه ؟ وأى صــــدر وحـــضن ؟
أفـــيُــــرمَى بـالموت أوسع صـــدر   لبنى قــــومــــه ، وأمنع حــــصن ؟
أفـــيُــرمَى بالموت قلبٌ يحــوط النا   س حــبًــا ولا يحـيط بضـــغن ؟
أفيُـرمى بالـمـــوت رأسٌ تـــولّـى   مــجـــد مـــصـــر برأيه المطمـــئن
يُعــــمل الرأى لـلبــــلاد ويَلقى   مــعـــول الموت هادمًـــا ، وهو يبنى ؟
يـا ضـــلال الجـــدود فى هذه الد   نيـــا ، ويا ســـوأةً لذاك التـــجنى
أمـنـتْ تـلـكـمُ المقــــــاتـل لـو يأ   من فى الناس كلٌّ صـــاحب أمن
لو تـردّ الـنيــــاتُ غـــرب ســـلاح   ردّ عنـه الســـــلاح ألفُ مـــجَنِّ

* * *

لو أصـــدّق ، وقـــد رأيت بعـــينى   أمَّـــةَ الـنيل فـى حـــداد وحـــزن
حـــزنت غـــيـــر أنهــا ليس تَدرى   أللقـــيــــا تجـــمَّـــعت أم لـدفن
أعـمقُ الصـمت صمـتـها وهى حيرى   بين صـــدق الأسى ووهم التـــمنى
ترقـب النعـش قـــادمًـــا يتـــأنى   وتمـنّت لـو طـال ذاك التـــــــأنى
أوجعُ الـشك شـك ســـاعــــةِ هول   فى يقين يُدمى العـــيـــون ويُضنى
المســـجَّى يـأيهـــا الجـــمعَ هذا   أفـــتـدرى من ذا يكون ؟ أجـــبنى !
إنه «أحـــمــــدُ» الذى كـــان فـــينا   منـذ يوم رضــــوانَ كـلٌّ مــــهـنى
من يصـــدّق هذا يصـــدقْ عظيـــمـا   من بلاء الدنيـــا يشـــيب ويفنى

* * *

لم أصـــدق والأربعـــون أمـــامى   كلٌّ ســـاعـــاتهن ســـاعــــة بين
كم تمـثلتــــــه وأحــــسب أنى   إنْ أحـــقق رأيتـــه نصـيب عـــينى
مـقـبـلاً ضـاحك الأسارير سـمحًـا   ثـابـت الجــــأش لا يُـلـم بـوهـن
فُـجـعتْ مـصـر فـيـه بالقـائد الأسـب   ـق ، والأوحــــــد الـذى لا يثـنّى
بـالزعـــــيم الأمـين فى كـل رأى   والـوزيـر الـقـــــدير فـى كـل فـن
والحـــسيب المُوفى لكل حـــســاب   والخطـيـب الـذى يقـــول ويَعـنى
الذى فـــارق المناصب جـــهـــرًا   بـصــــــريح مـن رأيـه لا يـكـنّى
والذى أنفق الشـبـــاب جــهـــادًا   فى خطار على الحـــيـــاة وســـجن

والذى أجـــزل العطاء لمصـــر ... هبـــةً منه لا تشـــاب بضن
والذى لا يسىءيومًـــا ، ويعـــفـــو ... عن مـــسىءإليـــه فى غـــيـــر منّ
والذى كـــان فى «الندىّ» إمـــامـــا ... وسط العــدل حين يُقـضى ويُدنى
عــز فــينا دســتــور مــصــر بشــرح ... من هداه لا يســتــعــاض بمتن
لن يقـول الصـديق فـيـه مـقـالا ... يتـــأباه خـــصـــمـــه حين يثنى

الأستاذ الأكبر(*)(١)

من مـــثل نابغـــة النوابع مـــصطفى ... فى ســـابق من مـــجـــده أو لاحق
رجّـــــاه والده الـكريم لـغـــــايةٍ ... حـــسنى ، فـــوقّـــاها وفـــاء الواثق
ربّاه حـــبـــرا للديانة فـــاســـتــوى ... فى نخـــبـــة الأحـــبـــار أسبق سـابق
ونماه فى حـــجـــر العـــبـــادة مـــسلمـــا ... فـــهـدى الحـــجـــيج ، وحجّ كلَّ منافق
وأعـــده للعلم فـــاســـتـــوفى به ... حظ العليم الفــيلســوف الحــاذق
وغـــذاه بالتـــبـــيـــان فـــانقـــادت له ... غـــرر اليـــراع بكل مـــعنى شـــائق
وهداه للإحـــســـان فـــهـــو وليّـــه ، ... لعـــاهد الإحـــســـان غـــيـــر مـفـــارق(٢)
ورجـــاه للعليـــاء فـــاســـتـــبق الخطى ... ســـبقَ الكرام إلى المقـــام الســـامق
لا وانيًـــا عنهـــا ، ولا مـــتـــعـــجـــلا ... فـــيـــهـــا تعـــجّل مـــشـــفق من عـــائق
وكـــــأنهُ وعـــــد الأمين وفى به ... فطوى صـــحـــيـــفـــتـــه كلمح البـــارق
لو لم يكن قـــدرًا قـــضـــاه لما قـــضى ... كـــالنجم يرجع غـــاديا من شـــارق
إن المطـالع لا يقـــر قـــــرارها ... بعـــد التـــمـــــام ، ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخـــذاً من كل شىء صـــفـــوه ... بوركتَ من ذى مـــعـــجـــزات خـــارق
حـــتى الخـــمـــول بلغت غـــاية حظه ... عـــجـــبًـا ، وأنت من العـــلا فى حـــالق
لم ألق قـــبلك من نبـــيـــه آمن ... من شـــرّه البـــاغى وغـــيظ الحـــانق

(*) الأستاذ الأكبر : بعد الأعاصير .
(١) رثاء العلامة الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٧ .
(٢) كان رحمه الله وزيرًا للأوقاف ورئيسا لبعض جماعات الإحسان .

تلك المدامع ما امتزجن بدمعة ... من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آيةٌ ... تخذت من الإجماع أصدقَ ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق ... مرضيَّة منه ، وخير علائق
ما الموت ياكشاف كل حقيقة ... إلا حقائق حُجِّبت بحقائق

السيدة هدى(*)(١)

ربةُ البر والندى ... لم يَضِع سعيها سدى
لغد كان سعيها ... وسيبقى لها غدا
كلُّ مًا قدمت من الخيـ ... ـير باق على المدى
ينطوى الدهر ما انطوى ... منه صوتٌ ولًا صدى
هى ملءُ الضمير منـ ... ـكم مغيبًا ومشهدا

* * *

كنت فى الشرق يا هدى ... مثلا كان أوحدا
أين فى المجد والعلا؟ ... أين فى المجد والجدى؟
غايةٌ طاولت سما ... ءك مرقىً ومصعدا
إن علا محتد علو ... ت إلى الأوج محتدا
أو علا سؤدد العوا ... رف بوركتِ سؤددا
أو حدا الركب بالعزا ... ئم جاوزتِ من حدا
شرفٌ كلُّ عنصر ... يه على المجد أسعدا
تم موروثه العر ... يق بما قد تجددا
ذاك أو ذا كلاهما ... حسبُ من شاء مفردا

* * *

إن من تذكرونها ... ذكرها غالبُ الردى
قدوة الفضل للعقا ... ئل فى كل منتدى
ولها السبق كلما ... حسُن السبقُ موردا
سفرت والحجاب كالليـ ... ـلِ غيْمانَ أسودا

(*) السيدة هدى : بعد الأعاصير .
(١) رثاء السيدة الجليلة صاحبة العصمة هدى شعراوى ، وكانت قدوة لسيدات الأسر فى النهضة النسوية والمآثر الاجتماعية سنة (١٩٤٨) .

والتـــقت باسم مــصـــر والنــ ـــيل جــيـــشًـــا مـــجنّدا(١)
وأعـــــانت على الزمـــــا ن مــــريضًـــا ومُـــجـــهَـــدا
وضـــعـــيـــفًـــا من اليـــتـــا مى وطفـــــلاً مـــشـــرّدا
وحـــمـى عطفُـــهـــا فـــرا ئسَ من ضل واعـــتـــــدى
ورعت نـاشـــئـــا عن الـــ ـعلم والأهل مُـــبــعـــدا
وأجـــازتْ على البـــيـــا ن فـــــأســـــدت له يـدا
إن بـكـوا كـلـهـم لـنـعـــ ـــيك لا غـــــرو يا هـدى
كـلـهـم يفــــتـــــديك لو يُـدفـع الموت بـالـفــــدى
لا صــــديقٌ ولا عـــــدا ليس فى الحق مــــا عـــدا
أم الشــــرق كلُّهـــــا حـــمـــدت منك مـــحـــمـــدا
تـوج التـــاجُ ذكــــريا تـك والـشــــعـب ردّدا
آيـــــة الله يــــا هـــدى ولـك الخـلـد ســـرمـــدا

محب السلام(*)(٢)

. . . .

عـــــزاء الـزمــــالـة فـى رزئـه لقـد كـان نعم الزميـل الهـمـام
حـــفىّ اللقـــاء ، وفىّ الإخـــا ء ، عـفـيف اليـراع عـفـيف الكلام
صـــبـــورًا على هفـــوات الطبـــا ع ، يغضى عن السيِّئات الجسام
حليـــمـــا إذا طاش لب الحلـــ ـيم ، رضيـا إذا لجّ داعى الخصام
ترى حـوله الناس شتى العـقـو ل ، شـتـى المذاهب ، شـتى المرام
فـتـحـسـبـه عـامـلا وحـده وتحـسـبـه قـائلا فى الزحـام
كـــأنّ له خـــاطِرىْ مـــهـــجـــةٍ لهـــذا مـــقــام وهذا مـــقـــام
طرائـفـــه فى ثـنايا الحــديـــ ـث ، تنسى النديم كـؤوس المدام

(١) كانت السيدة الجليلة تقود أول مظاهرة نسوية خرجت فى مواجهة الجند المسلحين تحتج على الحماية البريطانية .

(*) محب السلام : بعد الأعاصير .

(٢) رثاء الكاتب الكبير أنطون الجميل عضو المجمع اللغوى ورئيس تحرير الأهرام ، وكان قد سهر على عادته فى مكتبه بالصحيفة ، ثم شعر بضيق مفاجئ توفى على أثره فى الهزيع الأخير من الليل .

وأمـــثـــالـه مـن عــيـــون الـبـيـــا ن ، جـــواهـر منـثـــورة فـى نظام
وآراؤه حـــنـن تـــطـــغـــى الخــطـــو ب مـــعــــالـمُ هـاديـةً فـى الـظلام
وأقــــــــــدر خـلـق عـلـى أن يُـذ يعَ قـد كـان أقـدرهـم فى اكـتـتـام
فـــمـــا صين ســرٌّ كــمـــا صـــانـه وإن عـــزّ فى الســـر راعى الذّمـــام
وأكـثـر مـا اسـتـودعـتـه الـنفـو سُ أودعــه الـيــوم جـوف الرّغـــام

* * *

مـنـاقـب أنـطـون لا تـنـقــــضى ولا يخـتـم الـقـول فـيـهـا خـتـام
أحـبُّ الـســـــــلامَ ونـادى بـه عليـــه مـــدى الدهر أزكى ســـلام

* * *

الشهيد الأمين (*)(١)

محمود فهمى النقراشى

أســـفى أن يكون جـــهـــدَ رثائى كـلـم عـــــابـر ، ورجـع بـكـاء
مـــارثاء الحــزين غـــيـــر تعـــلاّ ت ، ومـــا الـنوح غـــيـــر نفث هواء
لـيـــتنى أخـــرس الـفـنـاءُ لـســـانى قـــبـل يوم أشـــقـى لـه من فنائى
مـــا وفـــاءٌ بـذل الـدمـــوع من الحـــز ن ، على منّ وفى ببـــذل الـدمـــاء

* * *

إن حـــــــزنـى عـلـى هـذه الأنـفــ ـــس ، ضلّت فـينا سـبـيل الـسـواء
نُكـسـت بيـنـهـــا الموازين نُكسًـــا واســتـــحـــالـت مــعـــالـم الأشــيـــاء
كـم رأيـنـا غـــدرًا ولا مـن عـــداة وشـــهـــدنـا حـــربـا ولا مـن عـــداء
ظلمـــاتٌ تقـــودهـا خـــبط عـــشــواً ءِ ، وويـلٌ لخـــابط العـــشـــواء

* * *

(*) الشهيد الأمين محمود فهمى النقراشى : بعد الأعاصير .

(١) قتل شهيد الوطنية والرأى والخلق الأمين - محمود فهمى النقراشى - بديوان وزارة الداخلية فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

أتصم الآذان عن صـــــادق النصـ ... ـح ، وتصغى طوعا لكل افتراء ؟
أمةٌ فى الشقاء من معتد فيـ ... ـها عليها ، ومن صويح اعتداء
أعجزُ العاجزين يقوى على إيذ ... ائها غاية من الإيذاء
والقديرون يشتكون من العجـ ... ـز ، إذا مهّدوا لها بالدواء
كيف كيف النجاء من هذه المحنـ ... ـة ، بل أين أين حق النجاء

* * *

إن حزنى حزن على هذه الأمـ ... ـة : رفقًا بها إله السماء
قُلبت آيةُ الحقائق فيها ... وقضى سفلُها على العظماء
غيلة الموت للغيور عليها ، ... وقضاء الحياة للجهلاء
وقضاء الجهول أوخم عقبى ... من قضاء البهيمة العجماء
فتنة تعمه البصائر فيها ... وتضل العقول فى تيهاء
إن أبينا البقاء حقا لمحمو ... د ، فمن ذا يُرجى لطول البقاءِ

* * *

نبئونى . فإننى أنا والله ، عرانى عىٌّ عن الإنباء
أى سهم ترمى به يدُ مصر ... ى يرى فيه موقعًا لرماء
أى تلك الخصال مرمى اغتيال ... لبنى مصر ، بل بنى حواء
أيُغال الحنان فيه ، حنانًا ... كاد يُحصى به مع الضعفاء ؟
أم يُغال الحفاظ فيه ، حفاظا ... يتحدى جحافل الأقوياء ؟
أم يُغال العفاف أصدقُ ما كا ... ن عفافا فى مستسرِّ الخفاء
أم يُغال الإنصاف يحمى عُداه – ... حين يقضى – من صفوة الأصفياء
أم يُغال الذكاء يخترق الحجـ ... ـب ، بنورٍ يهدى كنوز ذُكاء
أم يُغال الزهد الذى حار فيه ... كل مغْرٍ من سطوة وثراء
أم تُغال الخلائق الزُّهر كادت ... تترقى إلى ذُرى الأنبياء
أم يُغال الصبر الطويل على الجهـ ... ـد ، بلا منّةٍ ولا إعياء
أم يُغال الجهاد فى حب مصر . . . ... ويح مصر من تلكم النكراء
إن محمودًا الذى فقدته ... واحدٌ لا يقاس بالنظراء

* * *

يا أبا هانئ ! وأعزز بأنى ... لا أرى هانئاً ربيب هناء
أنعزيه فى مصابك لهفا ... ن ، ونحن الأحرى بطول العزاء
ومصابُ الشعوب فى الحق أقسى ... من مصاب الأبناء فى الآباء
خطب مصر . يسامح الله مصرًا ... عقّها فى جدودها القدماء
عقّها فى اسمها ، وما تعرف الأقوا ... مُ دخرًا أغلى من الأسماء
يرحم الله مصر من فتنة تطـ ... ـغى يجهّالها على الحكماء
يرحم الله مصر . إنك يا محمو ... د فى رحمةٍ مع الشهداء
لا يضيم الإله قوما بذنب ... أنت فيه لهم من الشفعاء

فقيد اللغة والأدب (*)

على الجارم (١)

. . . .

لست أوفيه وصفه : إن وصفًا ... لعلىّ يُغنى غناء السمىّ
علم فى الديار ، صنّاجة فى الحفـ ... ـل ، ركن فى المجمع اللغوىّ
وسراجٌ فى مفرق الرأى هاد ... وجمال وبهجةٌ فى الندىّ
وزميل سمح الزمالة برٌّ ... وأخ بالإخاء جدّ حفىّ
ذلك الشاعر الذى ثكلته ... مصر ، فى يوم مأتم وطنى
لم تزل تسمع المراثى حتى ... سمعتْ فى الرثاء صوت نعىّ
تتنزى على زعيم أمين ... وأديب جزل البيان سرىّ

* * *

لست أوفيه حقه . إنه حـ ... ـق بيان عن البيان غنى
وارث الأصمعى فى لغة «الضا ... د» وفى الشعر وارث البحترى
والأديب الذى له فطنة المصـ ... ـرى زانت سليقةَ البدوى
والمربّى الذى تعهّد جيلا ... عهدَ علم منه وعهد رقىّ
وأخو النشأتين شرقا وغربا ... من قديم باقٍ ، ومن عصرى

(*) فقيد اللغة والأدب على الجارم : بعد الأعاصير .

(١) كان فقيد اللغة والأدب – على الجارم – عضو المجمع اللغوى يستمع إلى قصيدته فى رثاء الشهيد النقراشى ، يلقيها نجلة النجيب فى الجمعية الجغرافية ، فأصابته نوبة توفى على أثرها بدار الجمعية سنة ١٩٤٨ .

كم شـــهـــدناه فى شـــواهد نص ورأينـاه فى مــــعــــــارض رأى
وسطًا غـــيـــر ممعن فى وقـــوف عند مـــاض ، أو ممعن فى مـــضىٍّ
قـائلا ناقـلا ، سـمـيـعًـا مجـيـبًـا حـسنُ تبـيـانه كـحـسن الصـغىّ

ذكرى إبراهيم(*)

أَقِــيْــمُــوا الوزْن أوْ مِــيلوا فــمـــا (أبراهيمُ) مَــجْــهُــولُ
فــتىً مـــيـــزَانُه بالْقِــسْـ ــطِ عـنْـدَ الله مَـكْـفـــولُ
لـــهُ فـــى كـــلٍّ تَـــاريـــخٍ مِـنَ المجْـــــد أكــــالِـيـلُ

* * *

سَـلُـوا الأوْطـانَ يـنْبـــئـكـمْ بِمَـا يـعْـلمُــــــــه النِّـيـلِ
يَحـــيِّى ناصِـــرَ المُصــرِ ىِّ ، والمِصْــرىُّ مَـــخْـــذُولُ
وَأوّلُ رَافِـع صَــــــوْتًـا وســـيـفُ الحــرْبِ مــسْلولُ
وَلِلمـــحْـــتـلِّ فى مِـــصْـــر عـلـى كـلِّ فَـم غُـــــولُ
لـه فـى بـرِّهَـا جَـــــيْـشٌ كــجــيش النَّمـلِ مــوْصـــولُ
وَفى الـبـــحـــر أسَـــاطيلُ وفى الجـــــوِّ أبَـابـيلُ
إذَا لـمْ يَـنْعَـــهُ الأحــيـــا ءُ ، والـدُّنـيـــا أبَـاطـيلُ
نَـعَـــاه فـى (الـعَـــزِيـز يَّة) مَـــدْفــونٌ ومَـــجــدولُ
وجـــيلٌ فى حِـــمَـى التَّــا ريخ ، لا يُشْـــبِـهُـــهُ جـيلُ

* * *

سَلُوا الآدابَ يـنْبـــئــكـم بـه الـصــدّاحَـــةُ القـــولُ
يُرَدِّدُ ذِكـــرَهُ فى الشّـــعْـــرِ تـســـبـــيحٌ وتـرْتـيـلُ

(*) ذكرى إبراهيم دسوقى أباظة .

ويهْـــتِفُ باسْـــمــــه فى القــوْ ل مطبُـــــوعٌ ومنْــقـــــولُ
وَيَحْـــمَـــدُ فَـــضْلَهُ فى العُــــرْ بِ مَنْسُـــــوبٌ ومَــــدْخُـــــول
فَــــــــــلا الماضى بمنســىٍّ ولا الحـــاضِـــرُ مَـــعْـــزولُ
وراعِى الشِّـــعْـــرِ لا يَنْسَـــا هُ مــــرعـــيًّـــا مِنْهُ مطْولُ

* * *

سَلُوا الإحْـــسَـــانَ والإحْــســـا نُ طبْع فـــيـــه مَـجـبُــولُ
وأقـــربُ شـــأوهِ فى الجُـــو دِ مــشــروبٌ ومـــأكـــولُ
وأيسَـــــرُ جُـــودهِ بَـاد لمرْأى العَين مَـــسْـــئـــولُ
وكـم أعْـطى ولـم يُـسْـــــألْ وبعض الـسُّـــؤْلِ مَـــمْطُولُ
وبعْض النَّاس قـــد يَمْـــحُـــو نَـدَاهُ الـقـــالُ والـقِـــيـلُ

* * *

سَلُوا الأحْـــسَـــابَ لا عِـــزٌّ يُـدايـنـهـــــا ولا طـول
ولـلأسَـــبـــادِ والأشْـــبَـــا ل منْ أعـــلامــهــــا غِـــيلُ
ذَوُوهُ مـنْ بـنـى مِـــــضْـــــر هم الـغُـــرُّ البَـــهـــاليلُ
ومِنْ أحـــســـابه كـــسْـــبٌ بمسْـــعَـــاهُ وتحْــصِـــيلُ
بِرأْيٍ زَانَـهُ فى الـقـــصْـــد إجْـــمَـــالٌ وتفـــصِـــيل
وصَـــبْـــر راضَ دنْيـــاهُ وراضَـــتْـــهُ العَـــرَاقـــيلُ
سَلُوا ســيـرتَه الحــفلى وللسِّـــيـــرَةِ تسْـــجِـــيلُ
سَلُوا (الشَّـــلالَ) والمجْـــرَى من القُطْرَيْن مَـــفْـــصُـــولُ
لَـتَمَّ الـقـــربُ لـوْلا قـــا عِـــدٌ بالشَّـــرقِ مَـــشْـلولُ

* * *

خـــصـــال كُلُّهـــا نُبْلٌ وأفضَـــال وتَفـــضِـــيلُ

وذِكْـــرى كُلُّهـــا حَـــمْـــدٌ وتشْـــريفٌ وتبْـــجِـــيلٌ
فـــــقـــــدْناهُ ونَادِى الـرَّأْ ىِ فـى الـقـطْـرَيْـن مَـــــأهُـولُ
فـــلا يَبْـــعُـــدْ المثـــوَى ومَـــثـــوَى الخَـــيـــرْ مَـــأهولُ
لـــهُ مِـــنْ بِـــرِّهِ أُنْـــسٌ وشَـــمْـلٌ ثَمَّ مَـــشْـــمُـــولُ
ومِنْ سِـــيـــرته الفـــيْـــحَـــا ءِ ، تَـــرْويـــحٌ وتـــظْـــلـــيلُ
لـــهُ فـــى مـنـزِلِ الـرِّضْـــــــوَا نِ تـــسْـــلـــيـــمٌ وتـــنـــزِيـــلُ
وأَجْـــــــــرٌ مِـــنْ ثَـــوابِ اللهِ عِـــنْـــدَ اللهِ مـــقْـــبُـــولُ

شيوخ الشيوخ(*)

لا أحسب العام فى أسوان يسعدنى يومًا بلقياه ، فى قومى ، وفى سكنى
هناك فى الركن من مشتاه معتصما على سجيته من غمرة المحن
تباعدتْ شقة الدارين وامتنعت على المطايا وأعيت حيلة السفن
«حسب الصديقين بُعد الأرض بينهما» على مدى راحة من ظهرها الخشن
واطول شوقى إلى يوم يقربنى من راحة البال أو من راحة البدن

* * *

تلك المعاهد لا تنسى معمّرَها قربًا من العهد ، أو قربًا من الدِّمَن
يحج سعيًا إليها فى أماكنها أو ساعيًا ممعنًا فى ساحة الزمن
منازلُ الوحى ما زالت مَثابتَه فى الطيبتين ، وفيما طاب من ظعَن
لم ينقطع قط ماضيه وحاضره ولا ونى عن فراغٍ بالنفوس ينى

* * *

(*) شيخ الشيوخ : رثاء الدكتور محمد حسين هيكل .

يا هيكَل الحق كم أحـيـيـت من أثر ... وكم نشـرت ، وكـم أبقـيت مـن سنن
ذكـراك يا باعث الذكـرى مـخلَّدة ... تبـقى مع الذكـريات الغـرّ فى قـرن
حقٌ على ذمم التـاريخ تحـفظه ... لحـافظ ذممَ التـاريخ مـؤتمن
أحييت سيرة من يُحيون منصفهم ... من كل عالٍ بتشـيـيـد العـلا قـمن
هم الكرام وقـد أحـسنت مـدحـتهم ... مكرّمـوك بحـمـد منهم حـسـن
عش فى صحابتهم من معشرٍ شرعوا ... للناس شـرع وفـاء السـر والعلن

* * *

يا هيكل الفن كم أبدعت من صـور ... وكم رفـعت ، وكـم نكّست من وثن
وكم لمصـر بما أرسلتـهـا قـصـصـا ... من متـحف عـامـر بالآهلين غنى
من القُـرى فـيـه ألوان مـشـخـصـة ... كـمـا عـهـدنا ، وألوان من المدن
من يلقـهـا يلق تاريخًا لحـاضـرنا ... وحـبـذا حـاضـر التـاريخ للوطن
يكاد يعـجب رائيـهـا على كـثب : ... إنى أراها ، فـسلهـا كـيف لم ترنى
تلك التـمـاثيل من خلق الحياة كـمـا ... يوحى بهـا وحىٌ باريهـا إلى الفطن

* * *

يا هيكل البـيـعـة العليا بعـقـوتهـا ... ويالهـا بيـعـةً مـهـضـومـة الثـمـن
قـامت على بحـرها اللجىّ تحـسـبـهـا ... جـسـرًا على شـاطئـيـه غـيـر متـزن
تهب من فـوقـهـا هوج الرياح ولا ... تقـر فى جـوفـهـا الأمـواج كـالقُنن
وأنت والسـادنوها الصـيـد فى نفـر ... حـاروا بهـا بين مـغلوب ومـضطغن
تهـز كـرسِىّ فـاروق وأنت ترى ... كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
تركـتـمـوه مـعـرى فى مـبـاذله ... كـأنه جـيـفـة فى قـبـرها العـفـن
يختـال فى طيلسـان الظلم مـزدهيـا ... وإنما اختـال قـبل الموت فى كـفـن
ومـا تعـثـر فى عـقـبى مـسـاوئه ... إلا ليـومٍ له فى الغـيـب مـرتهـن

* * *

ياهيكل الصحب كم ضمت شمائله شمل الأقارب فى الآراء والمهن
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم غداةَ فارقتهم فى لوعة الحزن
حاربت فى الرأى أقواماً على ثقة وحاربوك ، وما بتم على دخن
ما كنت مختبرًا للسخط تضمره إلا كخبرة فنان به طبن
وإنما الود طبع فيك ليس به سمت من الفن ، أو كبت على وهن
لك المآثر يبكيها ويحمدها من يحمد الفضل موفورًا بلا غبن
قوم بما ضيهمُ فى الشرق قد حفلوا والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عش فى صحابتهم من معشر ورثوا عرفًا لهم ، من رعاه قط لم يخن
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمرًا كأنه فى حساب القوم لم يكن
أنت الغنى عن الذكرى وما غنيت جامعةٌ قط عن ذكرى ذوى المنن
لأنت من جنة العرفان فى سعة وأنت من جنة الرضوان فى عدن

ذكرى حافظ(*)

ارفعوا ذكره عليا مبينًا إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظٌ فى ثراه لم يفتقدنا وافتقدناه نحن حينا فحينا
من مضى فى غنى عن الحى والحـ ـى الذاهبين لا يغنينا
وإذا الحمد فات نابغ قومٍ فهو موت الباقين لا الذاهبينا

* * *

يا حميد المقال مدحا وقدحا ونقّى الصحاف بيضا وجونا
خذ من الحمد بعض حقك منا لم تكن قط بالحقوق ضنينا
طالما رددت جوانب مصر صيحةً منك تملأ العالمينا
هاتفًا بالرجاء يوما ، ويوما هاتفًا بالعزاء تأسو العيونا
تعجب القوم أريحيا طروبا وتواسيهمو شجيا حزينا
ما توانيت عن مقام وفاء أو تواريت بالوفاء خؤونا
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب لم تكن فيه خانعًا أو مهينا

(*) ذكرى حافظ : فى الاحتفال بذكرى حافظ إبراهيم سنة ١٩٥٧ .

وإذا قــام للضـــمــــائر ســـوق لم تكن من تِجَـارها النافـــقـــينا
ربّ قـــوم تنقّـــصـــوك مـــراءً ربحـــوا وانثنيت أنت غـــبـــينا
خــيـــر أبطالنا الذين تخـيّــــر ت من الأولين والتـــابعـــينا
الإمــام «ابن عـبــده» من بنى جيـ ـلك وابن الخطاب فى الأقـــدمـــينا
لا تدانيــــهـــمـــا بدعـــواك لكن باعـــتــراف القـــصـــور دنيـــا ودينا
أنت أتقى ممن يجـاهر بالتـــقـــو ى ويأبى فى الســـر إلا مـــجـــونا
رب جـــمع تفـــيــهق الغِـــر فـــيـــه وتحـــدى بالظن منك اليـــقـــينا
كلمـــا قـــال قـــولةً فى رســـول صـــحـت : يارب اخـــز هذا اللعـــينا
«احـــســـبـــونى مع العـــجـــائز دينا ليس هذا الجـــدال إلا فـــتـــونا»
رحم الله منك قلبـــا سليـــمـــا وضـــمـــيـــرًا بَرًّا وروحـــا أمـــينا

* * *

ثم قـــريرًا صنّاجـــة العـــرب الصيـ ـد وعُـد فـيــهـمـو لسـانا مـبـينا
كلمـــا جـــددوا لذكـــراك عـــهـــدا عاد عـهد الفـصحى جديدًا مصونا
حـــافظًا أنت كنت للضـــاد لما عـــقّـــهـــا أهلهـــا وظنوا الظنونا
أين فى المنكرين من ليس يروى لك قـولا جـزلا ونسـجـا مـتـينا
ودليـــــلا على غناها إذا مـــا سامـهـا الفـقـر مـعـشـر مـفلسـونا
بين شـــعـــر له رنين ونثـــر يشـبـه الشـعـر فى السـمـاع رنينا
لم تكن حصتى من الحفل نظمـا لا ولا قلتـــه بوعـــد مـــدينا
غـــيـــر أن المزار شط بحـــاد ود لو كـان حـاضرَ الصوت فـينا[1]
وعـــجـــيب إذ يشـــهـــد الفن ذكـ ـراكَ من الشـعـر وحـده أن يبـينا
وجـــمـــيل إن صح عـــذر لدينا أن ترانا لديك مـــعـــتـــذرينا
فـخـــذ اليـــوم حـــقك حـــمـــدًا أنت بالحـمـد مـا برحت قـمـينا
وقليل وفـــاءُ قـــومك يومـــا لامـــرئ دان بالوفــــاء سنينا

* * *

(١) إشارة إلى غياب الشاعر الذى ندب لإلقاء تحية الشعر فى الحفل ثم برح القطر قبل موعده فناب عنه صاحب الديوان على غير موعد .

أهرام الورق، وأهرام الحجر(*)(١)

خبر السبّاق للخير ... عضّ من أخبارنا الأخَر
شَغَل السمّار عن سمر ... وطوى الآفاق فى البُكر
فاجئٌ كالعهد وا أسفا ... لم يكن يومًا بمنتظر
صادقٌ كالعهد وا أسفا .. ... ليته من كاذب السير
قيل فى الأهرام مرثية ... قلت : حقٌّ من فم القدر
قيل «جبرائيل» طاف به ... يومه فى ضحوة العمر
صفحة بيضاء تعلنها ... صفحة سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت ... عبرةً من صادق العبر

* * *

إن بكاه الشرق لا عجبٌ ... بعض ما أولاه من غُرر
سار بالشرق الوئيد على ... خطو «أوربا» ولم يَجُر
نحن ، إلا فى صحافتنا ... دونهم فى الخبر والخبر
فإذا عُدّتْ صحافتنا ... لم نكس رأس معتذر

* * *

زفع الأهرام فارتفعت ... فى مدار الأنجم الزُّهُر
لو غلبنا غلبوا ... نازعتهم كلٌّ منتَشر
ولسارت فى مغاربهم ... كمسير الشمس والقمر

* * *

رافعُ الأهرام من ورق ... نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها فى الثبات وإن ... سار بين البدو والحضر
كل يوم فى الصباح له ... ظَفر ناهيك من ظفر
فى ركاب الشمس يشبهها ... فى جلاء الشك والحيَر

(*) أهرام الورق ، وأهرام الحجر : بعد الأعاصير .

(١) قيلت فى رثاء المغفور له صاحب الأهرام جبرائيل تقلا «نوفمبر سنة ١٩٤٣» وكان قد توفى على أثر عارض سريع لم يمهله غير لحظات .

يجـمع الدنيـا ويبـسطهـا ... بين مـدّ السـمع والبـصـر
أم شـــتى تحـــدثنـا ... بلسـان العـرب من مُـضـر
كل قطر فـــهـــو نائبـــه ... زائـرًا أم حـــيث لـم يـزر
هو داعـــيـــه وكـــاتبـــه ... وملبّـــيـــه على الأثر
ســـابق تلقـــاه منطلقًـــا ... في عنان الطول والقـصـر(١)
تحسب القـرطاس مخـتصرًا ... في يديه غـيـر مـخـتـصـر
فـإذا امـتـدت صـحـائفـه ... لم تدع شـيـئـا ولم تذر

* * *

يا شـــريك العــالمين لـه ... غـيـر مـبخـوسين من صـغـر
قُسَمـاء الرأى ، مـا اقـتسـموا ... -باختيار منك - في ضرر(٢)
أنت في الأعـبـاء أكـبـرهم ... ولـهم مـاً شئت من كـبـر
من رآكـم راح يســـأل عن ... آمـــر منكـم ومـــؤتمِر
تُجـزل الحـسنى لمحـسنهم ... وتسـجّى طرف مـغـتـفـر
حـزنُهم ، والخطب يغلبـهم ... بين مـــرتاع ومـــصطبـر
حـجـةٌ بيـضـاء أبلغ من ... مُـبلغٍ في القـول مـقـتـدر

* * *

وحى جـبـرائيل مـتـصلٌ ... بين حل منه أو ســـفـــر
ليس ينأى في السـمـاء ولا ... في مـدًى الأحـلام والفكر
خلفـــاءٌ منـك مَن حـــملوا ... عنك عبء السـعى والسـهـر
خلفـــاءٌ منك كل فـــتى ... قـــارئٍ من هذه الزُّمـــر
وتَوسّـم في «بشــــارة» مـــا ... شـئت من دخــر لمدّخـر
إن هذى الغـــاب منجـبـةٌ ... غَنيت بالأسْـد والشــجـر
ســـوف تحـــيـا باقي الأثر ... خـالد الأعـقــاب والذّكَـر

* * *

(١) إشارة إلى ضيق نطاق الصفحات في أيام الحرب العالمية .
(٢) كان الفقيد يشرك أعوانه الصحفيين في الرأى والخطة ويستمع منهم النصيحة ولا يعود عليهم بتبعة .

رثـاء وعـزاء

رثـاء طـفـلـة(*)

زهرةٌ كـــان وجـــهـــهـــا نـــور قـــلـــبـــى ونـــاظـــرى
حـــملتـــهـــا يد الردى حـــملَ من لم يحـــاذر
فـــتـــوارت ولـم يزل عَـــرفـــهـــا(1) ملء خـــاطرى

* * *

ياضـــيـــاءً تضـــمنتـــه بطـون الـديـاجـــر
قـــد أجنُّوك فى الثـــرى يا جنين الضـــمـــائر
فـــالزمى الرمس حين لا حلْمَ فى عين بـاصـــر
فـــإذا أقـــبل الدجى وغـــفـــا كل ســـاهر
فـــاطرقـــينا مع الكرى حلمًـــا غـــيـــر نافـــر
وصلى عـــيـــشك الذى كـــان أحـــلام ســـادر(2)
وامـــرحى فى صـــدورنا واضـــحكى فى الســـرائر
ثم عـــودى إذا الصـــبـــا ح تجلى فـــبـــاكـــرى
إنّ صـــعـــبًـــا على الصـــغـــا ر احـــتـــبـــاس المقـــابر

عزاء الأستاذ وجدى فى والده(*)

أمـــولاى رزؤك لا يجـــهـــل وصـــبـــرك فى الرزء لا يخـــذل
ومن كـــان يعلم كنه الحـــيـــا ة فـــالصـــبـــر من مـــثله أجـــمل
إذا كـــان كل امـــرئ راحـــلاً فـــأفـــضـــلنا الراحل الأول
وأدنى مـــصـــاب الفـــتى للعـــزا ء مـــصـــابٌ بكل امـــرئ ينزل

(*) رثاء طفلة : الجزء الأول .

(1) رائحتها .

(2) غافل .

(*) عزاء الأستاذ وجدى فى والده : الجزء الأول .

عزاء المازنى (*)

يا صديقى ، وما علمتك إلا … راضيًا بالأسى رضاء الجليد
إن تكنْ قد رزئت بنتا فما … قد تعوَّضت من بنات الخلود
لا تبت آسفًا عليها وهبها … وردة والربيع عمر الورود
ربما عوفيت وأنت عليم … من حياة تودى بكل وليد

رثاء أخ (*)

. . . .

يا راحلاً صدع الحمام شبابه … فعلمت كيف تصدُّع الأكباد
إنى لأحسبنى أراك مجاهدًا … والنيل حولك دائم الإزباد
وأراك ترمقنى وقد غلب الردى … وأقام جند الموت بالمرصاد
فى ساعة ما كان أغفل خاطرى … عما عراك وفتّ فى الأعضاد
أمسيت رسمًا فى التراب معطلا … وغدوت نصب روائح وغواد
ويحى ! أترقد تحت أطباق الثرى … وأقيم بعدك هانئًا برقاد
أتبيت رهن صفائح وجنادل … وأبِيتُ بين وسائد ومهاد
لو أنصفت أيامنا لبكيتنى … لكنها تجرى بغير مرادى

. . . .

يا زهرة شرقت بما تحيا به … فذوت وأورق شوكها بفؤادى
إن الحياة - وما حييتَ لكى ترى … سر الحياة - كثيرة الأضداد
فلئن عدوت من الحياة نعيمها … فلقد عداك شقاؤها المتمادى

(*) عزاء المازنى : الجزء الأول .

(*) رثاء أخ «توفى غريقا» : الجزء الأول .

على قبر أخ (*)

أيهـا القـبـر فـيك غـصن رطيب ... قـصـفـتـه المنون قـبل أوانه
مـثل مـا تعـبث السـمـوم بزهر ... عـاطر ناضـر على أغـصـانه
بنت يا مـصطفى ومـا بنت على قلـ ... ـب كـسـيـر يذوب فى أشـجـانه
كـان أحـرى بك الديار من القـبـ ... ـر وثوب العـروس من أكـفـانه
سـوف ألقـاك فى الثرى عن قـريب ... كلٌّ حيٍ مـوكل بزمـانـه

إلى الصديق الراحل (*)

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعى» يوم وفاته

غـاية الحى سـاعـة من زمـانه ... ينتـهى عندها مـدى جـثـمـانه
طُويت صـفـحـة السـبـاعىّ فـينا ... وهو طاوى الطروس فى تبـيـانه
مُـسـمِح النفس فى الحـيـاة تولَّى ... مُـسـمحَ النفس فى الردى قبل آنه
لم يطامنْ لصـرعـة الموت رأسـا ... مَنْ صـراع الحـيـاة لهـو رهانه[1]
ذاقـهـا صـابرًا وسـاغ مُـريرا ... من جَنى دهره ومن إنسـانه
وتأسَّى ، ومـثـلـه من تـأسى ، ... ضـاحكا من كـرامـه وهجـانه
فـتنتـه غـواية الأب الحـ ... ـر فـأودى بقلبـه فى افـتـتـانه
وثنى راحـتـيـه عن خـفض عـيش ... كـان حـينًا أقـصى مُنى أقـرانه[2]
مـا أراه على الحـيـاة حـزينًا ... بعض حزن الصحاب يوم احتجانه[3]
يا سـليم الفـؤاد فـى باطن الرأ ... ى سليم الفـؤاد فى إعـلانه

(*) رثاء أخ مات غريقا وقد ضاعت أكثر أبيات القصيدة .

(*) إلى الصديق الراحل : وحى الأربعين .

(١) كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيرا وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد فى سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه .

(٢) كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما فى الماضى ولكن السباعى رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب .

(٣) احتجن : جذبه بالمحجن أو ضمه واحتواه .

مـرض الدهر فـامض عنه مـعـافىً ... من أكـــــاذيبــــه ر ن أدرانـه
أنت خـدن الكتـاب ، والموت سـفـرٌ ... صــــدقُـــه ظاهرٌ على عنوانه

* * *

على قبر حافظ يوم وفاته (*)

أبـكـاءٌ وحــــافظٌ فـى مـكـان ؟ ... تـلـك إحــدى طوارق الحـدثان
كنتَ أَنسًا ، فكيف أمسيت يا حا ... فظ تَدمى لذكـرك العـينان
كنت تتلو الرثاء ، معنى فمعنى ... كـيف أمسيتَ بعض تلك المعانى !
كنت أعلى الجموع صوتًا فهلاّ ... نطق الآن صـوتُ ذاك البـيـان
وعـــزيزٌ على بلادك أن تذ ... هب يوم انبـريتَ للمـيـدان
يوم اطلقتْ من أسـارك حـرًّا ... وأبيتَ الإســـار للأوطـان
يوم أرسلتـهـا على ظالمى الأو ... طان طعـانةً كـحـد السنان
ألهم الله مـصـر فـيك عـزاءً ... لا بل العُـرْبَ فى شفـيع «اللسان»
كلمـا صـائر كـمـا صرت يومـا ... والذى قـد صنعت ليس بفـان

نصيب الحى والميت (*)

يا صــديقى لنا البكاءْ ... ولك الموت والســـلامْ
عـنـدنا النور والعـناء ! ... عـندك النوم والظلام!
لـيس يأسى أخــو فناءْ ... بل أخٌ بعـــده أقـــام

* * *

أتبعُ الصـحب فى القـبـور ... ببكائى ومـا اهتـديتْ
أنا لو دام لى الشـعـورْ ... بعـد مـوتى لما بكيتْ
عـــالمٌ كله غــرور ... عشتُ ما عشتُ أو قضيتْ

(*) على قبر حافظ يوم وفاته : وحى الأربعين .
(*) نصيب الحى والميت : هدية الكروان .

هالكٌ كلُّ ما يكون — تستوى النفس والصفاة
فلمن تحصد المنون — ولمن تزرع الحياة ؟
بدأت حكمة الجنون — وانتهت حكمة الهداة

* * *

الأستاذ غانم(*)

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضيت عليه رحمه الله وهو فى عنفوان أيامه ، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات .)

أكان وداعا يوم صافحت غانما — وهنأته بالعيد ، والعيد يسخر !
فياويح للداعين فى غفلة المنى — يرجّون طول العمر ، والعمر مدبر
وياويح للأبناء يا خير والد — وقد رُوّعوا فى ومكرهم حين بُشّروا
أذاك صباح العيد أم أنا سامع — صياح يتامى فى الحمى تتفطر ؟
تلاحق فى تلك الثغور كلاهما — فياهول ما نصغى إليه وننظر
وددت وقد ضن البشير بصدقه — لو آن نذيرًا بالمساكين يعبر
أغانم إنى فى مصابك ذاهل — قليل التعزى سافر الحزن مضمر
بذلت دموعى فى بكاك رخيصة — ومثلك من يبكى ويرثى ويذكر
أفى كل يوم تبصر العين غانما — ومن أين ؟ والأخلاق فى الناس تندر
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه — أخًا فى وغى الأيام لا يتقهقر
وفيّا إذا شاع الوفاء وإنه — عليه ، إذا عز الوفاء ، لأقدر
كريما إذا صال العداة وزمجروا — كريما إذا خان الصحاب وقصّروا
صبوروا على ضر الغريم وإنه — على الضر من ظلم الصديق لأصبر

(*) رثاء الأستاذ غانم محمد : عابر سبيل .

ضليعا بأعباء الأمور إذا ونى ... مدبر أمر أو أساء مقدر
أخوك «أمين»[1] فرّق العام منكما ... صفيين لم يفرقهما ما يكدر
على موعد العام القصير التقيتما ... فليتك من يسهو ومن يتأخر
سلام الخصال الصالحات عليكما ... وحمد المعالى والثناء المعطر
ولا زال فى دار المعارف منكما ... صنيع على الأيام يروى ويشكر

رفيق الصبا(*)(٢)

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا ... وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وآذن فيك الصبر أن لا يعيننى ... وآذن فيك الحزن أن يتغلبا
أألقاك عند النيل إن عدت فى قنا ... وارعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟
ونشتنشد الأشعار فى كل ليلة ... ونطلب فى كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً ... على الأرض إلا كى يقولَ ويخطبا
ونحصى على الدهر البرىءِ ذنوبه ... وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى ... فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا
إذا عدت استحيى الشبابين فى قنا ... وجدتك رسمًا فى التراب مغيّبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزارُه ... وأذريت دمعًا عن قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمرى موتُ كل محبّب ... إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة ... وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو فى ذِكرى فتى العمرينطوى ... كما طوت الأسقام شيخًا معذّبًا ؟
نعم ينطوى الشبان والشيب فى الردى ... ورب فتى فى الردى فات أشيبا
وسيان فى عقبى الطريقين من مشى ... على عصويه من عياءٍ ، ومَن حبا

---

(١) الأستاذ أمين لطفى وقد توفى أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد .

(*) رفيق الصبا : هدية الكروان .

(٢) رثاء الصديق حسين الحكيم من أدباء قنا المعروفين بالورع .

عـهـدتك فى شـرخ الشـبـا ناضـر الصـبـا وفـاجـأنى الناعى فـأجـفلت مُكْذبا
ألا ليـتـه لم يعـرف الصـدق عـمـره ولـم يك إلا كـاذب الظن مُـغـربا

* * *

رفـــاقَ حــسـين أبّنوه وأطنبـــوا فـمـا يخطىء البـاكى سـجـاياه مطنبـا
لقـد كـان مـيـمـون النقـيـبـة صـالحًا وكــان أمين الســر والجـهـر طيّـبـا
وكـان عـفـيـف القـول لا يقـرب الأذى ولا يذكــر الإخـــوان إلا تحــبُّبـا
وكـــان علـى كنز القـنـاعــــة آمنًا وإن قـصّـر المسـعى بدنيـاه . أونبـا
إذا اسـتـمـرأتْ مـرعى الخـيـانة أنفسٌ تحـرَّج منهــا مُـعــرضًــا وتحــوَّبا
وكـان عـزيز النفس فى غـيـر جـفـوة ولا صلف منه ، إذا صـد أو صـبـا
وكـان سـمـيـرًا يملك السـمع كلمـا تبــسّط فى أســمــاره وتشــعَّـبـا
أديبًـا يصـوغ الشـعـر والنثـر فطرة ويؤثر فى الآداب من كـان مـعـربا
أليـفـا وفـيـا لا يفـارق صـاحـبًـا ولا منـزلا إلا انثنى فــتـــقـــرَّبا
أحبَّ قنا واسـتـعـذب العـيش فى قنا فلم يُغـره عـيـش ، وإن كـان أعـذبا
لئن ذكـر الوافـون عـهـد ولائه لما ذكـــروا إلا الوفىَّ المهـــذَّبا

* * *

رفـاق حـسين أسـهـبـوا فـيـه واذكـروا رفـيـقًـا له يعـتـاده الحـزن مـسـهـبـا
على كـثب منه اجـتـمـعـتم فليت لى مكانًا من الجـمـع القنانىَّ مكثـبـا
كـأنى وقـد فـارقـتـه قـبل يومـه سـمـعت له نعـيين يوم تغـيـبـا

* * *

إذا مــارثى المحــزون إلف شـبـابه رثى قلبـهُ شطرًا من القلب مـخـصبـا
وودع من عـهـديه فى العـمـر قِـبلةً أخـفُّ على الروّاد زادًا وأرحـــبـا
إذا جـازها أودى بمخـتـار عـيـشـه ولـم يبق إلا مـا اتقى وتهـيـبـا

أليف الصبا لا تشك فى الموت وحشة | فما زال ركب الموت أحفل موكبا
تعاقبت الأجيال تحت لوائه | وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ | من الزمن الماضى تلاقت لتذهبا
عليك سلام الله حتى يظلنا | سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربا

نعى حافظ

كلُّ خطب دار فى خلدى | غير خطب فتّ فى عضدى
نعيُ من قد كنت أحسبه | بعد يومى ، باقيا لغد
حافظٌ يُنعى إلى ؟ لقد | غلطت دنياى فى العدد
ساء ذاك النعى من بدل | كان من لقياه فى بلدى(١)

* * *

الشهيد معاوية(*)

(. . . احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل رحمه الله فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوض الله الأدب فيه خير العوض وعزى الأدباء أحسن العزاء :)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةْ | فيالك من ذكرى على النفس قاسية
أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه | ولا يوم تكريم ، ودنياه باقية
فما أقصر الدنيا التى طوّل الضنى | أصائله فيها ، وأشقى لياليه
وما أضيع الآمال آمال من رأوا | مطالعه فى مشرق النور عاليه
ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا | على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه

(١) وصل نعى الأستاذ حافظ جلال إلى صاحب الديوان وهو فى بلدته أسوان منتظرا قدومه إليها للاستشفاء .

بكائى عليــه من فــؤاد مــفــجّع ... ومن مـقلة مـا شــوهدت قط باكـيـة
بكائى على ذاك الشـبـاب الذى ذوى ... وأغـصـانه تخـتـال فى الروض نامـيـة
بكائى على مـا أثمـرت وهى غـضـة ... وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فــضـائل منهـا نخـبــة أزهرت لنا ... لمامًا ، وأخرى لم تزل فيـه خـافـيـة

* * *

تبــينت فــيــه الخلد يوم رأيتــه ... ومــــا بان لى أن المنيـــة آتيـــة
ومــــا بان لى أن أطالع ســيـــرة ... خــواتيــمــهـا من بدئها جـدّ دانية
وأن اســمــه الموعـود فى كل مـقـول ... سـيـسـمـعـه الناعـون من فم ناعـيـة
أجل هذه ذكــراه يا نفس فــاذكــرى ... فـجـيـعـتنا فـيـه ، ومـا أنت ناسـيـة
أجل هذه ذكـــراه يا عين فـــاذرفى ... عليــه شــآبيب[1] المدامع دامـيـــة
إذا قــصــرت أيام من نرتجـيـــهمُ ... فيـاطول حزن النفس والنفس راجـيـة
ويا طول حــزن النفس وهى منيـبــة ... إلى اليـأس من عجزٍ بهـا ، وهى آبية
فـــيـــايوم ذكــراه سنلقـــاك كلمـــا ... رجـعـت إلينا والضـمـائر صـاغـيـة
ويا عـــارفــيـــه لا تضنوا بذكـــره ... ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجـية
أعـــيـــروه بالتـــذكـــار مــاضنّ دهره ... به عـيـشـةً فى مـقـبل العـمـر راضيـة
وزيدوا النفـــيس النزر من ثمــــراته ... بتكرارها فى القلب أولى وثانيـــة
فـإن لم تكن فى العـد كثـرًا فبـاركـوا ... مـعـانيـهـا حـبًـا ، ووفّـوا مـعـانيـه
عليـــه ســـلامٌ لا يـزال يعـــيـــده ... ويبـــديه شــــاد فى الديار وشــــادية

يوم إبراهيم(*)(٢)

عــجــبى لأحــداث الزمــا ... ن ، وكـم رأيت وكـم رويتْ !
أولى الـفـــجـــائع باتقـــا ... ئى ، لـم يكـن مما اتقـــيتْ
مـــــا دار فـى خلدى ولا ... فكرت فـيـه ، ولا احـتـمـيتْ
لما نعـــوه حـــســبـــتـــه ... فى الأرض لم يسبقه ميتْ

(١) جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر .
(*) يوم إبراهيم : بعد الأعاصير .
(٢) الشاعر الناثر ، الأديب الناقد ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحمه الله ، وقد تلقى صاحب الديوان نعيه وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة (١٩٤٩) .

يا يوم إبراهيم حـ ـبى من لقائك ما التقيت
لم أنتظرك ولست أذ كر فى غد كيف انتهيتْ
لوددت أنك يا أخى فى الناس آخر من رأيتْ
هل فى البريّة صاحب أُبقى عليه ، وقد مضيت
ما بعد نعى النفس من حزن يطاق ، وقد نعيتْ

أخى إبراهيم(*)

أمير بلاغة وأمين نقد ورب رسالة ، وبشير عهد
وذو قلم كغصن الروض يُهدى جناه أو كحد السهم يُردى
أديب راض أفذاذ المعانى على ألفاظها ندا لندّ
له لبٌّ يترجم كلَّ لب وينقل عنه ما يخفى ويبدى
ملىء القلب من ثقة وحب برىء الصدر من حسد وحقد
أراح الحاسدين ، فإن تحدَّوا له فضلا ، أعان على التحدى
إذا اقتتلوا على الجدوى رماهم بقول أبى علاء «غير مُجد»
وتحسبه استراح إلى سبات ويسبق غايةً اليقظ المُجدّ
فسل عنه شعاب «الضاد» تعلم مناهل فيضه فى كل ورد
إذا عنّ المصاب به فويلٌ لفرد خصَّه بمصاب عِدّ(1)

* * *

وقالوا «المازنى قضى» فضلّت مقاصد قولهم ، أو ضل رشدى
كأنّ حديث مازعموا خيالٌ بعيدٌ فى الحقيقة أىّ بعد
إذا عينٌ غفت فاعجب لأخرى من العينين عالقةٍ بسهد

* * *

صحبنا العمر عامًا بعد عام على الحالين من ضنك ورغد
وبين تعهّد منه ومنى وبين تبسّط منا وجد
وغيّرت الحوادثُ كلَّ عهد سوى ما بيننا من عهد ود

(*) أخى إبراهيم : بعد الأعاصير .

(1) أى مصاب كثيرين .

إذا أخـــــذت مــــــذاهبنا ورَدّتْ
أمنّـا نـحـن مـن أخـــــــــذ وردّ

ولجـمــد فى العـشـيـة ملتـقـانا
إذا ذهب النهـــار بكل حـــمـــد

وأرحب مـــا تلقّـــانا اجـتـــمــاعٌ
على شـــملين من أدب ونقـــد

هى الآفـــاق عـــاليــــةٌ ذراها
على مـــا ضـــاق من غـــور ونجـد

رأينا كلّ صـــادعـــة فـــزالت . .
أيصـــدع مــــا رأبنا شقُّ لحـــد !

* * *

. . . .

نمينا شـــعـــرنا صنوين حـــينا
فكيف رثاؤه بالشـــعـــر وحـــدى

وجـاوزنا الســهـول مـعًـا فـمـاذا
سـتـجـدى فى الوعـود جـهـودُ فـرد

إذا ثقل الشـــبـــاب ، ولى زمـــيلٌ
فـيـابؤس المشـيـب المسـتـبـد(١)

حـــيـــاةً إن تطلْ فــالويل ويلى
وإن تقـصـر فـقـد أُبلغتُ قـصـدى

ســـلامًـــا أيهـــا الدنيـــا ســلامًـــا
لأنت أحبُّ لى لو عـــاش بعـــدى

عـــــزاء(*)

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقى ،
فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات :)

أخى ، منذ أعـــوام تلألأ مـــسكنى
وشـاع به ضـحك الرضـا والتَّـيـمّن

لقـد كـان عرسى يومـذاك ، ومـولدى
بـكـون جــــديـد مـن هوىً وتحنن

أخى ، تلك أعـيادى وأعـيـاد زوجتى
ومــا حلّ منهـا العـيـد إلا ذكـرتنى

وأرسلت لى فى كل عـيـد مـهـنئـا
وباركتَ لى فى جنتى وغـــبطتنى

مضت هذه الأعـيـاد من غـيـر وجـعـة
وهذى مـرائى زوجـتى اليـوم فـارقتنى

فأرسل إليه صاحب الديوان هذه الأبيات معزياً :

أخى ! مـا عـزائى أن أهوّن فـاجـعًـا
أراه – وإن لم أبْلهُ – غـــيـــرَ هيّن

ولكن عـــزائى هذه الحـــرب زلزلت
قلوب بنى حـــواءَ فى كـل مــــأمن

(١) استبد بالسير : انفرد به .

(*) عزاء : بعد الأعاصير .

ولكن عــــزائى هذه الـفـــتنة التى أطاشت رؤوس الخلق من عاش أوفنى
ولكـن عــــزائى هذه الأرض علّمت بنيـهـا هوان العـيش علمَ التّـــيـقّن
قــضــاءً علينا فى الحــيــاة فــراقنا لأحـــبــابنا حــيث التــقــينا بموطن
فــجــيـعــتنا فــيــمن نحب بديلهــا فجيعـتـهم فينا ، ومن يبق يُغـبَن
فــلاترضَ لـلأحــبــاب غــبنًا يؤدهم وليس الرضــا فى الحـــالتين بممكن
ألا هان عـــيشٌ لا يزال خــــيــــاره لن يرتجيـه شــاكـيًـا : مُتْ أو احـزن

* * *

أخى ! هذه الدنيـــا وهذا عـــزاؤها قصاراه - بعد الجهد - تسليم مُذعن
ومــا أحــسـب الإيمان إلا حــقــيــقــة فــلا صبـر فيـهـا لامرئٍ غير مؤمن

نعى كاذب(*)

لقـــد كــــذب الناعى وأنعمْ بكذبه فــلا صدق الناعـون يومًا ، ولا همـوا
فــزعتُ لخطب الموت والموت واحــد فكيف احـتـمـالى فيك مـوتين يا أمُّ

صادق بعد حين

ســرى نبــأ لا يهـــاب الظلامــا ولا يتـــــقـى يقظة أو منـامـــــا
يقينٌ ومـــــا خلتـــــهُ باليـــــقـ ـين ، ولا اعتصم القلبُ منه اعتصاما
فــــراقك يا أمّ لم أحــــتـــسب لـه بغــــــتـــــــهً أو نذيرًا ترامى
ومــــا روّضــــتنى له الحـــادثا ت ، وإن رضتُ منها الخطوب الجساما
كـــأنى ادّكـــرتك لى مـــولدا فلم ادّكـــر لك يومًـــا حــمـــامـــا
حـــســبت الأمــومــة أخت الدوا م ، وخــادعتُ ظنى عليـهـا دوامـا
وأفـــحـــمنى فـــيك خطب النّعـ ـىّ ، وفى غيره ما شكوت الفُحاما

* * *

تعـــجّب قــوم لشــيخ بكى ... أكــان المشـيب لدمـــعى فطامـــا ؟
وأمٍ لما دون عـــــشـــــرٍ تعـ ـزّ فـراقـا فكيف لسـبـعين عـامـا

(*) نعى كاذب : وحى الأربعين .

لئن عظم الموت يا أمّتا لقد هان يوم سكنت الرغاما
وما أرخص النور لما غلا على مقلة لا تطيق السّواما
خلا الكون منك فماذا أرى من الكون بعدك إلا ظلاما
فيا هولها من قفار تركـ ـت ، ويا شد ما قد عرتِ الرّجاما
تلاقَى ذَوىّ ببطن الثرى فأنعم بحيث أقاموا مقاما
لأجلك كنت أخاف الخطو ب ، فما الخوف بعدك إلا سلاما

آخر الخطباء

أسمعت جهدك يا نعيّ وهيب[1] إن السميع اليوم غير مجيب
اليوم يصمت من كرام لداته في مصر ، آخرُ قاتلٍ موهوب
اليوم غاب بقيةٌ من معشر أذنت منابرهم بطول مغيّب
تلك المنابر ودّعت فرسانها من كلّ ذى لسَن وذى أسلوب
لا نسمع الفصحى على أعوادها سحرًا لأسماع لنا وقلوب
كلا ولا يهتز موقع شدوها إلا لصوتٍ طارق بنعيب
خطبٌ ولكنْ ما له من خطبة «قطعت جهيزةٌ قول كل خطيب»

داء بغير طبيب

جلّ في العارفين خطب «حسين» رجل الفضل والنهى والسداد
الطبيب اللبيب ، يرحمه اللـ ـه . لقد كان رحمةً للعباد
ما استبد السقام إلا شفاه باجتهاد من طبه واقتصاد
كيف يعدو عليه عادى المنايا وهو يثنى من غربها كل عاد
لو يُفدّى من المنية حيٌّ حق فيه الفدى على ألف فاد
«كيف أصبحتَ في محلك بعدى يا جديرا منى بحسن افتقاد»[2]
يا وفيا ، ولا وفاء بعهد في اقتراب من أهله وابتعاد
محييَ الود للمغيَّب في الدهـ ـر وقد مات فيه حى الوداد
عاليَ الرأس لا تصيخ لغاو راح يكسو غيا بثوب رشاد

(١) رثاء الخطيب المغفور له الأستاذ وهيب دوس .
(٢) هذا البيت مقتبس من المعرى .

عــازفــا عن مطامع العــيش كــبـرا / عن صــغــار الآمــال والأحــقــاد
«همــة» مــثلمــا تســمــيت تعلو / عن منــال الأنـداد والحــســاد
كم رجــاء زهدت فــيــه ومــا كــا / ن زهيــدا فى شــرعــة الزهاد
مــؤمنـا بـالإلـه تـعـلـم أن الـطـ / ـيب علـم ينهى عن الإلحـاد
ليت شعـرى : من كنت تحنو عليهم / فى الثـرى ، هل حللت منهم بواد ؟
هــل تــلاقـى روح بــروح ووافــى / آخــر العــمــر أول الميـلاد :
تلك رؤياك كنت تنعم فــيــهــا / كنعــيم العــيــان للشــهــاد[١]
كم صــحــبنا الزمــان حلوا ومــرا / وخطوب الزمــان بالمرصــاد
والتــقــينا على الجــوار كــأنى / آمــن عــنـد حــصنـك المرتـاد
تسـبق النخـبـة الأجـلاء طبــا / وأرى منـك أسـبق العــواد
وافــتــرقنا يوم افــتــرقنا على مــو / عــد لقــيــا ، فكان يوم المعــاد[٢]
تســتـعــيـد السـؤال عنى ولا تسـ / ـأم نصــحى يومًــا ولا إرشــادى
وأناديك ســائلا بعــد نأى / فــيــجــيب النعــاة رجع المنادى
يا طبــيــبى مما يكابد جــســمى / وطبــيــبى مما يعــانى فــؤادى[٣]
إن حــزنى داء بغــيــر طبــيب / ونوى طوحت على غــيــر زاد
أحــسـن الله يا حــسين اصطبــارا / فــيك لو يهــتــدى إلى الصــبــر هاد
هل يقــر العــيــون طول ســهــاد / إن أقــر العــيــون طول رقــاد ؟

---

(١) كان الدكتور حسين همت طبيبا للشاعر وكان بينهما تجاور وتزاور . وكثيرا ما تحدث الطبيب إلى الشاعر فى موضوع الأرواح والحياة بعد الموت على أثر مصابه بفقد بعض أهله وأعزائه . وإلى ذلك يشير الشاعر فى بعض أبيات القصيدة .

(٢) علم صاحب الديوان بوفاة صديقه من رسالة بعض الإخوان أثناء رحلته الشتوية إلى أسوان ولم يطلع على نعيه فى الصحف .

(٣) كان الطبيب أول من يعود الشاعر وإن تولى علاجه طبيب غيره من الجراحين أو أطباء العيون ، وهذا معنى البيت : «تسبق النخبة الأجلاء . . .» .

متفرقات

الشاعر الأعمى (*)

شكا الشاعر الباكى عمىً قد أصابه ... وأظلم ما نال العمى جفن شاعر
ينوح بعين لم يدع عندها البلى ... سوى نبع حزن ناضب الماء غائر
وتلحظ عين الشمس شزرًا جبينه ... فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر
ويسألهم : هل أومض البرق فى الدجى ... وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟
وهل يلمع الدرُّ المنضد والحلى ... على الغيد أم بات الحصى كالجواهر
تكاد تشق الأفقَ زفرة صدره ... إذا راح يلحاه بصيحة حائر :
«تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى ... ليهديَه فى فتكة بالجآزر
وترميه فى بئر عميقٍ قرارها ... وتسفكه فوق البطاح الغوامر
وتسلبنى نورًا أراك بوحيه ... فأظهر ما أخفى سواد الدياجر
وأرجعه معنى على الطرس مشرقًا ... يضىء سناه مظلمات السرائر ؟
لمنْ تجمل الأكوان إن كان لا يرى ... بدائعَها عين ترى كلَّ باهر
فما كانت الدنيا سوى حسن منظر ... وما جاد فيها الحظ إلا لناظرى
وهل كنت أخشى الموت إلا لأنهُ ... سيحجب عنى حسن تلك المناظر ؟
فها أنا لا جهد الحياة بهاجرى ... أمينًا ولا ريب المنون بزائرى
جمعتُ شقاء العيش فى ظلمة الردى ... فيالىَ من ميت شقى الخواطر
أرى الصبح وهاجًا بمقلة نائم ... ويلحظه قلبى بحسرة ساهر
ومن لى إلى هذا الوجود بلمحة ... أراه ولم يعم التراب بصائرى
فيا قلب انفق من ضيائك واحتسب ... لدى الشمس لألاءَ الوجوه النواضر

(*) الشاعر الأعمى : جزء أول .

تنازع الفردوس (*)

يتحاسدون على الهباء فما لهم لا يحسدون البَرَّ فيما يؤجر
نقموا على الكفار أن تركوا لهم أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
لو كان ما وُعدوا من الجنات فى هذى الحياة لسرِّهم من يكفر (١)

المصور (*)

. . . .

فى طى ريشته وضمن بنانه روح بها يحيا الجماد فيخلد
بينا يداس على الثرى حتى يُرى ربّا تخر له الجباه وتسجد
أولى القرائح بالدوام قريحة تجرى على الصخر الأزل فتجمد (٢)
معبودةٌ فيما تحل كأنها ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر (*)

إيه يا دهر هات ما شئتَ وانظر عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك إلا هان بالصبر منه ما لا يهون

(*) تنازع الفردوس : جزء أول .

(١) يود الناس أن يكثر المؤمنون منهم ليشاركوهم فى نعيم الفردوس الموعود ولكن ترى لو كان الفردوس دارًا فى هذه الدنيا أكانوا يودون أن يكثر شركاؤهم فيها ؟؟ .

(*) المصور : جزء أول .

(٢) إذا ثبتت القريحة على الصخر الأزل الذى لا يثبت عليه شىء فهى إذن أولى بالثبات والدوام .

(*) إيه يا دهر : جزء ثان .

رحلة إلى الخزان(*)

. . . .

قلت وهل يفهم عن لساني ... «ما بيننا يا ذئب من أضغان
فاذهب إلى وردك فى أمان ... لا يحرم الماء على عطشان»
فمرّ يعدو كاشر الأسنان ... وهو ينادينا ولا يداني
حتى وردنا أول البنيان ... على دويّ هائل مرنان
موّار ماء ثائر الدخان ... كالنقع قد ثار على الفرسان
مصطفَقةً فيْ حلبة الدهان ... قد غلب الصوتُ على الآذان
فبات أدنى الهمس كالأذان ... مستويين ليس يُسمعان
وشرّد النوم(١) عن الجنّان ... فردّدت صداه فى الرعان(٢)
وتحسب الماء من النيران ... مندلعًا يقذف بالصوّان
طرائقا فى الأرض ذا ألوان ... كالليث أحيانًا وكالثعبان
مندفقًا منحسرًا فى آن ... مرتفعًا منحدرًا سيان
ملتئما منشعب الشغبان ... يبيّض كَالمحض من الألبان
مجذذ(٣) الرغو على الصمّان ... قد شنها فى تكلم القيعان
شعواء تغرى القوم بالطعان ... وتحفز الخيل إلى الميدان
وتجعل الراضى كالغضبان ... وتبعث النخوة فى الجبان
قامت عليها أعين الشهبان ... وارؤس الجبال تشهدان
وكم لهذا الماء من معان ... فى قوة البطش وفى الليان
وفى اختلاف الشكل والجثمان ... كأنه يلبس ثوب الجان
فصاعدٌ فى الجو كالعقبان ... وسارب فى مزحف الديدان
وغائصٌ فى الأرض كالشيطان ... ولاعبُ الأمواج كالحملان

(*) رحلة إلى الخزان : جزء أول .
(١) كأن دوى الماء أقلق الجن فقامت تردد صداه .
(٢) أنوف الجبال .
(٣) مقطع أو مفتت .

وطائر البخار فى الأعنان ... كالنفس الخافى عن العيان
وفيه من أمن ومن عدوان ... فهو قوام الزرع والأبدان
وهو الوباء الجارف الطوفان ... وهو هو الدنيا لدى الظمآن
وهو هو الموت لدى الغرقان ... شارفته والليل شطرتان
فما صغا الليل لصوت ثان ... ولا أمال مسمع الأمان
ألا إلى هاتيكم الألحان ... كأنها تجاوب الغيلان
ثُمت أدلجنا إلى أسوان ... وفى طريق الصبح غلوتان
فيالها ، وما عدوت شانى، ... من رحلة طيفية الأوان(١)

أتمنى (*)

أتمنى يومًا لو أن حياتى ... تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمنى ... لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتنى الليالى ... باطل الأمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى ... ما تملكته وما أتمنى

* * *

(١) نسبة إلى الطيف والطيف يسرى ليلا والإدلاج هو مشى الليل .

(*) أتمنى : أعاصير مغرب .

القمة الباردة(*)

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئًا ولم يشعر بشىء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلى كل حركة متشابهة فى كل ذرة . فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التى لا يشعر فيها بحياة .)

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمة الباردة
هنالك لا الشمس دوّارة ... ولا الأرض ناقصةٌ زائدة
ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة بالخلق أو بائدة
قوالب يلتذ تقليبها ... أناس وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبدًا واحدة
وتعلو وتهبط جدرانها ... وأساس جدرانها قاعدة
ويابؤس فان يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة ... وحى له جثة هامدة
إلى الغور !! أما ثلوج الذرى ... فلا خير فيها ولا فائدة

على أطلال بعلبك(*)(١)

أيا «بعل» هذا قادم لك مقدم ... وفىّ لمن يزرى به الدهر مكرم
دعوتَ وحوليك الاسنة شرّع ... فلباك لا تثنيه نارٌ ولا دم
أتاك من الوادى الذى فى ضفافه ... تسامى «لآمونَ» البناء المدعّم
وأقوى كما أقوت ذراك على المدى ... وأقصر عنه العابدون وأحجموا

(*) القمة الباردة : جزء ثالث . (*) على أطلال بعلبك : جزء رابع .

(١) «بعل بكى» معناها سيد الوادى كما يرجح بعض المؤرخين .

يحـيـك عن «آمـون» فى مـسـتـقـره وأنت المحـــيـىّ باســمـــه والمسلم
فــمــا بعل إلا اسم لآمــون تلتــقى له صـــور شـــتى ولفظ مـــقـــسّم

* * *

ويـا دار بـعـل وهـى لا بـعـل عـنـدهـا وياحـصـن بعل وهى لا شىء تعـصـم
ويا جــارة الماضين والدهـر جــائر ويا مـــشـــرق الآمـــال والليل مظلم
عـــزاءً إذا أدبرت والعـــيش مـــقـــبل وروضك مطلول(١) الأزاهيـــر يبـــسم
ولـم يدفـع الأربابُ عـنـك ولا الآلـى أنابوا إليـــهم بالـدعـــاء ويممـــوا
ومـــا حـــيلة الأرباب فـــيك وإنهـــا لتُبنى كـمـا تبنى الصـروح وتهـدم؟!

* * *

«جـبـيـتـيـر»(٢) جـبـار الصـواعق سـاهر عليك وسلطان العُــقـــار مــخــيّم
ولـلـزهـرة الـغــــــراء عـنـدك قـــبـلـة يطل عليــهـــا مـــسـجـد مـتـجـهـم
وفـيـك مُـصلّى للمـســيح ومطهـر وفـــــيـك منـار للنبى ومـــــعـلـم
شـــفــاعـــات أرباب لديك كـــثــيـرة وركنك مـصــدوع العـــمـــاد مـحطم!
فـمن ذا يرجى العـفـو أو يأمن الحـمى إذا مـا طغى صـرف من الدهر مبـرم ؟

* * *

عـــزاء إلى اليـــوم الذى فـيـه يسـتـوى أخـيــــرٌ على حكم الردى ومـــقـــدَّم
وصبرًا إذا مـا شـئت صـبرًا على البلى وإن لا تشـائى فـالقـضـاء مـحـتـم
ســتــحـفظك الذكـرى مليًّـا وتنطوى فـــلا ذاكـــرٌ يومًـــا ولا مُـــتـــرسم

---

(١) حول الهيكل المتهدم روض يتجدد كل عام بأعذب الفاكهة هناك وأنضر الأزهار .
(٢) أو «زوس» إله الآلهة ورب الصواعق وباكوس رب الخمر ولكل منها معبد فى الهيكل .

إلى غندى يوم إفطاره (*)

غندى لك النصر المبين على المدى ... ولشانئيك الخسر والخذلان
لم ألق قبلك من يحرر قومه ... وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة ... أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم ... بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم ... بقر السّوام ويُلعنَ الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكسُ أمورهم ... بعضَ الجزاء ، ومن أهان يهان
فاشع لنقص القوم عند كما لهم ... فكذاك تغفر ذنبها الأوطان[1]

الظن (*)

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا ... وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ ... فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

القلم المسروق (*)

زاملنى فى السجن ذاك القلم[2] ... وناله ما نالنى من قسَم
ومس من فكرى وأسراره ... ما رامه الناس وما لم يُرَم
فربّ معنىً ما وعاه سوى ... ريشته ، ثم انطوى فانحسم
وكم له من حصة تُرتَضى ... فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفخة كالصَّبا ، ... وكم له من لفحة كالضّرم

(*) إلى غندى يوم إفطاره : وحى الأربعين .

(١) الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع فى غفران سيئة .
أما الوطن الذى لا غفران له فهو الوطن الذى لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربى عليها .

(*) الظن : أعاصير مغرب .

(*) القلم المسروق : عابر سبيل .

(٢) كان هذا القلم من الودائع التى بقيت فى السجن تسعة أشهر ملفوفة محبوسة كذلك .

وكم له من زهر مُجتنى ... وكم له من ثمر مُلتهم
سجّل ما سجّل من رحمة ... أو نقمة مرت بأرض الهرم

* * *

ورب مسكين قضى حقه ... وغاشم أحصى عليه اللّمم
أعززته عن حلية تُقتنى ... وصنته عن غاليات القيَمْ
ولى أخٌ يذكرنى بالنعمْ ... فقلت أجزى بعض تلك النعم
فلم أجد أنفس منه لمن ... محّضنى قلبًا نفيس الشّيمْ
قد صان ما أكتب فى صدره ... فغير بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه فى كل ما ... أوحى ، ويرعاه كرعى الذمم

* * *

رعاه فى أمن إلى أن قضى ... عليه بالفقد قضاء حتَم
فغاله منه لصوص لهم ... من كل عين فرصة تُغتنم
فى يوم حشر حافل المزدحمْ ... ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لحة فى الضحى ... فبات فى ليلته لم ينم

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم ... وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى ... فى كف خوان ولا مُتّهم
ولا تخط الجهل فى صفحة ... «أبيضُ» ما فيها سواد الحمم
ولاتكن يا قلمى آلة ... تشتمنى باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لى من هنا ، ... ومن هنا تنحى على من نظم
بدأت فى الأوج فلا تنحدر ... إلى حضيض الذل فى المختتم

* * *

بين التعب والراحة (*)

قال المعرى :

تعب كلهـا الحـيـاة فـمـا أعـ ـــجـب إلا مـن راغـب فـى ازديـاد

ويقول صاحب الديوان :

راحـة كلهـا الحـيـاة فـمـا أعـ ـــجـب إلا مـن راغب فـى ازديـاد
مـا ابتـغـاء المزيد من يوم أمنٍ عـاطل لا يزاد بالتـعـداد
فـالزمـان المريح تكرار شىءٍ واحـدٍ واطّراد حـال مـعـاد

* * *

هذا هو التاريخ (*)

من جـانب القـبـر لسـان بدا يكذب مـا شـاء ولا يستـحى
هـذا هـو التـاريخ لـو أننـى صـورته يومًـا على المسـرح

* * *

رأى الناس (*)

من عـوّد الناس خـيـرًا طالبـوه به كـأنه الدّين يُلوى بالمعـاذير
ومن تعـقّـبـهم شـرًا فـأمـهلهم يومـا تقـبّل منهم أجـر مـشكور
لا أرى للنـاس فى نفع ولا ضـرر ومـا لهم قط من حكم وتقـدير

(*) بين التعب والراحة : أعاصير مغرب .
(*) هذا هو التاريخ : أعاصير مغرب .
(*) رأى الناس : أعاصير مغرب .

سيان (*)

إن قـــبل بالحق أو البـــهـــتــــان
دعـــهم يقـــولون ، وقل ســـيـــان ،
ســـيـــان مـــهـــمـــا افـــتـــرق الضـــدان
سيـــان مـــهـــمـــا اختلف الخـــصـــمـــان
ســـيـــان ألـــفٌ هـــى أو ألـــفـــان
ســـيـــان بيـــدٌ هى أو مـــغـــان
ســـيـــان نـــور أو ظلام فـــان
ســـيـــان من يلهـــو ومن يعـــانى
قـــلهـــا بـــبـــرهـــان ولا بـــرهـــان
وأنـــت أنـــت أحـــكـــم الـــزمـــان
وإن تـــصـــدوا لـــك بـــالـــنـــكـــران
أو ضـــحـــكوا ســـخـــرًا فـــقـــل ســـيـــان !

خداع النفس (*)

يقـــول ومـــا قـــضـــى عـــجـــبًـــا
فـــتـــى يـــخـــبـــط فـــى حـــدســـهْ
أيـــخـــدع نـــفـــســـه رجـــل
لـــه عـــيـــنـــان فـــى رأســـه؟
أجـــل يـــا صـــاح : عـــيـــنـــان!
وزد مـــا شـــئت من حـــســـه
وهـــل أخـــدع لـــلإنـــســـا
ن بـــين الـــنـــاس من نـــفـــســـه
خـــداع الـــنـــفـــس مـــعـــهـــود
وقـــاك الله مـــن دســـه

(*) سيان : أعاصير مغرب .
(*) خداع النفس : أعاصير مغرب .

الأستاذ طاهر (*)

أخى السيد طاهر :

قل لى بحـــقك كم بلغت سنينا ... خـمسين ؟ أو ســتين ؟ أو ســبـعـينا
إنى أراك كــمــا عــهــدتك بادئًا ... شــوط الشــبــاب تناهز العــشــرينا
قـــد كنت بين الناشــئين مــحنَّكا ... حــسن الأناة ، مع الخطوب ، رصينا
واليـوم تقـتـحم الكهـولة سـابقـاً ... خطو الشــبـيـبـة لا تطيق سكونا
آنـاً فــتـىً بين الشـــيـــوخ وآنـةً ... شـيـخـاً مع الفـتـيـان مـسـتـبـقـينا
خـــذ هذه أرقــامنا من واحـــد : ... ضعْ بعــدها الشــفــر العــزيز يمينا
عــشــرًا إلى عــشــرين أو خــمســ ... ين أو ستين صاعدةً إلى التـسـعـينا
إن قلت عــشــرا صـدقـوك وإن تقل ... تســعين قلنا عــشــتــهــا عــربونا

* * *

أفـــتى طناح لا برحت مــهنـئًـــا ... ومـــهنّأ بالصـــالحـــات قــمـــينا
إن السنين – وقــد صـدقتَ – لعلهـا ... مـــرت بمدرجـــة الزمـــان قـــرونا
وإذا حـــســبت صــفــاءها فلعلهـا ... ساعـات حلم مـا اغـتـمضن جفونا
حـسبى وقـد فـرغت يدى من زادها ... أنّى أبَيتُ لهـــا الـفـــراغَ قـــرينا
ورضـــاى عنهـــا أنهـــا لم تُرض فى ... عـــهـــد ظلومًـــا أو تســـر خـــؤونا
ومنـاى منهــــا أن أعـــيـش ولا أرى ... أبدًا بأوهام الـمُنى مـــفـــتـــونا
ومـــداى فـــيـــهـــا أن أودّعـــهـــا ومـــا ... ودعـــتـــهـــا أسِـــفـــا ولا مـــحـــزونا
مـــا دام فـــيـــهـــا حـــامـــدون كطاهر ... فـــالله أحـــمـــدُ . لست بعـــدُ غـــبـــينا

(*) إلى الأستاذ طاهر الطناحى جوابا لقصيدة كتبها إلى صاحب الديوان لمناسبة بلوغه السبعين .

الفن الحى (*)

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كلَّ معنى ، وجسّم ... من معانى النفوس ما كان بكرا
حبذا العيش يبدع الفكر جسما ... تجتليه ، ويبدع الجسم فكرا
ويرى الفن كالحياة حياةً ... ويرى للحياة فنا وشعرا
ضلَّ من يفضل الحياتين جهلا ... واهتدى من حوى الحياتين طرا

الحان والمسجد (*)

ترتدين أن أرضى بك اليوم للهوى ... وأرتاد فيك اللهو عبد التعبد
وألقاك جسما مستباحًا وطالما ... لقيتك جمَّ الخوف جمَّ التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة ... بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة ... ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى ... ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

أحلاهما مر (*)

لم أسغ أشهى مذاقيك فما ... مزجك الكأس بطعم العلقم؟
خلّ يا دهر لغيرى مزجها ... إن أحلاك لمرٌّ فى فمى

(*) الفن الحى أو الحياة الفنية : هدية الكروان .
(*) الحان والمسجد : الجزء الرابع .
(*) أحلاهما مر : الجزء الرابع .

فوق الحب(*)

صاحبى مَن سروره وسرورى ... فى صفاء الزمان يلتقيان
وصديقى من استجد سرورا ... من سرورى ، وإن تناءى مكانى
وحبيبى من قلبه كيفما كا ... ن ، وقلبى فى الشجو يستويان
فالذى يرتضى العذابَ لأرضَى ... كيف أدعوه ؟ وما اسمه فى البيان؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الحـ ... ـب شئ يُرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ ... جلّ عن صبغة الوجود الفانى

النور(*)

طهرت بماء سمائها أمم ... وبه تطهّر روحها الهند
والروح أولى بالطهور لها ... نور يخف بها ويمتد
فيض يشف فما به كدر ... ومدى يفيض فما له حد

بكاء السليب(*)

وقالوا خؤون قلت مهلاً فإنما ... بكائى عليه وافيا لعجيب
لقد سلبتنيه الخيانة راغمًا ... وإن جديرًا أن ينوح سليب
وإنى لأبكى مَن كان قبلها ... يفى لى على زعم الهوى ويطيب

(*) فوق الحب : هدية الكروان .
(*) النور : الجزء الرابع .
(*) بكاء السليب : الجزء الرابع .

حب الدنيا(*)
معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية التى تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها ؟ أو هى دميمة والقدرة الإلهية هى التى تحببها إليها وترغبنا فيها ؟
الجواب فى القصيدة التالية أنه لا قدرة - دون قدرة المعجزات والخوارق - تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس ، على ما بها من الآفات والأرجاس !)

قالوا الدنيا الحسناء سها … عنها ربٌّ لا يقبلها
بل قالوا : يحجبها عنا ، … أو ينهاها ، أو يعقلها
ونرى الشيطان يزيّنها … ونرى الشيطان يدلّلها
يا قومُ ألا عينٌ نظرت … هذى الشوهاء تُمثلها ؟
ما يقدر إلا ربُّ الكو … ن يحبّبها ويجمّلها
لولاه قتلنا أنفسنا … أولم نعذل من يقتلها
أفهذى دنيا نعشقها … لولا رضوانٌ يكفلها ؟
من شك فهذى قدرته … فليعرفها من يجهلها !

المذكّر المنسى(*)

لم يبق من دنياك يَعنينى … إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجه - إذا ما مرّ - ينسينى … لا بل يذكّرنى إلى حين
أنّى - كما قيل - ابن سبعين !

(*) حب الدنيا معجزة خارقة : وحى الأربعين .

خبر الربيع (*)

يأيهـــا الورق الخـضـرُّ فى شـــجـــر ... عـهـدى وما فـيـه من ذى خـضـرة أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى ... عـــيـــدانك العـــوق ذاك العطر والزّهر
إنا ســألنا ، لو عــاد الســؤال إلى ... فحوى الضمـائر لم نعرفه يا شـجـر
سلنا بحـقك من أين اســتـجـدّ لنا ... هذا الســرور الذى فى القلب ينتـشـر
كــــلاهمــــا طارقٌ طاف الربيع به ... علـى بـراق مـن الأنـوار يـنـحــــــدر
سلهُ فـإن لم يُجب فـأنعم بمقـدمـه ... وافـــــرح بـه ، وانتظره حين يُنتظر
إذا أجـــاب بأزهار مــفـــتّـــحـــة ... وبالســرور ، فـحـســبى ذلك الخـبـر

الطريق فى الصباح (*)

بـــدأت دولـــة الـــطـــريـــق ... وانتـــهـت دولة البـــيـــوت
ضـــــاق بـالكوكب المفـــــيقْ ... عـــــالـم الـلـيـل والـسكـوت

* * *

حـــيث يمت مـــســرعُ ... يتلقـــــاه مـــســـروعـــون
مــــا لـهم ؟ أين أزمــعـــوا ؟ ... ويحـــــهم ! م يـهــــربون ؟

* * *

كلمـــــا غــــاب مـــجــفل ... طـلـع اثـنـان فـى هـجـــــــوم
ذاك ركـــبٌ مــــــضــلــل ... حــــائر حــيــثــمـــا يحــوم

* * *

حــــائر حـــيـــرة الأولى ... سُـــحــــروا ثم أطلقـــوا
وضح الــصـــــبح والجلى ... فــــهـــو بالســـحـــر أخلق

* * *

(*) خبر الربيع : هدية الكروان .

(*) الطريق فى الصباح : عابر سبيل .

لا أرى فــردَ ســاحــر فــيكِ يا صـبح بل ألـوف
كـم أسـيـر وآسـرٍ والـرّقـى بَـيـنـهـم صـنـوف[1]

* * *

ذلـك الـطـفـل مـا عـنـاه ؟ جـدول الضـرب فـى كـتـاب
ذلـك الـشـيـخ مـا مـنـاه ؟ لـقـمـة كلـهـا عـذاب

* * *

والـفـتـى . أين قـبـلـةٌ نـحـوهـا يـرسـل الـعـنـان ؟
غـايـة الأمـر قُـبـلـة بـعـدهـا يـمسح الـدهـان !

* * *

خـذهُـم أيـهـا الـطـريقْ فـى غـداة من الـصـبـاح
لا تـضـلـنّ بـالـرفـيـق إنْ دنـت سـاعـة الـرواح

* * *

إن دنـت سـاعـة الـسـبـات ويـك ! لا تـخـطـئ الـوكـور
كـم وكـور مـنـاظـرات للـبـيـوت اسـمـهـا الـقـبـور !

* * *

ماذا استفدت ؟(*)

بـرئـت مـن غـش نـفـسى ولا أقـول انـتـبـهـت
قـد كـنـت سـاهـرَ عـينٍ مـسـتـيـقظًا مـا غـفـوتُ

* * *

بـرئـت مـن غـش نـفـسى ولـيـتـى مـا بـرئـت
مـا الـعـمـر مـحـض نـهـار ! فـى الـعـمـر للـغـمض وقت

* * *

هـا أنـت يـا عـين يـقـظـى وهـا أنـا قـد نـظـرت
مـاذا اسـتـفـدت لـعـمـرى ومـا عـسـانى اسـتـفـدت ؟!

* * *

(١) جمع رقية وهى طلسم السحر وما يستعان به من القوى الخفية .

(*) ماذا استفدت : أعاصير مغرب .

قلت للمريخ(*)(١)

قلت للمريخ أعذله ... وهو يذكى جمرةَ الغضب
ويك أما هذا الخراب ؟ وما ... ذلك الإغراق فى العطب ؟
أمّ تسطو على أمم ... ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على ... عيْلم(٢) للدمع منكسب
وقبور كظّها تخما ... جثث الهلكى من السّغب(٣)

* * *

قال : مهْ يا صاح أين ترى ... كلّ ما استهولتَ واعجبى
أرضكم ما زلت أبصرها ... نائيا حينًا وعن كثب(٤)
هَيِّنٌ ما قد تبدّل من ... سمتها فى هذه الحقب

* * *

لا ضيف فى الخان(*)

إيه يا دنيا ! لو اسطعت سماعى ... قد نزلنا منك فى غير اتساع
أكرمينا حيثما تدعيننا ! ... أودعينا من لقاء ووداع
قالت الدنيا : لمْ أكرمكم ؟ ... كلنا فى الحق مدعوٌّ وداع
حبذا الخان ! فلا ضيف هنا ... إنما يُجزى متاعا بمتاع

* * *

تكاليف العظمة(*)

كن عظيما ولا تلومنّ إلا ... همةً كلفتك همّا جسيما
كل راج يُلقى عليك مناه ، ... فإذا خاب كنتَ أنت الملوما
تنصف الأمة الضعيفَ ولا تنصـ ... ـف يوما عظيمها المظلوما

* * *

(*) قلت للمريخ : أعاصير مغرب . (١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب . (٢) بحر .
(٣) الجوع . (٤) عن قرب .
(*) لا ضيف فى الخان : وحى الأربعين .
(*) تكاليف العظمة : وحى الأربعين .

النعيم والشقاء(*)

ما العيش ؟ قل لى فأنت مختبرٌ   همـوم هذى الدنيـا ونعـمـاها

* * *

العيش بأسـاءُ ليس يجهلها   من ذاقهـا أو أصـاب عـدواها
ونعـمـةٌ لا يزال يُحـرمَـهـا   من نال منهـا أو من تعـداها
نشتاقهـا إن نأت ، ونبخسهـا   إن أقبلت ، جاهلين معناها
كـأنهـا درة مسـوّمـة   فى بعض سكر الحيـاة نُعطلهـا
يمنحهـا حاسـدٌ لآخذها   آب عليـه سـرور لقيـاها
حتى إذا ردها وأحرزها   ادراه مـا قـدرها لينعـاها
هذا سـرور الدنيـا ولذتهـا   دع عنك مـا شـرها وبلواها
فـاحسبه من خيرها ونعمتها   إن شئت أو من صميم وبؤساها

* * *

الصنم الهاوى(*)

خـبـرونى عن الصنم   أيـن ألـقـت بـه الحطَم
خـبـرونى بمصـرع   للهـوى فـيـه والشيم
كـيف باع العبـاد والخلـ   ـد والحب والـعـظَم
والسـمـاوات كلهـا   بضئيـل من القِسَم

* * *

خـبـرونى عن الصنم   ذلـك الأروغ الأشم
ذلك الشـاهق الذى   قـصـرت دونه الهمم
ذلك العـابس الذى   فى حمى الصمت مـا ابتسم
كـيف قِيـدت لرائم   عـزةٌ منـه لم تَرم
كـيف زلت عـروشـه   من أعـاليـه فى القمم
كـيف أمـسى ورأسـه   فى الثـرى موضع القدم

(*) النعيم والشقاء : الجزء الرابع .
(*) الصنم الهاوى : الجزء الرابع .

ما دهاه فما اتقى ... من حذار ، ولا وجم
فتهاوى بلا ونىً ... وترامى بلا شمم
وتخطى عن الذرى ... علمًا دونه علم
واستوى غير نادم ... فى حضيض من الرجم
خبرونى وأجملوا ... رب عذر لمتّهم
حكمة تلك فى الحكم ... أم قضاء من القدم ؟
أم إله أصابه ... حسدٌ منه فانتقم
نقمة تلك ما خلا ... مثلها قط فى الأمم
ضربة تلك من إلا ... ه فما عنه معتصَم
هى سوى حكمه يضـ ... ـل صوابًا إذا حكم

* * *

خبرونى واسمعوا ... أنا والله فى صمم
أنا فى غمرة الأسى ... ظلمة فوقها ظلم
حيرة تشده العقو ... ل بمسّ من اللمم
إن ويلى بسرها ... فوق ويلى على الصنم

* * *

حدثونى عن الصنم ... بدأ الويل أم ختم[1] ؟
زعِم القلب أنها ... لوعة بعدها سأم
بلى القيد فانفصم ... وهوى ذلك الحرم
لا قرابين تُهتَدى ... فى المحاريب ، أو ذمم
لا صلاة ولا صيا ... م ولا فتنة عمم
فليجد منه راحة ... عابدٌ طالما التزم
وليشُبْ منه راضيًا ... خادم طالما خدم
جهل القلب نفسه ... كذب القلب ما زعم
ليته عاد فى القمم ... ظالمًا كيفما ظلم
غانمًا كلّ ما ارتضى ... من ضحايا ومن نعم

---

(١) أى هل تحطيم ذلك الصنم هو أول الشقاء أو آخره ؟ وهل يسعد عابد الصنم بانقضاء حبه وفرائضه وتقديم القرابين إليه والراحة من كل ذلك أو هو يأسف على ما فاته من الحب وتقديم القرابين ؟

آخـــــذاً مـن دمــــــائـنـا ولـنـا بـعــــدُ مــــا اغــــتـنـم
إنمــــا الحــب مـــنـــعـم وهــب الحــب أو حـــــــرم
لـيـــتــــه لـم يـكـن هـوى لـيـتــــه عــــاد فـى الـقـــمـم
لـيــتــــه فـى الحــضـيـض لـم يُـشـف مـن ذلـك الـنـهـم[1]

* * *

ألـمى مــــا ابـتــغـيـت مـن نـاصـب الـنـفـس مـصـطـلَم[2]
دائـبــًا فـى المـزيـد لـم تـســــهُ عـنـه ولـم تـنـم
حـسـبـك الـيـأس والـضـنـى وجــوى الـلـيـل يـا ألـم
فــــرغ المـأتم والـذى بـتَّ تحـيـى لـه الـضـرم
فـدع الـنـار يـنـطـفـئ مـن لظـى الـنـار مـا احـتـدم
أيـعـود الإلــه ألـــ ـــقـى بـه الـذلَّ فـى الـعـدم
ويـلـك هـيـهـات لامـعـا د ، فـطـوبـى لمـن وهـم
بـدأ الـلـيـل وانـتـهـى وصـحـا حـالمٌ حـلـم

* * *

ولماذا القرد؟[*]

أرى السخف فى الإنسان طبعًا مؤصّلا شـواهـده فـى كـل بـادرة تـبـدو
ولو لـم يكن فـى طبعـه ومـزاجـه طويةً سـخف لا يلازمـهـا حـد
لما خص من كل الخـلائق سـخـره بأشـبـهـهم طرًا بـه ، وهو الـقـرد!

* * *

(١) أى ليته بعد هبوطه إلى الحضيض بقيت له رغبة الأرباب فى العبادة .
(٢) اصطلمه : قطعه .
(*) ولماذا القرد : بعد الأعاصير .

نعمة من نقمة(*)

جـلا مـعـرضُ الحب أصنافـه ... نماذج من كل صنف عـجـاب
فـحـبٌ يُلاصق هذا الثـرى ... وحبٌ يحلّق فـوق السـحـاب
وحبٌ يعـيش مـدى سـاعـة ... وحـب مـن الخـلـد رحـب الجنـاب

* * *

وفـوَّضت أمـرى على غـرّة ... لكوبيـد يخـتـار لى مـا يرى
فـعلّقنى منه ذاك الخـبـيـ ... ـث بحب تعـمّق تحت الثـرى
وقـال : إليك قـرينَ الربيـ ... ـع فى القـاع يُزهر مـا أزهرا

* * *

عـجـبتُ أنا الصـاعـد المرتقى ... وسـاءلت ربّىَ فى قـسـمـتى
فـقـال انتظر ريثـمـا ينقـضى ... هواك ، أنبـئك عن حكـمـتى
فلمـا تقـضّى وزال الخـفـاء ... سـألت القـضـاء ، فلم يصـمت

* * *

لقـد كنتَ تجـهل هذا الثـرى ... وكنتَ تطيـر ولا فـضل لك
فـهـا قـد عـرفت وها قـد علو ... ت بوقـر الرغـام الذى أثقلك
أترضى ؟ فـقلت نعم قـد رضيـ ... ـت . لك الحـمـد ربّىَ مـا أعـدلك

* * *

لك الحـمـد ربّى إنى افـتـتـحـ ... ـت سـمـائى بالحب شبـرًا فـشـبـرا
وشـتـان فـاتحـهـا مـغـمـضًـا ... وفـاتحـهـا مـبـصـر العين حـرا
ملـكـت الوهاد ، ملكت النجـا ... د ، كـمـا تُملكان . فـحـمـدًا وشكرا

* * *

(*) نعمة من نقمة : بعد الأعاصير .

مقدمات ماتقدم

«فيما يلى مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها :

. . . .

« . . . الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ، ممتزجةً طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما فى وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت! والوقت أيها القارئ ، أصناف : فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السماوات ومنه مايطرحه للأبقار والحشرات ! فإذا قلنا لك أحبب الشعر فكأننا نقول لك عش ، وإذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر فكأننا نقول إنها أخذت تطرب للحياة . .» .

الجزء الأول

. . . . *** . . . .

«أحسن فيكتور هوجو فى كتابه «وليام شكسبير» حيث قال : «ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه – لا سيما المضاربون وفقهاء القانون – بأن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟! . . الشعر أدبر زمانه ! لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه . وأن الشمس كفّت عن الشروق . وأنك تجول فى مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة . وأن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لا يغرد ، والأسد لم يزمجر والنسر لا يحوّم فى الفضاء . وأن قلال الألب والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . .

لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب وليدها وأن أنوار السماء قد خمدت وقلب الإنسان قد مات» .

والحقُّ أنه لا فرق بين القولين . إذ الشعر لا يفنى إلا إذا نفيت بواعثه . وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها ، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان . وليس من العجب أن يولد فى الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهى مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها ، غاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها ، كأنهم سيمرون بها ألف مرة ، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة . . .»

الجزء الثانى

***

« . . . وقرأ بعضهم قصيدة فى وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدها بابا من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون !

ذلك مثل آخر من أ مثلة التقليد فى إنكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجاراةً للأقدمين واقتباسًا على الدواوين . أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء أو على مقربة منها ، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . إذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل .

فهناك إذن «مقلدون» فى كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون ، وربما كان هؤلاء أضرُّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم .

إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريفٍ محدود ، فالشاعر لا ينبغى أَّن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب وهوِّ «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» . وكلب ما دخل فى هذا الباب - باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق - فهو شعرٌ وإن كان مديحًا أو هجاء أو وصفًا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث . . .

وحى الأربعين

* * *

. . . .

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المُغنِّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون . .

هدية الكروان

* * *

. . . .

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق !

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة .

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور . فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضى عشرين سنة وهى تتصوره عريسًا سعيدًا لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء فى بقائه طوال تلك السنين ، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التى نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان .

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق . ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة ، لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء .

عابر سبيل

* * *

. . . .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوربية ليو باردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«انظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى اللّه مبتهلا إليه . أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول .

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وأننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

«غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

أعاصير مغرب

* * *

. . . .

نحن فى زمن المراجعة والتقويم .

نراجع كل شىء ، ونعيد تقويم كل شىء وننقد ونعيد النظر فى مقاييس النقد نفسه ، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذى تجرى به المعاملات بين الناس فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ، أو مقاييس النقد الذى يتواضع الناس عليه فى فهم المعانى والأفكار ، وتمحيص الأخلاق والأذواق .

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة .

وروجعت ، أو ينبغى أن تُراجع ، قيمة النقد الذى يتداوله الناس عند تقويم المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحفة الفنية ، فلا محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته فى عالم الأدب والفن ، وقبل الاعتماد عليه فى تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان .

وأول ما يُنقَد به النقد فى كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو لوجه الفن وحده ، فما من نقد قط يخلص من هوى فى نفس الناقد يهواه باختياره أو على غير اختياره ، ولا بدّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل أن تنفذ إلى قيمة المعدن فى صميمه . فالنقد الذى فى الصميم هو القيمة التى تدل على المنقود وتعطيه حقه فى الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزراية .

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هى البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التى يجهلها صاحبها فى كثير من الأحايين ، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها من وساوس النفوس .

وليس فيما نومئ إليه من شوائب النقد على هذا النحو شىء جديد . فقديما عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر لأنه من جنس المعجبين به أو من أبناء نحلتهم فى الدين أو شيعتهم فى السياسة .

ولكنّ الجديد فى هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة فى دعوة مدبرة ، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل ، ويصدرون عنها فى تقريظهم ونقدهم ، وفى ثنائهم وتشهيرهم ، ويتخذونها سبيلا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية ، بمعزل عن الفن والأدب ، وعلى علم بالتلفيق والعوج فى القياس ، إذا لزم التلفيق أو العوج فى خدمة الغرض الأصيل . لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير ، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير .

وفى عصرنا هذا ينبغى أن نلتفت إلى شوائب النقد التى عرفها الأقدمون ، وإلى الشوائب التى لم يعرفوها قط أو عرفوها فى حيز محصور لا يُلتفت إليه .

ولقد عرف الأقدمون فى الأدب العربى صنوفا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لهـا بمزايا الفن والبـلاغـة ، وكـان منهم من يؤثر الشـاعـر أو الأديب تارة لأنه على مذهبه فى التشيع وتارة لأنه على هواه فى مؤازرة الدولة القائمة من بنى أمية أو من بنى العباس ، ولوحظ - مثلا - إهمال كتاب الأغانى للشاعر «ابن الرومى» .

أما الجديد الذى لم يعهده الأقدمون كما عهدناه فى عصرنا هذا فهو - فيما نعتقد أمران :

أحدهما كما أسلفنا ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأى أساسى فى مذهبهم يقضى باستخدام «النقد الأدبى» لترويج المذهب ومحاربة خصومه .

والآخر ظهور المقلدين فى حركة التجديد ، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التى لا تميز بين حقائق الأسباب .

والذين يستخدمون «النقد الأدبى» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التى لا يختلطون فيها بغيرهم . فهم جميعا من «غير الأدباء» . . . وهم جميعا لا ينتجون أدبًا ولا يقرأون أدبًا لأنه أدب ، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر لخدمة الأغراض التى تعنيهم باسم النقد الأدبى وما هو من النقد الأدبى فى شىء . إنْ هو إلا العداوة التى تصدر عن الكراهية والاتهام ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية .

ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين فى الدعوة إلى الجديد . فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد فى الأدب ، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون .

بعد الأعاصير

من مؤلفات عملاق الأدب العربى الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ ـ الله
٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء
٣ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ ـ عبقرية محمد ﷺ
٥ ـ عبقرية عمر
٦ ـ عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ ـ عبقرية خالد
٨ ـ حياة المسيح
٩ ـ ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ ـ عمرو بن العاص
١١ ـ معاوية بن أبى سفيان
١٢ ـ داعى السماء بلال بن رباح
١٣ ـ أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ ـ هذه الشجرة
١٦ ـ إبليس
١٧ ـ جحا الضاحك المضحك
١٨ ـ أبو نواس
١٩ ـ الإنسان فى القرآن
٢٠ ـ المرأة فى القرآن
٢١ ـ عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ ـ سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ ـ روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ ـ عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ ـ رجعة أبى العلاء
٢٦ ـ رجال عرفتهم
٢٧ ـ سارة
٢٨ ـ الإسلام دعوة عالمية
٢٩ ـ الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ ـ مايقال عن الإسلام
٣١ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ ـ التفكير فريضة إسلامية
٣٣ ـ الفلسفة القرآنية
٣٤ ـ الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ ـ أثر العرب فى الحضارة الأوروبية
٣٦ ـ الثقافة العربية
٣٧ ـ اللغة الشاعرة
٣٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ ـ أشتات مجتمعات
٤٠ ـ حياة قلم
٤١ ـ خلاصة اليومية والشذور
٤٢ ـ مذهب ذوى العاهات
٤٣ ـ لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ ـ الشيوعية والإنسانية
٤٥ ـ الصهيونية العالمية
٤٦ ـ أسوان
٤٧ – أنا
٤٨ – عبقرية الصديق
٤٩ – الصديقة بنت الصديق
٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ – مجمع الأحياء
٥٢ – الحكم المطلق
٥٣ – يوميات جزء أول
٥٤ يوميات جزء ثانى
٥٥ – عالم السدود والقيود
٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ – إهانات مجتمعات فى اللغة والأدب
٥٨ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٩ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٦٠ – أراء فى الأدب والفنون
٦١ – بحوث فى اللغة والأدب
٦٢ – خواطر فى الفن والقصة
٦٣ – دين وفن وفلسفة
٦٤ – فنون وشجون
٦٥ – قيم ومعايير
٦٦ – ديوان فى الأدب والناقد
٦٧ – عبد القلم
٦٨ – ردود وحدود

فهرس

صفحة

بين يدى القراء ٣
خواطر وتأملات ٥
صفات وأشباه ٤٤
مناجاة ٦٤
مترجمات ١١٣
حديقة الحيوان ١٢٠
قصص وأماثيل ١٤٢
ترجمة شيطان ١٧٩
قوميات ١٩٤
تقدير ٢٠٨
تأبين ٢٢٢
رثاء وعزاء ٢٥٠
متفرقات ٢٦٥
مقدمات ما تقدم ٢٨٧

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر

من شعر عملاق الأدب العربى
عباس محمود العقاد

١ - ديوان يقظة الصباح
٢ - ديوان وهج الظهيرة
٣ - ديوان أشباح الأصيل
٤ - ديوان وحى الأربعين
٥ - ديوان هدية الكروان
٦ - ديوان عابر سبيل
٧ - ديوان أعاصير مغرب
٨ - ديوان بعد الأعاصير
٩ - ديوان عرائس وشياطين
١٠ - ديوان أشجان الليل
١١ - ديوان من دواوين

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

To: www.al-mostafa.com